الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

اسهام المرأة الأندلسية في النشاط العلمي في الأندلس

عصر ملوك الطوائف

(٤٢٢ - ٤٧٩هـ/١٠٣١-١٠٨٦م)

الدكتورة سهى بعيون



اسهام المرأة الأندلسية في النشاط العلمي في الأندلس

عصر ملوك الطوائف

إسهام المرأة الأندلسية في النشاط العلمي في الأندلس

عصر ملوك الطوائف

إعداد

الدكتورة سهى بعيون

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
1435 هـ - 2014 م

ردمك 978-614-01-1254-4

توزيع

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

تصميم الغلاف: هاني بعيون

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

المحتويات

المقدمة

ولدت في الأندلس حضارة أصيلة، عربية السمات، قامت على سواعد أجدادنا بني أمية. كانت خلال ثمانية قرون خير مسرح تألّقت فيه أمجادنا، وأرحب مهد ترعرعت فيه الفنون الإسلامية والعلوم الإنسانية التي شعّت على العالم منذ القرن الثامن الميلادي يوم اخترقت جبال البيريني وأنارت بهديها بلاد أوروبا الغارقة في الظلمات يومئذ.

إنّ الحديث عن الأندلس وتاريخها يحمل في طياته الكثير من معاني الفخر والاعتزاز بأمجاد أولئك العرب الذين أرسوا في الأندلس دعائم وطيدة من الحضارة والتمدّن، وقواعد راسخة من المثل والأخلاق النبيلة.

كانت الحضارة الإسلامية في الأندلس حضارة علم وثقافة، كانت حضارة أصالة وتفوق وإبداع. قد فرضت نفسها بفضل ما لها من خصائص ومقوّمات لا تشاركها فيها حضارة أخرى، وكانت نقطة انطلاق للحضارة الحديثة. تألّقت الحضارة العربية في الأندلس ودوّى صيتها في الشرق والغرب، وكان للنساء من حرائر وجوار أثر بعيد في تألّقها.

وعندما بلغت الحضارة العربية ذروتها في الأندلس كان لا بد للمرأة من أن ترتقي فكرياً وفنياً، فلم تتخلف المرأة الأندلسية عن المشاركة في النهضة الثقافية. لقد أسهمت مساهمة عميقة في مجالات عدّة؛ في الأدب والعلم، ليس غريباً إذن أن تنبغ في عصر كان خلفاء الأندلس وملوكها، وعامة الناس فيها تقريباً، مولعين بالعلوم والآداب، وقد درجوا على تشجيع كل عبقرية وتكريمها.

ومما لا شك فيه أنّ الكثيرات من النساء في عهد ملوك الطوائف، قد انصرفن انصرافاً كلياً إلى العلوم والآداب، مما جعل ولعهن بها حدثاً تاريخياً عظيماً.

فسنرى من خلال هذه الدراسة ازدهار الحياة علمية في عصر ملوك الطوائف، وكيف كان لتعدد المراكز الحضارية في عهد ملوك الطوائف، وتنافس الملوك على العلوم أثره في هذا الازدهار العلمي. وكيف انعكس هذا الازدهار الفني والفكري على المرأة العربية الأندلسية. والمكانة السامية التي احتلتها يومئذ في المجتمع. وثقافتها العظيمة، ومشاركتها في مختلف العلوم والفنون في هذا العصر، وأبرز العلوم التي شاركت بها. وكيف أنّ إتاحة الفرصة أمام المرأة الأندلسية للمشاركة في العلم والثقافة، وتشجيعها، كان له أثر كبير في ازدهار النشاط العلمي وبالتالي في نهضة الحضارة.

التمهيد

العهود التي مرّت بالأندلس

استقر حكم الإسلام في شبه الجزيرة الإيبيريَّة ثمانية قرون، منذ فَتْحها - بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نُصَيْر وآخرين - سنة 92هـ (711م) حتى سقوط غرناطة سنة 897هـ (1492م). ومرّت الأندلس في هذه القرون بعدة عهود، تقلّبت خلالها بين الضعف والقوة وبين النصر والهزيمة. ويمكن إجمال هذه العهود، التي كان لكل منها طابع مميَّز، على النحو التالي:

1- **عهد الفتح** الذي استمر حوالي أربع سنوات (من 92-95هـ/711-714م).

2- **عهد الولاة:** (من 95-138هـ/714-755م) ويعتبر بعض المؤرخين مدة الفتح داخلة في هذا العهد، الذي ينتهي بمجيء عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس سنة 138هـ/755م. وقد حكم الأندلس في هذا العهد - الذي استمر حوالي 42 سنة - عشرون والياً تقريباً، كانوا تابعين للخلافة في دمشق مباشرة أو بواسطة ولاية الشمال الإفريقي (إفريقية والمغرب)[1].

3- **عهد الإمارة:** (من 138-316هـ/755-929م) ويبدأ منذ مجيء عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس حتى إعلان الخلافة من قِبَل عبد الرحمن الناصر (الثالث) سنة 316هـ/929م، وقد أسس عبد الرحمن

---

1 د. عبد الرحمن علي الحجّي: **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، ص 39.

الداخل إمارة مستقلة عن الخلافة العباسية، استمرت مئـة وثمـان وسبعين سنة[1].

4- **عهد الخلافة:** (من 316-422هـ/929-1031م) ويبدأ عهد الخلافة منذ إعلان الخلافة في الأندلس من قِبل عهد عبد الرحمن الناصر لدين الله (الثالث) (سنة 316هـ/929م) إلى سقوط الدولة الأموية في الأندلس وقد تخللها دولة بني حمود، ومن ثم قامت دولة بني أمية الثانية وكان أول من حكمها المستظهر بالله عبد الرحمن هشام بن عبد الجبار بن الناصر، وآخر من حكمها هشام المؤيد. وانتهى الأمر في سنة 422هـ/1031م بعزل هشام الثالث المؤيد آخر الخلفاء الأمويين، وإلغاء الخلافة نهائياً عن الأندلس[2].

5- **عهد ملوك الطوائف:** يبدأ هذا العهد بسقوط الدولة الأموية في الأندلس وتفكك الدولة إلى دويلات سياسية وطائفية متنازعة. وينتهي بدخول المرابطين من المغرب إلى الأندلس بقيادة يوسف بن تاشفين وانتصارهم على الإسبان في معركة الزلاقة سنة 1086م. ويمتد هذا العصر من (422-479هـ/1031-1086م)[3].

6- **عهد المغاربة:** وفيه تحولت الأندلس إلى ولاية تابعة للمغرب في عصري المرابطين والموحدين. وكانت عاصمتهم مدينة مراكش في جنوبي المغرب. وانتهى هذا العصر بهزيمة دولة الموحدين أمام الجيوش المسيحية الأوروبية المتحالفة في موقعة العقاب سنة

---

1 د. عبد الرحمن علي الحجّي: **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، ص 39.

2 د. خليل إبراهيم السامرائي، وآخرون: **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، ص 221. د. عبد الله أنيس الطباع: **القطوف اليانعة من ثمار جنة الأندلس الإسلامي الدانية**، الطبعة الأولى، لبنان: بيروت، دار ابن زيدون، 1406هـ/1986م، ص 62.

3 د. حسان حلاّق: **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية**، ص 263.

609هـ/1212م ويمتد هذا العصر من (479-612هـ/1086-1214م)[1]. ويمكن اعتبارهما عهدين مستقلين.

7- **مملكة غرناطة** (عصر بني الأحمر): وهو آخر عهد إسلامي في الأندلس، حيث تقوم دولة بني الأحمر وتستمر ما يزيد على قرنين ونصف، حتى نهاية القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي). ويمتد من 1231م إلى 1492م وهي السنة التي سقطت فيها غرناطة بأيدي الإسبان. ويمثل سقوطها نهاية الحكم الإسلامي للأندلس وذهاب سلطان المسلمين السياسي منها[2].

لقد بقي المسلمون في الأندلس من عام 711م إلى عام 1492م أي حوالي (780) عاماً. لم يكن فتح المسلمين للأندلس مجرد حدث سياسي أو احتلال عسكري، بل كان حدثاً حضارياً وإنجازاً رائعاً وإعلاناً عن حياة جديدة حلّت تلك الأرض، كان لها أثر في تلك الديار وما جاورها من الأقطار[3].

كان هذا الفتح حدثاً تاريخياً، وإنّ كل شيء في إسبانيا قد تغيّر تغيراً كلياً بعد الفتح، فقد كانت أسبانيا قبل الفتح الإسلامي لها، في أوائل القرن الثامن كسائر بلاد الغرب الأوروبي المعاصر يخيم عليها الجهل والتأخر والفوضى. فحلّ الاستقرار محل الفوضى، والحكومة المركزية القوية قد حلّت محل النظام الإقطاعي، فنقلوها إلى مرحلة استقرار وإنشاء، حتى أصبحت الأندلس أغنى البلاد الأوروبية وأكثرها ازدحاماً بالسكان.

غيّر عرب إسبانيا شكل الأندلس في بضعة قرون من حيث المادة والعلم، وجعلوها في منزلة دونها جميع الممالك.

---

1 د. حسان حلاّق: **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية**، ص 263.

2 د. حسان حلاّق: **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية**، ص 263. د. عبد الرحمن علي الحجّي: **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، ص 40.

3 د. عبد الرحمن علي الحجي: **أندلسيات**، ج2، ص 152.

الفصل الأول

تعدد المراكز الحضارية في عهد ملوك الطوائف وأثره في الازدهار العلمي

المبحث الأول: انقسام الأندلس إلى دويلات

المبحث الثاني: السمات الحضارية لعصر دويلات الطوائف

المبحث الثالث: تنافس ملوك الطوائف العلمي

المبحث الرابع: دور أسر ملوك الطوائف وموقفها من النشاط العلمي والأدبي

المبحث الخامس: التميّز العلمي للأندلس في عصر ملوك الطوائف

كانت «قرطبة» في العصر الأموي أكثر حاضرة للعلم يؤمها العلماء، وتكاد تتركز فيها الدراسات العلمية، فلمّا انقسمت الدولة الكبيرة إلى دويلات صغيرة في القرن الخامس الهجري – الحادي عشر الميلادي – في عصر ملوك الطوائف، تعددت المراكز الحضارية، وقد أحدث ذلك تفاعلاً حضارياً واضحاً في تلك البيئات السياسية، ونجم عن تلك الأوضاع نزعات عميقة نحو الظهور بمظهر القيادة والزعامة في الجانبين السياسي والحضاري، وما يهمنا في هذا البحث هو دراسة الجانب الحضاري، وبالذات ما يتعلق منه بالعلم والمعرفة.

سنرى في هذا الفصل أثر تعدد المراكز الحضارية في عهد ملوك الطوائف في الازدهار العلمي. أبرز ملوك الطوائف، ومواقفهم تجاه العلم والأدب، وما أسهموا به من جهود عظيمة ومساع كبيرة في سبيل ازدهار الحركة العلمية والأدبية. فقد ازدهرت الحياة الفكرية في عصر ملوك الطوائف، وأسبغ عليها ملوك الطوائف كل تشجيع ورعاية. فقامت على أثر ذلك حركة علمية زاهرة لم يكن لها مثيل من قبل ومن بعد، فكان عصرهم عصر العلم.

انقسام الأندلس إلى دويلات

بسقوط الخلافة الأموية سنة 422هـ فقدت الأندلس وحدتها السياسية وانقسمت البلاد إلى دويلات صغيرة مستقلة أطلق عليها المؤرخون اسم «دويلات الطوائف» ويعرف رؤسائها بملوك الطوائف، وهم ما بين زعيم قبيلة[1]، أو صاحب نفوذ، أو حاكم لإحدى الكور أو وزير سابق[2] أو شيخ قضاء[3].

وجدير بالذكر أن نشير إلى أنّ وحدة الأندلس السياسية قد تفككت قبل ذلك التاريخ وأنّ ملوك الطوائف أو بعضهم ظهر قبل ذلك بسنوات عديدة.

وانقسمت الأندلس من الناحية الإقليمية إلى عدّة مناطق قامت فيها أهم دويلات الطوائف في البلاد وهي:

- قرطبة وأحوازها من المدن والمناطق الوسطى.
- إشبيلية وما يلحق بها من مناطق غرب الأندلس.
- بطليوس.
- غرناطة.
- بلنسية وما يلحق بها من المناطق شرق الأندلس.

---

1 مثل دويلة: غرناطة.

2 مثل دويلة: قرطبة.

3 د. خليل إبراهيم السامرائي، وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص 224.
د. محمد إبراهيم الفيّومي، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 64.

- سرقسطة أو الثغر الأعلى.
- طليطلة أو الثغر الأوسط.
- دانية وجزر البليار.

وتضم كل منطقة من المناطق المشار إليها إمارة أو أكثر من إمارات الطوائف وتتباين من ناحية المساحة وعدد السكان والأهمية العسكرية، واستمرّت هذه الدويلات حتى دخول المرابطين الأندلس الذين عملوا جاهدين على إعادة الوحدة السياسية إلى البلاد عن طريق إنهاء هذه الكيانات الواحدة تلو الأخرى[1].

وجدير بالذكر أن ملوك الطوائف، أو بعضهم على وجه صحيح، قد أسدوا للعلوم والمعارف أيادي بيضاء تذكر فتشكر، فعلى الرغم من التمزق السياسي في تلك الفترة، ووقوع الأندلس ضحية ممزقة بين أولئك الملوك والأمراء وما صاحبه من ضعف وتخاذل أمام الزحف النصراني من الشمال والذي هدد الوجود الإسلامي في ذلك القطر، وأنذر بسوء الأحوال وظلام المآل، برغم ذلك فإنّ أولئك الملوك الضعاف سياسياً وعسكرياً أمام عدوّهم المشترك كانوا في الجانب الحضاري رعاة وحماة للعلم والمعرفة، فشهد عصرهم أبهى وأجمل الآثار العلمية والأدبية.

1 د. خليل إبراهيم السامرائي، وآخرون: **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، ص 224.

المبحث الثاني

السمات الحضارية
لعصر دويلات الطوائف

يطلع القرن الخامس الهجري أي عصر ملوك الطوائف على بلاد الأندلس فإذا بالحضارة الإسلامية بكل أسباها ومقوماها قد كستها أنوار المعرفة.

استمر عصر دويلات الطوائف في الأندلس أكثر من ثمانين سنة، تنازعت فيه الدويلات القائمة أسباب الفرقة والخلاف، ودخلت في أتون النزاع المرير، وتحمّلت البلاد ما تحمّلت من نتائج ذلك الانحلال السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وتقع تبعية هذا الانحلال على جميع عناصر المجتمع الأندلسي دون استثناء، فالجميع عملوا على تكوين الدويلات في المناطق التي وجدوا فيها، واصطنعوا لأنفسهم الشرعية التي هي في الأساس الاعتماد على القوة العسكرية لفرض سلطاهم على من هم أضعف حالة من حكام تلك الدويلات.

وتوجهت جميع الدويلات القائمة نحو العمل لمصالحها الذاتية، دون أي حساب للقضايا القومية، أو حتى مصلحة الجماعة المنضوية تحت لوائها[1].

وقد كان لاختلاف عناصر المجتمع الأندلسي، وتعدد طوائفه من عرب وبربر وصقالبة وغير ذلك، كان لذلك أثره في اختلاف أجناس القيادات السياسية من مملكة لأخرى[2].

---

1 د. خليل إبراهيم السامرائي، وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص 248-249.

2 د. سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ص 67.

وعرف عصر ملوك الطوائف بالضعف السياسي، ونشوب الخلافات والصراعات بين ملوك المسلمين في الأندلس. وعلى الرغم من ذلك الضعف وتلك الخلافات، فقد ظلت الحركة العلمية والفكرية في تلك الحقبة خصبة؛ إذ لم يتوان أمراء الطوائف عن احتضان النشاط العلمي، ودعمه على نحو يعلمه من خبر تاريخ الأندلس.

فبالرغم من أنّ عصر ملوك الطوائف هو عصر تفكك سياسي وانقسامات، ولكن الإنتاج العلمي والأدبي ازداد وصار أكثر نضوجاً في هذا العصر. حتى أنّه فاق عصر الخلافة من حيث التطوّر العلمي. فنرى ازدياداً في الحركة الأدبية والعلمية على الرغم من الفرقة السياسية التي ضربت أطنابها ببلد الأندلس خلال ذلك العصر. فالمستوى العلمي الذي كانت عليه الأندلس خلال عصر الطوائف يختلف عن الحالة السياسية. سمت نهضته فوق هذه الحالة، وبرزت قوية وضّاءة. وذلك لرعاية ملوك الطوائف العلماء والأدباء، لأنّ معظمهم كان من رجال الأدب، فبذلك غدت قصورهم منتديات أدبية ومجامع حقة للعلوم والفنون. ولقد كانت هذه القصور، أكبر مبعث لهذه النهضة.

فإذا كانت ثمة من حسنة لهذه الدويلات وسمة إيجابية تذكر لها فهي توجهاتها العلمية. وكان ملوك الطوائف من حماة العلوم والآداب، وإنّها لظاهرة من أبرز ظواهر عصر الطوائف، أن يكون معظم الملوك والرؤساء من أكابر الأدباء والشعراء والعلماء، وأن تكون قصورهم منتديات زاهرة، ومجامع حقة للعلوم والآداب والفنون، وأن يحفل هذا العصر بجمهرة كبيرة من العلماء والكتاب والشعراء الممتازين، ومنهم بعض قادة الفكر الأندلسي والفكر الإسلامي بصفة عامة.

فقد كانت الأندلس وحواضره في عهد ملوك الطوائف مركزاً للعلم والمعرفة. فقرطبة وإشبيلية والمرية وطليطلة وبطليوس وبلنسية وغيرها عاشت عواصم ثقافية، ضمت العلماء والمعاهد، كما كانت هي وعموم مدن الأندلس مليئة بالمكتبات الخاصة والعامة. وكانت لعديد

من الأمراء مكتبات ضخمة، وعنايتهم بها كبيرة[1].

لم يكن من تفاوت كبير بين تلك الدول فيما تنتجه من نظم سياسية أو إدارية. غير التباين الحقيقي كان واضحاً في الصبغة الأدبية والعلمية التي انتحلتها كل دولة، وكان هذا أيضاً تابعاً لميول الفرد الواحد دون الآخر؛ ولما كان الأدب يومئذ سلعة يصدق عليها مبدأ العرض والطلب، كان نفاقها بمقدار ميل الأمير لها أو حاجته إليها أو قدرته على تقديرها واستساغتها[2].

فإنّ كل دولة من هذه الدول حاولت أن تكون بؤرة ثقافة وهالة ورياسة، وإن اختلفت نوع الثقافة المسيطرة. فبنو عباد للأدب والأدباء وفي بلاطهم شعراء كبار كابن عمار ومنهم أنفسهم شعراء وأدباء.

وقد تمتع العلماء في عصر ملوك الطوائف بجو من الحرية شجعهم على البحث المنطلق فازدهرت العلوم الفلسفية والرياضية والطبيعية ازدهاراً غير مسبوق مما أدّى للعالم – وبخاصة أوروبا – أجل خدمة، ومما كان له الأثر الواضح في نهضتها[3].

وبرز في هذا العصر علماء أفذاذ وصلوا القمة، وكذا شعراء وأدباء وكُتّاب. عاش بعض هؤلاء شبابهم قبل الفتنة، تركوا المؤلفات الكثيرة التي تحتل المكانة الرفيعة، من أمثال: ابن حزم صاحب المؤلفات الغنية. هو، كابن حيان وابن بسام وآخرين، أرّخوا لعصرهم أيضاً.

ويُقدّم عصر الطوائف إنتاجاً غزيراً وفيراً ومشرقاً مبدعاً في مختلف الميادين. فهو زاخر بالمؤلفات الأمهات والأصول الضخمة التي وصلنا بعضها.

فإنّ الظاهرة التي امتاز بها هذا المجتمع وقلّ أن يشاركه فيها مجتمع آخر هي استمرار التقدم الحضاري حتى في أظلم عصوره السياسية وأقساها محنة، فلم يتوقف تيار الحضارة في عهد من العهود، ولم ترجع المدنية في هذه البلاد حتى أخرج العرب من ديارهم وزالت إلى الأبد دولتهم.

---

1 د. عبد الرحمن علي الحجي: **التاريخ الأندلسي**، ص 415.

2 د. إحسان عباس: **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين**، ص 71.

3 علي محمد راضي: **الأندلس والناصر**، ص 69.

المبحث الثالث

تنافس ملوك الطوائف العلمي

تقسّمت الدولة الأندلسية إلى دويلات مستقلة، وكان للنزاع السياسي والصراع العسكري بين تلك الممالك والإمارات أثر في تولـد ألـوان مـن السلوك الحضاري الذي يستهدف الظهور بمظهر الفخامة والعظمة والتألّق في شتى ميادين الحضارة لما يلمسوه في ذلك من تميز لبعضهم على بعض.

فاستكثر ملوك الطوائف في مختلف عواصمهم مـن مهـاد الحضـارة الخصبة، وضربوا مثلاً جديداً لما يمكن أن يفعله الذكاء والتنافس، بل التفاخر أحياناً.

فكانت ملوك كل مدينة تُزهى بالعلماء، وتقرّهم، وتعتقد أنّهم أحسـن دعاية لهم؛ وقد ساعد ذلك أنّ البلاغة، وإتقان الأدب كانا أيضـاً وسـيلة للوزارة[1].

وكانت قصور الطوائف تتنافس في هذا الميدان وتتسابق، شعوراً منها بما تجتنيه من وراء ذلك من فخر ومجد، وما تسجله من روائع المنظوم والمنثور من ذخر وذكر[2].

فبدأ ملوك الطوائف يقلّدون الخلفاء الأمويين في تعلّقهم بالعلم والعلماء وتشجيع الكتاب والمؤلفين، واتخذ كل ملك منهم لنفسه بطانة من الشـعراء يقرّهم ويغدق عليهم ويرقيهم إلى منصب الوزارة ليشيدوا باسمه وليمجـدوا أفعاله ويخلدوا ذكره..

1 أحمد أمين: **ظهر الإسلام**، ج3، ص 36.

2 د. محمد إبراهيم الفيّومي: **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس**، ص 152.

فكان لملوك الأندلس غرام باصطفاء كبار العلماء للوزارة، يشتملون على الدولة ويديرون أمرها، ومنهم من برزوا في السياسة والإدارة وقيادة الجيوش تبريزهم في العلم والأدب، وكانوا يتشددون كثيراً في البحث عن أصولهم، والأغلب أنّهم كانوا من أصول عربية[1].

كذلك كان الخلفاء في الأندلس في حاجة شديدة إلى الطب والتنجيم، فقرّبوا الأطباء والمنجّمين، وكان الطب والتنجيم المدخل إلى الفلسفة[2].

فكان أولئك الملوك - أو بعض منهم على الأصح - حريصين على أن تضم بلاطاهم أكبر عدد من العلماء النابغين في شتى حقول المعرفة، بل وجدنا بعضهم يسعى جاهداً في اجتذاب ما لدى منافسيه من علماء وأدباء[3].

وظاهرة المنافسة بين أولئك الملوك بيّنة واضحة، نلمسها من خلال دراستنا لسيرهم ومواقفهم تجاه أرباب العلم والمعرفة، بالإضافة لدراستنا لحياة كثير من العلماء والأدباء الذين وردوا على قصور أولئك الملوك وتفرقوا في تلك المراكز الحضارية حسب اعتقاد كل منهم بأفضلية بلاط على بلاط آخر من حيث التكريم والتشجيع.

فقد بلغ من تنافس الملوك على الشعر وأهله ما حكاه الشَّقُنْدي[4] من أنّ أحد شعرائهم لما رأى منافستهم في أمداحه حلف أن لا يمدح أحداً منهم بقصيدة إلاّ بمائة دينار، وأنّ المعتضد بن عباد على ما اشتهر من سطوته وإفراط هيبته كلفه أن يمدحه بقصيدة فأبى حتى يعطيه ما شرطه في قسمه[5].

---

1 محمد كرد علي: **الإسلام والحضارة العربية**، ج1، ص 262.

2 أحمد أمين: **ظهر الإسلام**، ج3، ص 36.

3 د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف**، ص 122.

4 هو إسماعيل بن محمد، أبو الوليد الشقندي، أديب أندلسي، له شعر من أهل شقندة مولده بها، ووفاته بإشبيلية (سنة 629هـ/1232م). ولي في وقت، قضاء بياسة قرب حيان، وقضاء لورقة من أعمال مرسية. له رسالة في «فضل الأندلس» وصف بها أشهر مدنها، و«مناقل الدرر، ومنابت الزهر» و«المعجم» في التراجم.

خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج1، ص 323.

5 د. لطفي عبد البديع: **الإسلام في إسبانيا**، ص 82.

وبلغ من شغف المعتمد بتقريب العلماء وملازمتهم بلاطه محاولته اجتذاب الشاعرين الأديبين أبو العرب الزبيري[1]، وأبو الحسن علي بن عبد الغني الحُصْري[2]، فقد بعث المعتمد بن عبّاد إلى أبي العرب الزبيري خمسمائة دينار، وأمره أن يتجهّز بها ويتوجه إليه، وكان بجزيرة صقلية وهو من أهلها، وبعث مثلها إلى أبي الحسن الحُصْري وهو بالقيروان[3].

و لم يكن هذا الأمر موقوفاً على الملكين المعتضد والمعتمد بل كان غيرهم من ملوك الطوائف على شاكلته، أمثال بني الأفطس في بطليوس، وبني هود في سرقسطة، وبني ذي النون في طليطلة، ومجاهد العامري في دانية.

فإنّ أولئك الملوك كانوا مسارعين في اجتذاب العلماء إلى عواصمهم، متنافسين في تقريب النابغين منهم، وكانوا يحيطونهم بضروب التكريم وألوان التشجيع المادي والمعنوي، ولئن وصمهم التاريخ بالتخاذل والضعف السياسي والعسكري، فإنّه أمين على حفظ مآثرهم العظيمة وآثارهم الكريمة في ميادين

---

1 هو مصعب بن محمد بن أبي الفرات القرشي العبدري الصقلي، أبو العرب. شاعر، عالم بالأدب، من أهل صقلية، ولد سنة 423هـ/1032م. سكن إشبيلية. وكان المعتمد بن عباد يعرف قدره ويبالغ في إكرامه. قدم على المعتمد سنة 465هـ فحظي عنده وعند ملوك الأندلس وعند ملوك الأندلس في تردده عليهم، و«ديوان شعره» بأيدي الناس. وصار أخيراً إلى ناصر الدولة (صاحب ميورقة) فتوفي سنة 506هـ/1112م.
خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج7، ص 249. ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج3، ص 294.

2 هو علي بن عبد الغني الفهري الحصري، أبو الحسن، شاعر مشهور، كان بحر براعة، ورأس صناعة، وزعيم جماعة. كان ضريراً، من أهل القيروان، انتقل إلى الأندلس منتصف المائة الخامسة من الهجرة بعد خراب وطنه من القيروان. اتصل ببعض الملوك، فتهادته ملوك طوائفها، وتنافسوا فيه، ومدح المعتمد ابن عباد بقصائد. كان عالماً بالقراءات وطرقها، وأقرأ الناس القرآن الكريم بسبتة وغيرها. ومات في طنجة سنة 488هـ/1095م. وألف له كتاب «المستحسن من الأشعار» وله «ديوان شعر» و«القصيدة الحصرية» في القراءات 212 بيتاً.
ابن بشكوال: **الصلة**، ص 345-346. ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج3، ص 291-292. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج4، ص 300-301.

3 ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج3، ص 293.

العلم والمعرفة والارتقاء بها قمة الازدهار وذروة التطوّر، وهو أمـــر تشـــهد بصحته وحقيقته كتب التاريخ والتراجم والسير.

وكان من أثر ذلك التنافس العميق بين أولئك الملوك أن غلب على كل بلاط من بلاطاتهم لون من ألوان المعرفة والأدب والفن الرفيع، وتميز كل منهم بميزة خاصة، فامتاز صاحب بطليوس بالعلم الغزير، وامتاز ابـــن ذي النـــون صاحب طليطلة بالبذخ البالغ، وفاق ابن رزين صاحب السـهلة أنـــداده في الموسيقى، واختص المقتدر بن هود صاحب سرقسطة بالعلوم، وبرز ابن طاهر صاحب مرسية أقرانه بالنثر الجميل المسجوع، أما الشعر فكان أمراً مشتركاً بينهم جميعاً، يلقى منهم كل رعاية، ولكن عناية بني عباد أصحاب إشـــبيلية الجميلة به كانت أعظم وأشمل[1].

وهناك ملاحظة على هذا النص، وهو أنّ بني ذي النـــون، وإن تميّـــزوا بالبذخ في ميدان العمارة والبناء والتشييد، إلاّ أنّهم وخصوصاً المأمون مسن بينهم كانت له أياد بيضاء على الحركة العلمية، فشهد بلاطه وعاصمة مملكته أعداداً كبيرة من العلماء، وبخاصة أولئك المتخصصـــون في العلـــوم البحتـــة والتجريبية كالرياضيات والفلك والطب إلى جانب الفلسفة والمنطق، فخرج من طليطلة أعلام بارزون فيها، بل إننا وجدنا تلك المدينة تتفوق على غيرها من المدن في تخريج علماء الفلك والرياضيات والزراعة وغيرها مـــن العلـــوم التطبيقية، وهذا يؤكد دور بني ذي النون في الحركة العلميـــة، فلـــم تكـــن جهودهم قاصرة على الناحية العمرانية فقط[2].

ونشأ عن هذا التنافس بين أولئك الملوك أن نهضـــت الآداب والعلـــوم نهضة بلغت بها أقصى درجات ازدهارها في تاريخ الأنـــدلس الإســـلامي. واستمرت العلوم والآداب مزدهرة مثمرة في عهد ملوك الطوائف، بل هي قد نشطت عن ذي قبل. وقد امتدت هذه النهضة الفكرية والأدبية التي ازدهرت في عصر ملوك الطوائف إلى عهد المرابطين.

---

1 د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف**، ص 123.

2 د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف**، ص 123-124.

فقد رأينا مما سبق أنّ هناك أسباباً لتقريب الملوك العلماء في بلاطهم. فإنّ تعدد الحكومات والزعامات السياسية في عهد ملوك الطوائف، نجم عن تلك الأوضاع نزعات عميقة نحو الظهور بمظهر الفخامة والعظمة والتألّق في شتى ميادين الحضارة لما يلمسوه في ذلك من تميز لبعضهم على بعض. من أجل ذلك كانت ملوك كل مدينة تُزهى بالعلماء، وتقرّبهم، وإنّ أولئك الملوك كانوا مسارعين في اجتذاب العلماء إلى عواصمهم، متنافسين في تقريب النابغين منهم، حريصين على أن تضم بلاطاتهم أكبر عدد من العلماء النابغين في شتى حقول المعرفة، بل وجدنا بعضهم يسعى جاهداً في اجتذاب ما لدى منافسيه من علماء وأدباء. وكانوا يشجّعوهم ويكرموهم. ويعتقدون أنّهم أحسن دعاية لهم؛ ولحفظ مركزهم. وبفضل المنافسة بين أولئك الملوك انتعشت العلوم والآداب.

ولإبراز دور ملوك الطوائف في الحركة العلمية وازدهارها وجب علينا دراسة دور كل أسرة من تلك الأسر الملوكية وموقفها من نشاط العلوم والآداب ومدى إسهامها في ذلك النشاط العلمي الكبير، وسيكون التركيز على أولئك الملوك أو تلك الأسر التي لعبت دوراً فعّالاً في ذلك الميدان.

المبحث الرابع

دور أسر ملوك الطوائف
وموقفها من النشاط العلمي والأدبي

1- بنو عباد بإشبيلية وقرطبة

في الوقت الذي كانت فيه إشبيلية تعلن استقلالها عن قرطبة سنة 1023م، كانت إسبانيا المسلمة مفكّكة وموزّعة على 23 مدينة/دويلة. وكان الكثيرون يفضّلون إشبيلية لفتنتها، ولروعة شعرائها الملهمين، وحدائقها وورودها[1].

ونلاحظ تحول إشبيلية في هذه الفترة إلى مركز علمي وأدبي من الطراز الأول، حيث أخذ الفلكيّون والشعراء والفلاسفة يؤمّونها من جميع أطراف الأندلس طلباً للدعم من البلاط العبادي تحت رعاية الملكين المعتضد والمعتمد. وعند النظر في هذه الفترة، فإنّ الذهن يقفز في الحال إلى الشعراء[2]. فكانت إشبيلية مركز الشعر والشعراء حينئذ، وأصبحت بلدهما مهوى أفئدة الشعراء يهوون إليها من كل بلدة في الأندلس[3].

فالشعراء كانوا يقيمون بينهم مباريات حقيقية. ويروي ابن خلدون أنّ لجنة فاحصة كانت تشرف على تلك المباريات وتقلّدهم الجوائز السنويّة[4].

1 جاك ريسلر: **الحضارة العربية**، ص 232.

2 رفاييل بالنثيا: «**إشبيلية الإسلامية: تاريخها السياسي والاجتماعي والثقافي**»، في كتاب: د. سلمى الخضراء الجيوسي: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ج1، ص 222.

3 د. شوقي ضيف، **ابن زيدون**، ص 13.

4 جاك ريسلر: **الحضارة العربية**، ص 232.

واجتذبت إشبيلية كذلك الباحثين من جميع الأصناف كما حدث فيما بعد، أيام الموحّدين[1].

أسرة بني عباد أسرة تنتمي إلى النعمان بن المنذر اللخمي، آخر ملوك الحيرة، الملقّب بماء السماء، وكثيراً ما كان يمدحه الشعراء بماء السماء، مستخدمين الاسم والمعنى، وأفرادها يعتزّون بالانتساب إليها، وقد كانوا أشهر ملوك الطوائف، فملكوا إشبيلية وقرطبة، وفيهم يقول القائل:

من بني المنذرين وهو انتسابٌ زاد في فخرهم بنو عبّادِ
فتيةٌ لم تلد سواها العالي والمعالي قليلةُ الأولادِ[2]

تعتبر أسرة بني عباد اللخمية التي حكمت إشبيلية وقرطبة من أعظم الأسر الحاكمة آنذاك، والتي قدمت للحركة العلمية جهوداً موفقة وعظيمة، ولإيضاح هذا الدور الكبير الذي لعبته وقامت به في ذلك النشاط وجبت الإشارة إلى ما كان يتمتّع به حكّامها من صفات وسمات علمية وأدبية رسّخت في أنفسهم جذور الاهتمام العلمي، والرغبة الشديدة في تشييد صرح فكري شامخ سلكوا في بنائه طرقاً حكيمة من التشجيع والتكريم، العطاء السخي لأرباب المعرفة والأدب. فقد عرفوا بالفقه والأدب والشجاعة وعلو الهمة.

وكان مُلك بني عبّاد ثلاثاً وسبعين سنة، للمعتمد فيها ثلاث وعشرون[3]. وإنّ مؤسس هذه المملكة هو القاضي **محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي**[4]،

---

1 رفاييل بالنثيا: «إشبيلية الإسلامية: تاريخها السياسي والاجتماعي والثقافي»، في كتاب: د. سلمى الخضراء الجيوسي: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج1، ص 222.

2 أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج3، ص 170-171.

3 ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص 65.

4 هو محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد، من بني عطاف بن نعيم اللخمي، من نسل ملك الحيرة النعمان بن المنذر، كنيته أبو القاسم، ويقال له القاضي ابن عباد. مؤسس الدولة العبادية في إشبيلية، بالأندلس، ويلقّب بالقاضي ذي الوزارتين. أصله من العريش (بين مصر والشام) وأول من دخل الأندلس من أسلافه نعيم وعطاف. وكان عاقلاً مهيباً كريم اليد، وافر النفقة، قديم الجاه على سلطان الأندلس من العامريّة،

وهو على قدر كبير من العلم والأدب، قال النباهي: «كان حسن المعرفة بقِطع من الشعر، صالح النظر في الفقه، عالماً، كاتباً حليماً، أديباً حسيباً»[1].

فإنّ بلاط بني عباد خلال حكم القاضي محمد، قد شهد نشاطاً أدبياً وشعرياً سيكون نواة لنهضة أدبية رائعة بعد ذلك.

وإذا انتقلنا إلى **المعتضد**[2] ابن القاضي محمد ألفيناه متصفاً بالأدب الواسع وقرض الشعر البديع، والاحتفاء بالعلماء والأدباء وتشجيعهم وإكرامهم، فكان يغمرهم بالعطاء الكثير[3].

مشتغلاً لهم بالأمور العظيمة. وكان أبو القاسم في بدء أمره قاضياً بإشبيلة، أيام استيلاء (القاسم بن حمود) عليها بعد زوال دولة الأمويين. ثم استقل بها، وتلقّب بالظافر، وتملك قرطبة وغيرها. واستمرّ أبو القاسم إلى أن توفي سنة 433هـ/1041م. وفي بغية الملتمس: «كان له اطلاع على الأدب، يشارك الشعراء والبلغاء في صنعة الشعر وحوك البلاغة والرسائل بسطاً لهم وإقامة لهممهم، ولما في طبعه من ذلك. وبالجملة فهو وبنوه وذووه رياض آداب وعلوم».

الحميدي: **جذوة المقتبس**، ص 71-72. الضّبي: **بغية الملتمس**، ص 101. ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج4، ص 275. النباهي: **تاريخ قضاة الأندلس**، ص 94.

1 النباهي: **تاريخ قضاة الأندلس**، ص 94.

2 هو عباد بن محمد بن إسماعيل، ابن عباد اللخمي، أبو عمرو، الملقب بالمعتضد بالله. صاحب إشبيلية، في عهد ملوك الطوائف، ولد سنة 404هـ/1013م. كان في أيام أبيه يقود جيشه لقتال بني الأفطس وغيرهم. وولي الأمر بعد وفاته (سنة 433هـ) فتلقب – كأبيه – بالحاجب، وأبقى الخطبة في إشبيلية وأكثر الكور باسم «المؤيد بالله» هشام بن الحكم الأموي وحجبه عن الناس، وصبر عليه طويلاً. ثم أعلن أنّه قد مات (سنة 451) وأخذ البيعة لنفسه. وكان شجاعاً حازماً، ينعت بأسد الملوك. طمح إلى الاستيلاء على جزيرة الأندلس، فدان له أكثر ملوكها، واستولى على غربها مثل شلب (Silves) وشنت برية (Sontebria) ولبلة (Niebla) وشلطيش (Saltes) وجبل العيون (Gibraleon) وغيرها، وولى عليها العمّال (سنة 443). وطالت مدته، ونفقت بضاعة الأدب في عصره. وكان يطرب للشعر، ويقوله، وقد جُمع له «ديوان» في نحو ستين ورقة. وأخباره كثيرة. توفي بإشبيلية سنة 461هـ/1069م، بالذبحة الصدرية.

الضّبي: **بغية الملتمس**، ص 345. ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج4، ص 276-277. الحميدي: **جذوة المقتبس**، ص 263. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج3، ص 257-258.

3 د. إحسان عباس: **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين**، ص 76. رينهارت دوزي: **ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام**، ص 97-98.

وكان للمعتضد في قصره ديوان للشعراء مرتبين فيه حسب قدراتهم وبراعتهم في الشعر.

وعرف عن المعتضد اهتمامه بالبحث والتصنيف الأدبي، فكان مشجعاً للأدباء على هذا اللون من النشاط العلمي والأدبي، فصنف باسمه كثير من الكتب، ومع الأسف فإنّ أكثرها لم يخرج إلى الناس، أو أنّها فقدت بزوال ملك بني عباد ونهب خزائنهم، ومما ظهر وشاع من تلك الكتب، ما ألفه الأعْلَم الشَّنْتَمَري[1] الأديب المشهور كشرح الأشعار الستة، وشرح الحماسة[2].

وبناء على ذلك يتضح لنا مدى ما كان يتصف به المعتضد من اهتمامات واسعة بالعلم والأدب، وما قدمه للعلماء والأدباء من ضروب التشجيع والتكريم وحرصه الشديد على أن يشتمل بلاطه على أعلام الفكر في عصره، ولهذا قال الحميدي: «وعلى كل حال فلأهل العلم والأدب بهذا البيت الجليل سوق نافعة، ولهم في ذلك همة عالية»[3].

فإنّ دور المعتضد في الحياة الأدبية لذلك العصر أكثر أهمية في الحركة الأدبية من أهميته شاعراً، ونعني بها تشجيعه للشعر واحتضانه للشعراء. وقد كانت العوامل التي دفعته إلى ذلك كثيرة متعددة، فبالإضافة إلى ثقافته الأدبية الواسعة التي جعلت منه ناقداً قديراً للشعر وهاوياً من هواته، فقد كان المعتضد واسع المطامح، كثير الاعتداد بنفسه، لذا فقد كان يطرب للمديح ويهتز للشعر، فشجع الشعراء على الالتفات حوله والإطناب في الإشادة بمآثره وتخليد أعماله وتمجيد فتوحاته وانتصاراته؛ وكان لهذا الموقف من الملك الشاعر أثره في جذب عدد

---

1 هو يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي، أبو الحجاج المعروف بالأعلم، عالم باللغة والأدب. ولد في شنتمرية الغرب (Santa Maria Algarve) سنة 410هـ/1019م ورحل إلى قرطبة. وكف بصره في آخر عمره. ومات في إشبيلية سنة 476هـ/1084م. كان مشقوق الشفة العليا، فاشتهر بالأعلم. من كتبه «شرح الشعراء الستة» و«تحصيل عين الذهب» و«شرح ديوان الحماسة»؛ وغيرهم. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج8، ص 233.

2 ابن عذاري: **البيان المغرب**، ج3، ص 284.

3 الحميدي: **جذوة المقتبس**، ص 263.

كبير من الشعراء من الطبقات الوسطى والعامة ممن يتكسب بشعره أو يتقرب إلى السلطان، إلى بلاط الملك ونظمهم القصائد الطويلة في مدحه[1].

المُعتمِد بن **عَبّاد**[2] الملك الشاعر، صاحب إشبيلية، هو إحدى الشخصيات الأكثر أهمية في التاريخ الأندلسي[3].

---

1 د. صلاح خالص: **إشبيلية في القرن الخامس الهجري**، ص 151.

2 هو محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل اللخمي، أبو القاسم، المعتمد على الله، صاحب إشبيلية وقرطبة وما حولها، وأحد أفراد الدهر شجاعة وحزماً وضبطاً للأمور. من ولد النعمان بن المنذر اللخمي آخر ملوك الحيرة. ولد في باجة (بالأندلس) سنة 431هـ/1040م، وولي إشبيلية بعد وفاة أبيه (سنة 461هـ) وكان عمره ست وعشرون سنة. وامتلك قرطبة وكثيراً من المملكة الأندلسية، واتسع سلطانه إلى أن بلغ مدينة مرسية (وكانت تعرف بتدمير). أندى ملوك الأندلس راحة، وأرحبهم ساحة، وأعظمهم ثماراً، وأرفعهم عماراً. وأصبح محط الرحّال، يقصده العلماء والشعراء والأمراء. وما اجتمع في باب أحد من ملوك عصره ما كان يجتمع في بابه من أعيان الأدب. وكان فصيحاً شاعراً وكاتباً مترسلاً، بديع التوقيع، له «ديوان شعر». ولم يزل في صفاء ودعة إلى سنة 478هـ. وفيها استولى ملك الروم «الأذفونش» ألفونس السادس على «طليطلة» وكان ملوك الطوائف وكبيرهم المعتمد ابن عباد، يؤدون للأذفونش ضريبة سنوية، فلما ملك «طليطلة» ردّ ضريبة المعتمد، وأرسل إليه يهدده ويدعوه إلى النزول له عما في يده من الحصون. فكتب المعتمد إلى يوسف بن تاشفين (صاحب مراكش) يستنجده، وإلى ملوك الأندلس يستثير عزائمهم. ونشبت (سنة 479هـ) المعركة المعروفة بوقعة «الزلاقة» فانهزم الأذفونش (ألفونس) بعد أن أبيد أكثر عساكره. وثارت فتنة في قرطبة (سنة 483هـ) قتل فيها ابن للمعتمد، وفتنة ثانية في إشبيلية أطفأ المعتمد نارها، فخمدت. ثم اتقدت، وظهر من ورائها جيش يقوده «سير بن أبي بكر الأندلسي» من قواد جيش «ابن تاشفين» وحوصر المعتمد في إشبيلية. واستولى الفزع على أهل إشبيلية وتفرقت جموع المعتمد، وقتل ولداه «المأمون» و«الراضي»، واستسلم للأسر (سنة 484هـ) وحُمل مقيّداً، مع أهله، على سفينة. وأدخل على ابن تاشفين، في مراكش، فأمر بإرساله ومن معه إلى أغمات Agmat وهي بلدة صغيرة وراء مراكش. وبقي في أغمات إلى أن مات سنة 488هـ/1095م. وهو آخر ملوك الدولة العبادية.

ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج4، ص 277-278. ابن الأبار: **الحلّة السيراء**، ج2، ص 54-55. الضّبّي: **بغية الملتمس**، ص 101-102. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج6، ص 181. جاك ريسلر: **الحضارة العربية**، ص 232.

3 RAMÍREZ DEL RÍO José, *LA ORIENTALIZACIÓN DE AL-ANDALUZ (Los días de los árabes en la Penísula Ibérica)*, Sevilla, .UNIVERSIDAD DE SEVILLA, 2002, p. 212

وإنّ شهرة البيت العبادي وذيوع صيتهم في علم الأدب، كانت منوطة بالمُعْتمِد بن عَبّاد الذي اشتهر بالأدب شهرته كملك عظيم من ملوك عصره، حتى أنّه صار أكبر شاعر في أسبانيا المسلمة. فمنذ سنين مراهقته، كان المعتمد يفضل مجتمع الفنانين ورجالات الأدب على مجتمع السياسيين؛ وفوق ذلــك كان شديد الولع بالآداب والفنون والعلوم[1].

كان المعتمد شاعراً وراعياً للشعراء. فقد نشأ المعتمد في محيط بالغ الثروة والأبهة والجاه، وفي جو يشجّع على الإبداع الشعري والأدبـــي[2].

وقد اكتسب المعتمد هذه الشهرة بعد طول مدارسة للأدب ومطالعـــة لكتبه ومصنفاته، إلى جانب رغبته العميقة في صقل موهبته الشعرية وتقويـــة ملكته الأدبية، وهو أمر يتضح لنا من خلال دراسة أدبه وشعره وآرائه النقدية حول ذلك. وقد أكسبه حبه للأدب واهتمامه بالشعر نظراً عميقــاً، ونقـــداً صحيحاً لما يسمعه منه[3]. وبلغ من مهارته في علوم اللغة أننا نـــراه يراســـل الأستاذ الأعلم النحوي ويناقشه مناقشة لغوية[4].

ولقد كان لشخصية المعتمد الأدبية بلا ريب أثر عظيم وبالغ في الحيـــاة الأدبية من حوله، فقد كان شديد الرغبة، عظيم العناية في اجتذاب العلمـــاء والأدباء إلى بلاطه حريصاً على إكرامهم واستدعائهم من بلدان بعيدة، حتى اجتمع لديه من أهل العلم والأدب ما لم يجتمع لغيره من ملوك عصره، وغدا بلاطه حافلاً بأعداد كبيرة من الأدباء والشعراء وكانوا يمثلون آنذاك أساطين الأدب والشعر، وكانوا يلقون في بلاط المعتمد كل مظاهر الحفاوة والرعاية[5]. فكان يعرف كيف يكافئ بلا أنانية، أفضل منافسيه، عندما كانوا ينازعونـــه

---

1 جاك ريسلر: **الحضارة العربية**، ص 232.

2 د. سلمى الخضراء الجيوسي: «**الشعر الأندلسي: العصر الذهبي**»، في كتاب: د. سلمى الخضراء الجيوسي: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ج1، ص 527.

3 د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف**، ص 128.

4 د. سعد إسماعيل شلبـــي: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر**، ص 43.

5 ابن خلكـــان: **وفيـــات الأعيـــان**، ج4، ص 277. المقـــري: **نفـــح الطيـــب**، ج4، ص 255.

قصب النبوغ. وكان المعتمد قد عرف بحكمة كيف يحتفظ بـــوزير أبيـــه، ابن زيدون (1033–1073م)[1].

ومما يذكر عن سيرته في اختيار وزرائه، أنّه كان لا يستوزر إلا من كان متحلياً بالأدب ناظماً للشعر، فكان بلاطه على هذه الحال منتـــدى لـــلأدب والشعر على الدوام[2].

وعلى الرغم من احتلال الأدب والشعر المنزلة الأولى في بلاط بني عباد إلا أنّ هذا لم يمنعهم من تشجيع بقية أهل العلم والمعرفة، فقد كان تكـــريمهم لهم لا يعرف حدوداً ولا قيوداً، فكان المعتمد عظيم التقدير لأهـــل العلـــم مسارعاً في تفقد أحوالهم ورعاية حقوقهم، فعندما مات العلامة أحمد بن محمد بن يحيى[3] المعروف بابن الحذاء مشى المعتمد في جنازته راجلاً[4].

واشتهر في الأدب من أبناء المعتمد ابنه **الراضي يزيد**[5] الذي عرف عنـــه

---

1 جاك ريسلر: **الحضارة العربية**، ص 232.

2 المَرَّاكُشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ص 154-155.

3 هو أحمد بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يعقوب بن داود التميمي، يُعرف بابن الحذاء، يكنى أبا عمر. فقيه قرطبـــي محدث، حافظ مشهور. ولد سنة 380هـــ. روى عن أبيه أكثر روايته، وندبه صغيراً إلى طلب العلم والسّماع مـــن الشيوخ الجلّة في وقته. وجلا عن وطنه إذْ وقعت الفتنة، وافترقت الجماعة، فسكن مدينة سَرَقُسْطة والمَرية. تقلد أحكام القضاء بمدينة طُلَيْطُلَة ثم بدانية، ثم انصرف في آخر عمره إلى قرطبة، فكان مُتَصرفاً بين مدينة إشبيلية وقُرطبة إلى أن توفي بإشبيلية سنة 467هـــ. ابن بشكوال: **الصلة**، ص 67-68. الضبّي: **بغية الملتمس**، ص 140.

4 ابن بشكوال: **الصلة**، ص 67-68.

5 هو يزيد بن محمد الراضي، ولاّه أبوه الجزيرة الخضراء، وكان بها عنـــد إجـــارة عســـاكر ابن تاشفين اللمتوني البحر واشتراطه إياها، فنقله إلى رُنْدة؛ وهو شقيق عبّاد والفتح وعبيـــد الله المعتدّ بن المعتمد، أمّهم اعتماد. وكان الراضي من أهل العلم والأدب، كَلِفاً بالمطالعـــة والدراسة، قرأ كتب القاضي أبـــي بكر بن الطيّب، وأشرف على مذهب أبـــي بكـــر بن حزم الظاهري، فمهر في الأصول وذهب إلى النظر والاختيار. ولد الراضي ســـبعة مـــن البنين، وهو أقلّ بني عباد من الرؤساء ولداً، وكان عالي الهمة. وهو شاعر بني عباد بعد أبيه، على أنّه أقوى عارضةً منه، وأبوه ألطف منه طبعاً وأرق صُنعاً. واستُنزل الراضي من رُنـــدة عند خلع أبيه، وبعد مخاطبته إياه بذلك على عهود أُخفرتْ ومواثيق نُقضتْ، فقتل صـــبراً في رمضان سنة أربع وثمانين وأربعمائة. ابن الأبار: **الحلّة السيراء**، ج2، ص 70-71.

عنايته بالعلم والأدب وشغفه بالمطالعة والدراسة لكتبه حتى وصفه ابن اللبانة[1] بأنه عالم بالشرعيات عارف بالطبيعيات، ماهر في التاريخ والأنساب والآداب وأنّه شاعر بني عباد بعد أبيه المعتمد[2].

عرفت هذه الأسرة بعلمها وأدبها، منهم القضاة، كمؤسس الأسرة إسماعيل وابنه محمد. منهم الأدباء والشعراء، كعبّاد المعتضد وابنه محمد المعتمد. جمعوا في بَلاطهم كثيراً من رجالات العصر وكُتّابه وشعرائه، أمثال ابن زيدون (463هـ) وابن وهبون (507هـ) وابن عمّار (477هـ). اشتهرت مع ابن زيدون الشاعرة الأديبة ولاّدة (484هـ) بنت الخليفة المستكفي (416هـ) في قرطبة[3].

وعلى الجملة كانت دولة بني عبّاد بالأندلس من أبهج الدول في الكرم والفضل والأدب، حتى قال ابن اللبّانة رحمه الله تعالى: «إنّ الدولة العبّادية بالأندلس أشبه شيء بالدولة العباسية ببغداد، سعة مكارم، وجمع فضائل، ولذلك ألّف فيها كتاباً مستقلاً سماه (الاعتماد في أخبار بني عبّاد)»[4].

وأخيراً فإنّ ما ذكرناه عن بني عباد، وما اتصف به كل منهم من صفات أدبية رائعة وما لعبته تلك الأسرة العربية العريقة من دور فعّال في ازدهار دولة الأدب ونهوض الشعر في إشبيلية وقرطبة، ليؤكد لنا مكانة بني عباد في تاريخ الحياة العلمية وخاصة ما يتعلق منها بالحركة الأدبية، وما من شك أنّ اهتمامهم وعنايتهم بالأدب والشعر، قد أثمر وآتى أكله، فصنفت التصانيف وأُلّفتْ بأسماء أولئك الملوك روائع من التآليف، ولمع في بلاطهم

---

1 هو محمد بن عيسى بن محمد اللخمي، أبو بكر، المعروف بابن اللبانة. أديب أندلسي، شاعر. من أهل دانية. كان من كبراء دولة ابن صمادح (محمد بن معن) وتوفي بميورقة سنة 507هـ/1113م. له تصانيف، منها «مناقل الفتنة» و«نظم السلوك في وعظ الملوك» و«سقيط الدرر ولقيط الزهر» في شعر ابن عبّاد، و«ديوان شعر». خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج6، ص 322.

2 ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2، ص 70-71.

3 د. عبد الرحمن علي الحجّي: **التاريخ الأندلسي**، ص 413-414.

4 المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص 255.

أدباء بارعون وشعراء ماهرون، لا يزال بعض إنتاجهم وثمرات قرائحهم ماثلاً بين أيدينا.

2- بنو هود في سرقسطة

وكذلك بنو هود بسرقسطة، فقد امتاز بلاطهم على مجموع أو غالبية بلاطات الطوائف الأخرى بالاهتمام بالعلوم القديمة واستقطاب المشتغلين بها وتشجيعهم. فكان العلماء يلقون من هذه الأسرة كل رعاية وتشجيع وتكريم.

وتعود شهرة هذه الأسرة إلى اهتماماتها العميقة بالعلوم التجريبية والفلسفة، فقد غلب على بلاطهم هذا اللون من المعارف والعلوم، ولا عجب في ذلك إذا وقفنا على حقيقة ما كان عليه ملوك هذه الأسرة من صفات علمية مميزة، ونبوغ واسع في ميدان العلوم الرياضية والفلكية.

فقد عُدَّ المقتدر بن هود وابنه المؤتمن من العلماء البارزين في الرياضيات والفلك والفلسفة[1].

وبناء على ذلك فإن ذوي الاهتمامات الأدبية لم يجدوا مكاناً رحباً وواسعاً في بلاط بني هود، وهو أمر أدى إلى قلة الواردين عليهم من الشعراء، خاصة إذا علمنا أنّ بني هود لم ينساقوا إلى تبديد ثرواتهم لمن أتاهم مادحاً من الشعراء، بل عرفوا بقبض أيديهم عنهم، إلاّ في نادرة للبارعين منهم فقط[2].

وأول النابغين في هذه الأسرة الملك المقتدر بن هود[3]. وعرف المقتدر ببراعته

1 المقري: **نفح الطيب**، ج1، ص 441. د. عبد الرحمن علي الحجّي: **التاريخ الأندلسي**، ص 414. د. خليل إبراهيم السامرائي، وآخرون: **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، ص 339.

2 د. إحسان عباس: **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين**، ص 75.

3 هو أحمد بن سليمان بن محمد بن هود، الملقب بالمقتدر بالله، من ملوك الطوائف بالأندلس، وهو ثاني ملوك آل هود. عميد بني هود وعظيمهم، ورئيسهم وكريمهم، ذو الغزوات المشهورة. كان أبوه قد قسّم بلاده على أبنائه في حياته، فجعل العاصمة سرقسطة Saragosse لأحمد، ولاردة Lerida ليوسف، وقلعة أيوب Galatayud لمحمد، ووشقة Huesca للبّ، وتطيلة Tudele للمنذر. فلما توفي أبوهم بويع أحمد بعده بسرقسطة (سنة 438هـ) واستقل كل منهم في بلده. فلم يلبث أحمد أن احتال على ثلاثة

وتفوقه في الرياضيات والفلك حتى اشتهر بذلك في الأوساط العلمية آنذاك[1].

وقد صنّف المقتدر دراسات علمية في الفلسفة الفلـــك والرياضـــيات[2]. وكان المقتدر مسارعاً لاجتذاب العلماء والأدباء البارعين باذلاً ضروب العطاء لهم، يغريهم بالصلات والمراتب العالية في سبيل وجودهم في بلاطه[3]. وكـــان يعقد مع هؤلاء العلماء مجالس عامرة بالمذاكرة والمناظرة في الفلسفة والفلــك والحساب والهندسة والطب، وبذلك بات بلاطُ المقتدر ملتقى العلماء[4]. وكان من كتابه المشهورين أبو المطرف بن الدباغ وابن حسداي[5].

ويبدو أنّ المقتدر غرس في ابنه المؤتمن[6] الميول العلمية لهذه العلوم، فقـــد

منهم (محمد، ولب، والمنذر) فأخرجهم من أماكنهم واعتقلهم، وامتنع عليه أكبرهم (أخوه يوسف) فاستقل بمنطقة لاردة. وعظمت مملكة أحمد فتسمى «المقتدر بالله» واستولى على طرطوشة Tortosa، وفي أيامه اقتحم الروم مدينة بشتر Barbastro وارتكبوا فيها فظائع، فزحف عليهم بجيش ضخم فقتل منهم نحو ألف فارس وخمســة آلاف راجــل (ســنة 457هـــ) ومحا أثرهم. ثم انصرف إلى دانية Denia وأعمالها فقضى على الدولة القائمــة بها (سنة 468هـــ) وأخذ ملكها (إقبال الدولة علي بن مجاهد) إلى سرقسطة حيث أمضى بقية حياته. وانبسطت أيدي الروم في «الثغر الأعلى» وضربوا الجزية عليه بالاتفاق مــع ابن هود، فكانت سيئة له. واستمر إلى أن توفي بسرقسطة سنة 475هـــ/1082م.

خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج، ص 132. ابن سعيد المغربـــي: **المغـــرب في حلـــى المغرب**، ج2، ص 436.

1 د. سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، ص 134.

2 BURCKHARDT Titus, *LA CIVILIZACIÓN HISPANO-ÁRABE*, Madrid, Alianza Editorial, 1977, p. 149.

3 د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف**، ص 137.

4 د. حسن الوراكلي: **ياقوتة الأندلس**، ص 16.

5 د. إحسان عباس: **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين**، ص 76.

6 هو يوسف بن أحمد بن سليمان بن محمد بن هود، الملقب بالمؤتمن. صاحب سرقسطة. من ملوك الطوائف بالأندلس. ولي بعد وفاة أبيه (سنة 474هـــ)، فكان خير خلف عن أبيه، حامياً لملكه، مجاهداً لعدوه، وبه استجار ابن عمار من ابن عباد. وكـــان مولعـــاً بالعلوم الرياضية، فصنف كتباً، منها «الاستهلال والمناظر» ولم يطل عهـــده. تـــوفي بسرقسطة سنة 478هـــ/1085م.

خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج8، ص 214. ابن سعيد المغربـــي: **المغرب في حلـــى المغرب**، ج2، ص 437. المقري: **نفح الطيب**، ج1، ص 441.

ذاع صيته العلمي في حقل الدراسات الرياضية، ووصفه الأمير عبد الله بن زيري في مذكراته فقال: «كان المؤتمن رجلاً عالماً، قد طالع الكتب مع ما كان عنده من الآثار...»[1].

ونتج عن براعة المؤتمن في دراسة الرياضيات والاهتمام بها أن صنف فيها كتابين هما «الاستكمال» و«المناظر»[2].

ويبدو أنّ مصنفات المؤتمن كانت ذات قيمة علمية رفيعة بين علماء ذلك العصر. وكان لاهتمامات المؤتمن العلمية أثر في دفع عجلة النشاط العلمي والتصنيف، فكان عدد من العلماء يتطلعون إلى كسب رضاه وإعجابه بما يصنفونه من كتب، فصنف له العلامة الأديب العروضي نصر بن عيسى بن نصر كتاباً في العروض، ويبدو أنّ له علاقة بالموسيقى وهي من العلوم التي حظيت بالعناية لدى بني هود[3].

وكان المؤتمن مألفاً للأدباء والعلماء والشعراء[4].

وخلف المؤتمن ابنه المستعين[5] الذي كان معدوداً في المهتمين بالحركة العلمية وتشجيعها وإكرام أهلها.

ومن أبناء هذه الأسرة العلماء أبو محمد بن هود الجذامي، الذي كان ماهراً في الأدب، بارعاً في فنونه، ولما اضطرب الحال في مملكتهم – أي بني

---

1 د. إحسان عباس: **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين**، ص 76. د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف**، ص 134.

2 المقري: **نفح الطيب**، ج1، ص 441. د. إحسان عباس: **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين**، ص 76.

3 ابن الأبار: **تكملة الصلة**، ج2، ص 746.

4 ابن سعيد المغربي: **المغرب في حلى المغرب**، ج2، ص 437.

5 هو أحمد (المستعين) بن يوسف (المؤتمن) بن أحمد (المقتدر) بن سليمان بن محمد بن هود. رابع ملوك الدولة الهودية (من دول الطوائف بالأندلس وكان مقام ملوكها في سرقسطة. ولي بعد وفاة أبيه سنة 478هـ. وكان من الغزاة وله وقائع مع الإفرنج وكانت في أيامه وقعة وَشْقة (Huesca) سنة 489هـ)، (1096م) قتل فيها نحو 10 آلاف من جيشه. واستمر في الإمارة إلى أن قتل شهيداً في معركة لدفع العدوّ بظاهر سرقسطة سنة 503هـ/1109م. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج1، ص 273.

هود – تحوّل إلى غيرها من عواصم ملوك الطوائف حتى حلّ ضيفاً لدى المتوكّل بن الأفطس فولاه مدينة أشبونة[2][1].

وبناء عليه فإنّ ملوك سرقسطة لعبوا دوراً هاماً في نشاط لون من ألوان المعرفة، وهي العلوم التجريبية، أولاً بجهودهم هم كعلماء قديرين وثانياً بالتأثير في غيرهم من العلماء ذوي العناية بهذا الجانب من العلوم، فنشطت تلك العلوم نشاطاً كبيراً وازدهرت في بلاطهم، وظهر في مملكتهم وعاصمتهم علماء بارزون. وكانوا يلقون من بني هود كل رعاية وتشجيع، فالمقتدر نفسه كان حريصاً على أن يحيط نفسه بنخبة بارزة من العلماء والفلاسفة. وظهر في تلك المملكة الفيلسوف الشهير أبو بكر محمد بن باجه التجيبي المعروف بابن باجه[3]،

---

1 أشبونة: مدينة بالأندلس يقال لها لُشبونة، وهي متصلة بشنترين قريبة من البحر المحيط يوجد على ساحلها العنبر الفائق.
ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج1، ص 231.

2 ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2، ص 165.

3 هو محمد بن يحيى بن باجّه، وقد يعرف بابن الصائغ، أبو بكر التجيبي الأندلسي السرقسطي، من فلاسفة الإسلام. ولد بسرقسطة في نهاية القرن الحادي عشر الموافق القرن الخامس الهجري. وكان في العلوم الحكمية علاّمة وقته وأوحد زمانه. وهو يعتبر على العموم من أعظم المفكرين والفلاسفة الأندلسيين، وقد كان لآرائه ونظرياته تأثير كبير في تفكير الفيلسوف أبي الوليد بن رشد الحفيد. وكان مع اشتغاله بالفلسفة والطبيعيات والفلك والطب والموسيقى، متميزاً في العربية والأدب، شاعراً مجيداً، عارفاً بالأنساب، حافظاً للقرآن. وبعد سقوط سرقسطة، استقر ابن باجه في إشبيلية حيث ألف كثيراً من كتبه، ثم ارتحل إلى غرناطة. واستوزره أبو بكر بن إبراهيم والي غرناطة ثم سرقسطة. وذهب إلى فاس فاتّهم بالإلحاد، ومات فيها سنة (533هـ/1139م)، قيل: مسموماً، قبل سنّ الكهولة. حمل عليه الفتح بن خاقان (في قلائد العقيان) حملة شديدة. شرح كثيراً من كتب أرسطاطاليس وصنف كتباً ذكرها ابن أبي أصيبعة (في طبقات الأطباء) ضاع أكثرها، وبقي ما ترجم منها إلى اللاتينية والعبرية. ومما بقي من كتبه «مجموعة في الفلسفة والطب والطبيعيات» و«رسالة الوداع» مع رسالتين من تأليفه، هما «اتصال العقل» و«النبات» وكتاب «النفس» و«تعليق على كتاب العبارة للفارابي»، و«تعليق على كتاب الفارابي في القياس».
ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج4، ص 222–223. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج7، ص 137. د. عبد الله أنيس الطباع: **القطوف اليانعة من ثمار جنّة الأندلس الإسلامي**

وكان إلى جانب تضلعه من الفلسفة رياضياً فلكياً موسيقياً.

وإلى مملكة سرقسطة ينتسب العلامة المفكر السياسي أبو بكر الطرطوشي[1] نسبة إلى طرطوشة ثغر سرقسطة وهو مؤلف كتاب «سراج الملوك».

هذا وكان العلماء يلقون من هذه الأسرة الحاكمة كل رعاية وتشجيع وتكريم، ليس فقط في بلاطهم بل إنّ رعايتهم لهم امتدت إلى حياتهم الخاصة، فقد روي أنّ المستعين كان مكرماً للعلماء محسناً لهم، فكان يعود الفقيه خلف بن محمد العبدري أثناء مرضه، ويستمع إلى شكواه ويجيب مطالبه[2].

وأخيراً يتبين لنا ما كانت عليه هذه الأسرة من سمات وخلال علمية رفيعة قدموا من خلالها وبأنفسهم كعلماء للعلم أجلّ الخدمات وأحسن النتائج ودفعتهم تلك الخصال والمواهب العلمية إلى تنشيط الحركة العلمية في ميدان العلوم التجريبية، فظهر في بلاطهم ومملكتهم كثير من نوابغ العلماء الرياضيين والفلكيين والفلاسفة، فكان في مملكتهم أعظم المدارس العلمية في حقول الفلسفة والعلوم التجريبية والبحتة ولم ينافسها في ذلك سوى مملكة طليطلة.

الذّاتية، ص 224-225-226-227. د. لطفي عبد البديع: **الإسلام في إسبانيا**، ص 48-49. د. عمر فروخ: **عبقرية العرب في العلم والفلسفة**، ص 111-112. د. محمد إبراهيم الفيّومي: **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس**، ص 297-299-305. ميغيل كروز هيرنانديس: «**الفكر الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية**»، في كتاب: د. سلمى الخضراء الجيوسي: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ج2، ص 1101.

1 هو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي، أبو بكر الطرطوشي، ويقال له ابن أبي رندة، ولد سنة 451هـ/1059م. أديب، من فقهاء المالكية، الحفاظ. من أهل طرطوشة Tortosa بشرقي الأندلس. تفقه ببلاده، ورحل إلى المشرق سنة 476هـ، فحج وزار العراق ومصر وفلسطين، وأقام مدة في الشام. وسكن الإسكندرية، فتولى التدريس واستمر فيها إلى أن توفي سنة 520هـ/1126م. وكان زاهداً لم يتشبث من الدنيا بشيء. من كتبه «سراج الملوك». و«بر الوالدين» و« الفتن» وغير ذلك. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج7، ص 133-134.

2 ابن الأبار: **تكملة الصلة**، ج1، ص 298.

فكانت سرقسطة مركزاً هاماً للعلوم الرياضية والفلسفة. وقد لعبت سرقسطة بالأخص دوراً كبيراً في التبادل الثقافي والحضاري بين الأندلس وبين الدول الإسبانية المجاورة والدول الفرنجية الشمالية، وقد هيأ لها موقعها بين الممالك الإسبانية على مقربة من جبال البيرنيه أن تضطلع بهذا الدور الحضاري الخطير[1].

3- بنو الأفطس في بطليوس

بنو الأفطس ببطليوس كانوا حماة الأدب. لعبت هذه الأسرة دوراً مهماً عظيماً في ازدهار الحركة العلمية في مملكتها، واشتهرت بطليوس في ظلهم بتقدمها العلمي والثقافي. فكان لملوكها فضل لا ينكر على نشاط العلوم والآداب، ولا عجب في ذلك فقد كان عدد من هؤلاء الملوك علماء بارزين بل ولهم مصنفات علمية قيّمة.

يأتي في مقدمة ملوك هذه الأسرة من حيث المكانة العلمية ونضج الشخصية الملك الأديب العالم **المظفر** أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الأفطس[2].

وكان المظفر ملكاً على بطليوس وامتد سلطانه إلى يابرة[3]

1 د. محمد إبراهيم الفيّومي: تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 301.

2 هو محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة التجيبي، الأندلسي، الملك المظفر، أبو بكر بن الأفطس. صاحب بطليوس Bdajoz بالثغر الشمالي من الأندلس. وكان من أعاظم ملوك الطوائف. وهو مؤرخ من العلماء الأدباء الشعراء. ومن المحاربين الشجعان. تولى بعد وفاة أبيه سنة (437هـ). وكانت بينه وبين «ابن عباد» و«ابن ذي نون» حروب ومهادنات. وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: كان عالماً بالأدب، كثير الغزوات للروم، شجى في حلوقهم. ومع استغراقه في الجهاد صنف كتاباً كبيراً في الأدب على نمط عيون الأخبار لابن قتيبة. توفي سنة 460هـ/1068م. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج6، ص 228.

3 مدينة من كور باجة الأندلس، في غربي الأندلس. وهي قديمة، وتنتهي أحواز باجة فما حواليها مائة ميل، وينسب إليها ابن عبدون اليابري الشاعر.
ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج5، ص 486. الحِميَري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ص 615.

وشنترين[1] وإشبونة (لشبونة حالياً)[2].

وكان المظفر أديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع. ومن آثره كتابه المعروف باسم المظفري نَهج في تأليفه طريقة ابن قتيبة في عيون الأخبار، ويذكر المراكشي أنّه يقع في عشر أجزاء ضخمة، وأمّا ابن بسام فيذكر أنّه يقع في خمسين مجلداً[3].

وقد عدد ابن سعيد المغربي المصنفات التاريخية، فذكر منها كتاب المظفر بن الأفطس المعروف بالمظفري نحو كتاب المتين، وفيه تاريخ على السنين وفنون آداب كثيرة، وتاريخ[4].

وكان هذا الملك شديد العناية بالمعارف، حريصاً على نشرها، ساعياً في ازدهارها، وقد سلك في سبيل هذه الغاية سبلاً ناجحة، فكان يعقد في بلاطه مجالس العلم والمذاكرة والمناظرة، ويأخذ مع العلماء في مدارسة الأدب والفنون، والمعارف المختلفة أحياء للعلوم وتنويراً للأذهان[5].

وبالإضافة إلى ما سلكه المظفر من أساليب في تطوير الحركة الأدبية في مملكته بتشجيعه العلماء والأدباء، وحثهم على البحث والتصنيف والتأليف فقد سعى لتكريس النشاط العلمي والأدبي بتوفير نفائس المصنفات وجمع نوادر الكتب في مختلف وجوه المعرفة، حتى أصبح له مكتبة عظيمة تنم عمّا وصل إليه المظفر من معرفة وعلم غزيرين[6].

---

1 شنْترين: كلمتان مركبة من «شنت» كلمة و«رين» كلمة. مدينة متصلة الأعمال بأعمال باجة في غربي الأندلس ثم غربي قرطبة وعلى نهر تاجُهْ قريب من انصبابه في البحر المحيط، وهي حصينة، بينها وبين قرطبة خمسة عشر يوماً، وبينها وبين باجة أربعة أيام، مُلكت للأفرنج في سنة 543هـ.
ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج3، ص 416.

2 د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 103.

3 د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي**، ص 103. د. عبد الرحمن علي الحجّي: **التاريخ الأندلسي**، ص 414. د. إحسان عباس: **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين**، ص 72.

4 د. لطفي عبد البديع: **الإسلام في إسبانيا**، ص 71.

5 المقري: **نفح الطيب**، ج3، ص 380-381.

6 د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف**، ص 140.

وفي عهد ابنه **المتوكل**[1] استمر ازدهار الحركة العلمية والأدبية، وذلك بفضل ما كان يتمتع به الملك الجديد من خصال وصفات أدبية، فقد كان أديباً شاعراً، محباً للعلماء والأدباء، مشجعاً لهم على الدرس والتحصيل والتأليف.

وعُرف بسياسته الحكيمة وتشجيعه للحركة العلمية وتقريبه للعلماء، وتمتعت بطليوس في عهد بالأمن والرخاء[2].

وبلغ من الحضارة المزدهرة والرقي العلمي في بلاط المتوكل أن وصفت أيامه وأيام أبيه من قبله بأنّها كانت كالأعياد والمواسم السعيدة وأنّ بلاطهما في بطليوس كان ملجأ وملاذاً أوى إليه كل ذي علم وأدب[3].

وكان المتوكل في مملكته وحاضرته بطليوس كالمعتمد بن عباد بإشبيلية محط رجال العلماء، وقبلة لذوي المعارف يترددون عليها باستمرار دون انقطاع لما ينالونه في بلاطهما من ضروب التكريم والرعاية، وكان المعتمد أكثر شاعرية، في حين كان المتوكل أكثر أدباً وكتابة[4]. وكان من رجالهم ابن عَبْدون وبنو القَبْطُرْنة[5].

---

1 هو عمر (المتوكل) بن محمد (المظفر) بن عبد الله بن محمد بن مسلمة، أبو حفص التجيبي، آخر ملوك بني الأفطس أصحاب «بطليوس» في الأندلس. مات أبوه (سنة 460هـ) وهو عامل له في يابرة (Evora) فاستقلّ بها وبما حولها، وحلّ أخ له اسمه يحي (المنصور) محل أبيه. ومات المنصور سنة 473هـ عقيماً، فانفرد «المتوكل» بالملك، وانتقل إلى عاصمة آبائه «بطليوس» وكان أديباً، شاعراً، له من أبهة السلطان في بلده ما كان لمعاصره المعتمد ابن عباد في إشبيلية. زحف ابن تاشفين إلى بطليوس، واستولى عليها، وقبض على المتوكل وولديه (الأفضل والعباس) ثم قتلهم يوم الأضحى سنة 489هـ/1096م.

خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج5، ص 60.

2 د. خليل إبراهيم السامرائي، وآخرون: **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، ص 232.

3 ابن سعيد المغربي: **المغرب في حلى المغرب**، ج1، ص 364. د. إحسان عباس: **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين**، ص 72.

4 المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص 467.

5 د. عبد الرحمن علي الحجّي: **التاريخ الأندلسي**، ص 414.

ومن بطليوس ظهر نجم العلامة اللغوي الأديب أبو محمد عبد الله بن محمد البطليوسي[1].

وهكذا نلاحظ مدى إسهام بني الأفطس في دفع عجلة العلوم والآداب في مملكتهم، وأنّهم لم يكونوا أقلّ اهتماماً وعناية بالعلم والأدب من خصومهم بني عباد، بل أننا وجدنا بينهم من يستحق أن يطلق عليه عالم قدير، كالملك المظفر صاحب الموسوعة الأدبية الشهيرة، كما أنّ ذلك يصح على ابنه المتوكل، فقد كان هو نفسه عالماً وأديباً بارزاً، ولا شك أنّ هذه المواهب قادتهم إلى نشر المعرفة وازدهارها، فشجعوا العلماء والأدباء ووفروا لهم كافة السبل التي تيسر لهم الانصراف نحو تحصيل العلوم والآداب والتأليف فيها.

4- بنو ذي النون في طليطلة

تعتبر طليطلة من أهم المدن الأندلسية وأكبرها وأقواها، وكانت دائماً مركزاً هاماً ونقطة الانطلاق والوصول لأفواج الناس الذاهبة والآيبة، فكانوا يتوجهون إليها من كل درب وصوب[2].

وكانت طليطلة في ظل بني ذي النون مركزاً عظيماً للبحوث العلمية.

---

1 هو عبد الله بن محمد بن السيِّد، أبو محمد، إمام في اللغة والآداب سابق مبرز، وتآليفه دالّة على رسوخه واتساعه ونفوذه وامتداد باعه. كان عالماً بالآداب واللغات، مستبحراً فيهما، مُقدّماً في معرفتهما وإتقانهما، يجتمع الناس إليه ويقرأون عليه، ويقتبسون منه. وكان حسن التعليم، جيّد التّلقين، وكان ثقة مأموناً على ما قيد، وروى ونقل وضبط. ولد في بطليوس (Bdajoz) في الأندلس سنة 444هـ/1052م)، ونشأ فيها، وانتقل إلى بلنسية فسكنها، وتوفي بها سنة 512هـ/1127م. من كتبه «الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، لابن قتيبة» و«الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم»، وغير ذلك.

الضّبي: **بغية الملتمس**، ص 292. ابن بشكوال: **الصلة**، ص 243. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج4، ص 123.

2 VALLVÉ Joaquín, *ABDERRAMÁN I I I*, Barcelona, Editorial Ariel, 2003, p. 58.

اشتهر في بلاط طُلَيْطُلة علماء في الفلك والزراعة. وكان لطليطلة[1] أهمية في نقل العلوم إلى الغرب إذ غدت مركزاً مهماً لترجمة الكثير من هذا الإنتاج.

أول ملوك هذه الأسرة هو **إسماعيل بن عبد الرحمن**[2] بن ذي النون و لم يكن متحلياً بما كان عليه ملوك عصره من خصال وصفات علمية وأدبية. و لم تزدهر حال العلوم في بلاطهم إلاّ في عهد ابنه **المأمون يحيى**[3] الذي كان على جانب من العلم والمعرفة اكتسبها من مجالسة أهل العلم والأدب، وتقريبه لهم،

---

1 أصبحت مدينة طليطلة المركز الأول للعلوم والترجمة إلى اللاتينية، وذلك من منتصف القرن الحادي عشر الميلادي إلى أواخر القرن الثالث عشر في مدينة طليطلة. وأول ما اهتم به المترجمون، هو ترجمة العلوم العربية المنقولة عن العلوم اليونانية أولاً، ومن ثَمّ ترجمة العلوم العربية الإسلامية ثانياً. وذلك بعد أن استردّ الإسبان مدينة طليطلة عام 478هـ/1085م وأصبحت على الحدود بين دولة العرب في الأندلس وبين الممالك الإسبانية وأوروبا. وبانتهاء القرن الثالث عشر، انتهى العصر الذهبي للترجمة من العربية إلى اللاتينية، وإن ظلّت بعض الترجمات إلى اللاتينية تظهر حتى القرن السادس عشر بل والسابع عشر.
مونتجومري وات: **فضل الإسلام على الحضارة الغربية**، ص 68.

2 هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون، أول من ولي الإمارة في طليطلة (Tolede) من عشيرته، وكان في عصر ملوك الطوائف. نشأ في شنت برية (Sontebria) في حجر أميرها (أبيه) ونشبت فتنة في طليطلة فراجع أهلها أباه، فأرسله إليهم، فتولى أعمالها وأحسن سياستها واستمر إلى أن مات بها سنة نحو 430هـ/1038م. وبنو ذي النون من بربر المغرب، اسم جدّهم «زنون» وخدموا آل أبي عامر، فخالطوا العرب، وحُرف الاسم أو عُرّب فصار «ذا النون».
خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج1، ص 317.

3 هو يحيى بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن ذي النون الهواري الأندلسي، أبو زكريا المأمون، من ملوك الطوائف بالأندلس. كان صاحب طليطلة (Tolede) وليها بعد وفاة أبيه (سنة 435هـ). ونشأ خلاف بينه وبين ابن هود (سليمان بن محمد) صاحب سرقسطة (Saragosse) على مدينة وادي الحجارة (Guadalajara) وهي على الحدود بين منطقتيهما. فجرت بينهما حروب، واستمرت هذه الحروب من سنة 435 إلى أن مات ابن هود (سنة 438) وطمع الإسبان ببلاد الفريقين. وفي سنة 458هـ استولى ذو النون على بلنسية (Valence) وقضى على دولة آل عامر، واستتب له شرق الأندلس، وازداد أمره قوة بعد موت المعتضد ابن عباد (سنة 460هـ) و لم تطل حياته بعده، مات بطليطلة سنة 460هـ/1068م.
خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج8، ص 138.

فاجتمع في بلاطه عدد كبير من مشاهير الأدباء والعلماء، منهم محمد بن شرف القيرواني، وعبد الله بن خليفة المصري، وأبو الفضل البغدادي، وكان لديه من الوزراء والكتّاب، أبو عيسى بن لبون، وأبو محمد بن سفيان، وأبو عامر بن الفرج، وأبو المطرف بن مثنى[1].

ولعل وجود مثل أولئك العلماء الأغراب عن الأندلس في بلاط المأمون فيه دلالة واضحة على ما كان يتمتع به المأمون من سمعة علمية عالية بين العلماء والأدباء، فتسارعوا من أقصى البلدان إلى بلاطه، حيث عمروه أدباً وعلماً وثقافة.

والحق أنّ بلاط بني ذي النون قد اشتمل على أعداد كبيرة من العلماء في حقول العلوم المختلفة، وخاصة النابغين منهم في ميدان العلوم التطبيقية كالرياضيات والفلك والطب والزراعة.

ومن أشهر علماء بلاط بني ذي النون العلامة الفلكي الرياضي العظيم أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى النقاش الزَّرْقالي القُرطبي صاحب الجداول الفلكية أصله من طليطلة، والذي وصف بأنه أعلم أهل زمانه بالفلك[2].

وممن ينتسب إلى طليطلة العلامة الفيلسوف الطبيب الرياضي أبو عثمان سعيد بن البغونش (ت 444هـ/1052م) الذي خدم في بلاط المأمون وأوكلت إليه بعض شؤون الدولة.

وفي مملكة طليطلة عاش العلامة الرياضي الفيلسوف أبو الوليد بن الوقشي، وكذلك أبو جعفر أحمد بن خميس العلامة الرياضي الفلكي الطبيب.

ويظهر أنّ طليطلة نالت سمعة كبيرة في ازدهار العلوم البحتة والتجريبية وتدريسها، فقد خرج العلامة إبراهيم بن لب التجيبي من بلده قلعة أيوب ليستقر في طليطلة ويتخذ له مجلساً بها لتدريس الرياضيات والهندسة والفلك[3].

---

1 ابن سعيد المغربي: **المغرب في حلى المغرب**، ج2، ص 12.

2 د. عبد الرحمن علي الحجّي: **التاريخ الأندلسي**، ص 414.

3 د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف**، ص 146.

وهذه أمثلة عن لون الدراسات العلمية التي ازدهرت في طليطلة واشتهرت بها هذه المملكة شهرة واسعة على ما عداها في كثرة علمائها. وهذا بلا شك يوضح لنا ما كان يتمتع به ملوك بني ذي النون، وخصوصاً المأمون من مرونة وتسامح إزاء مثل هذه الدراسات وتوفير المناخ العلمي الحر لنشاطها، فوجد علماؤها الفرصة متاحة لدراسة تلك العلوم وتدريسها ونشرها وبثّها بين تلاميذهم، ولم ينافس طليطلة في ذلك إلا جهود بني هود.

وإلى جانب هؤلاء العلماء عاش كثير من الأدباء والشعراء أمثال أبي الفضل محمد بن عبد الواحد[1] البغدادي الذي أنزله المأمون منزلاً كريماً في بلاطه، بل شمله بعطفه بعد وفاته برعاية أبنائه وأهله[2].

وفي بلاط طليطلة لمع اسم المؤرخ العظيم صاعد بن أحمد الطليطلي وكان موصوفاً بالتفنن في علوم مختلفة، فقد كان فقيهاً، مؤرخاً، أديباً، فلكياً، رياضياً، ومن أهم إسهاماته العلمية تصنيفه لكتابه القيّم «طبقات الأمم» الذي اشتمل على إحصاء مختصر للتراث العلمي العالمي، وخصص جانباً منه لعلماء الأندلس في العلوم البحتة والتجريبية، وحفظ لنا بذلك ثروة علمية نفيسة، وسجلاً خالداً

---

1 هو محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز الدارمي التميمي، أبو الفضل. وزير، شاعر، من أهل بغداد، ولد سنة (388هـ/998م). رحل إلى الهند في صباه، وحارب مع جيوش الغزنوية، مجاهداً، ونظم أوائل شعره هناك، واستوزره بعض أمرائهم. وعاد إلى بغداد، فاشتهر، فأرسله القائم بأمر الله العباسي في سفارة إلى المعز بن باديس صاحب إفريقية، فخرج مستتراً، فمر بحلب ومدح معز الدولة، وزار أبا العلاء المعرّي في المعرة، وأنشده بعض شعره. ومر بمصر، فطلبه حاكم الإسكندرية، فنجا، ودخل طرابلس الغرب (أول بلاد المعز، يومئذ) ثم القيروان سنة 439هـ، فأكرمه المعز وقلده تدبير حَشَمه. واستمر إلى أن قطع المعز خطبته للعباسيين وجعلها لصاحب مصر (سنة 446هـ) فخرج الدارمي إلى سوسة. ثم شهد الحروب مع «بلقين» وتنقل في البلاد، ودخل طليطلة (سنة 454هـ) بدعوة من صاحبها المأمون بن ذي النون، فأقام بها (هو وحاشيته وعبيده) إلى أن توفي سنة (455هـ/1063م) بطليطلة في كنف المأمون يحيى بن ذي النون.

ابن بشكوال: **الصلة**، 465. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج6، ص 254-255.

2 ابن بسام: **الذخيرة**، ق4، ج1، ص 89-90. ابن بشكوال: **الصلة**، 465. المقري: **نفح الطيب**، ج3، ص 11-12-13.

عن نشاط أولئك العلماء، وما أسدوه من إنجازات علمية رائعة[1].

وأصبحت طليطلة شيئاً فشيئاً – في ظلال بني ذي النون – مركز الثقافة الإسلامية في القرن الحادي عشر[2].

وأخيراً يتضح بعد هذا الاستعراض لدور بني ذي النون في نشاط الحركة العلمية أنّهم – وخاصة المأمون – قد لعبوا دوراً جاداً في ازدهـــار الحركـــة العلمية، وخاصة ما يتعلق منها بالعلوم البحتة والتجريبية، ولا يزال بين أيدينا حتى يومنا هذا جانب لا بأس به من إنتاجهم العلمي القيّم.

5- بنو صمادح في المرية

بنو صُمادح في المَرِيّة كانوا أيضاً من الأدباء، كالمعتصم وولداه رفيـــع الدولة ورشيد الدولة وابنته أم الكرام[3].

تعتبر هذه الأسرة العربية العريقة من أعظم الأسر التي خـــدمت الأدب والشعر على وجه الخصوص، وعلى الرغم من صغر مملكتهم، وضآلة حجمها إلا أنّ ملوكها أسهموا بدور فعّال في ازدهار الأدب والشعر، وأول ملـــوك هذه الأسرة المعتصـــم[4] بالله محمد بن معن بن صمادح التجيبـــي كان متحلياً

---

1 د. عبد الرحمن علي الحجّي: **التاريخ الأندلسي**، ص 414.

2 د.سعد إسماعيل شلبـــي: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر**، ص 44.

3 د. عبد الرحمن علي الحجّي: **التاريخ الأندلسي**، ص 414.

4 هو محمد بن معن بن محمد بن صمادح، أبو يحيى التجيبـــي الأندلسي، صاحب المريـــة وبجانة (Pechina) والصمادحية، من بلاد الأندلس. ولد سنة 429هـــ/1038م، وولي بعد وفاة أبيه (سنة 443هـ) بعهد منه، وسمى نفسه «معز الدولة» ولما تلقبت ملـــوك الأندلس بالألقاب السلطانية لقب نفسه «المعتصم بالله الواثق بفضل الله». وكان كريماً حليماً، حسن السيرة في رعيته وجنده وقرابته، فانتظمـــت أيامـــه واتصـــلت دولتـــه واستقامت أموره. وكان عالماً بالأدب والأخبار، شاعراً، مقرباً للأدباء. كان المعتصـــم ساكن الطائر، مأمون الجانب، حصيف العقل، وللشعراء فيه أماديح. وكان مدتـــه 41 سنة، وهاجمه جيش يوسف بن تاشفين وهو يعالج الموت. توفي سنة 484هـ/1091م. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج7، ص 106. ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2، ص 78-79-81 -82-84.

بالأدب ناظماً للشعر، محباً لأهله، مقرباً لهم، وكان بلاطه منتدى للعلماء والأدباء، يتدارسون العلم بين يديه، ويتناظرون في شتى مسائله[1].

والمعتصم نفسه كان عارفاً بعلوم الدين، فقد كان يروي عن أبيه معن عن جده مختصره في غريب القرآن المستخرج من تفسير الطبري، وقد حدث به عنه إبراهيم بن أسود الغساني[2].

كان المعتصم معنيّاً بالدين وإقامة الشرع، يعقد المجالس بقصره للمذاكرة، ويجلس يوماً في كل جمعة للفقهاء والخواص، فيتناظرون بين يديه في كتب التفسير والحديث[3]. وبالإضافة إلى ذلك، فقد كان أديباً شاعراً، أورد له صاحب الحلة السيراء بعضاً من شعره ينم عن مهارته وإجادته في نظمه[4].

وكانت شخصية المعتصم تتسم بالمسالمة والهدوء مع جيرانه، فلم يؤثر عنه أنّه كان محارباً لجيرانه، طامعاً في ممتلكاتهم كغيره من ملوك الطوائف، وقد أكسبه ذلك انصرافاً تاماً نحو حياة الأدب والمعرفة، وانعكس هذا الحال من السلام والدعة على المناخ الاجتماعي لمملكته أو إمارته، فكانت محط رحال أهل الأدب والعلم ينشدون في ظلها غاياتهم ومراميهم، فرحل إليهم عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء، ولقوا في بلاط المعتصم كل تكريم[5].

وفي بلاط المعتصم عاش كثير من الأدباء والشعراء البارزين. ولزم حضرته فحولٌ من الشعراء كأبي عبد الله بن الحدّاد، وفيه استفرغ شِعره، وكابن عُبادة. ومن أشهر من ضمنه بلاطه من الشعراء الشاعر الوشّاح محمد بن عبادة القزاز، وكان إمام أهل عصره في نظم الموشحات[6].

---

1. ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج4، ص 291-292.
2. ابن الأبار: **تكملة الصلة**، ج1، ص 401.
3. ابن الأبار: **الحلّة السيراء**، ج2، ص 82.
4. ابن الأبار: **الحلّة السيراء**، ج2، ص 84.
5. د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف**، ص 149.
6. ابن الأبار: **الحلّة السيراء**، ج2، ص 82-83. د. عبد الرحمن علي الحجّي: **التاريخ الأندلسي**، ص 414.

وكان كاتبه أبا محمد بن عبد البر ومن مدّاحه ابن الطّراوة النحوي الذي قصده أثناء تجواله معلماً في بلاد الأندلس[1]، واشتهر بمدحه أبو الفضل ابن شرف[2]، كما أبا طاهر بن يوسف بن محمد الأُشكُركي[3] العالم اللغوي جعل أكثر أمداحه في المعتصم[4].

وقد حظي بلاط المعتصم ببعض العلماء الذين صنفوا له بعض الكتب، فهذا الأديب قاسم بن أيوب الطائي ألف له كتاباً اسمه «بستان الكتابة وريحانة الخطابة» وكان ذلك نزولاً عند رغبة المعتصم.

كما وجد الحكيم الفيلسوف الشاعر أبو الفضل جعفر بن محمد بن شرف البرجي (444-534هـ/1052-1139م) في بلاط المعتصم ما حقق له الشهرة والمنزلة السامية. وكان متضلعاً من الأدب، ماهراً في الشعر، وصنف كتابين في الحكم والأمثال أحدهما شعر والآخر نثر، تنم عن فكر قويم ونظر ثاقب وفلسفة عميقة سامية.

وعاش في المرية عدد قليل من علماء الرياضيات والطب منهم الحسن بن عبد الرحمن المعروف بابن الجلاب، وكان متضلعاً من الهندسة والفلك والمنطق[5].

وممن عاش في المريّة الجغرافي الكبير أبو عبيد البكري. هو نفسه ابن أحد أمراء الطوائف. أبوه عبد العزيز صاحب وَلْبة وشَلْطيش[6]. درس البكري على يد كبار علماء هذا العصر، أمثال: المؤرخ ابن حيان القرطبي (377-469هـ)

---

1 ابن سعيد المغربي: **المغرب في حلى المغرب**، ج2، ص 208.

2 ابن سعيد المغربي: **المغرب في حلى المغرب**، ج2، ص 230.

3 هو يوسف بن محمد الأُشكُركي، أبو الطاهر. وكان له جاه ومكان عند ملوك الثُّغر بني هود وغيرهم من ملوك الطوائف، وأكثر أمداحه في المعتصم بن صُمادح ملك المَرية. ابن سعيد المغربي: **المغرب في حلى المغرب**، ج2، ص 447.

4 ابن سعيد المغربي: **المغرب في حلى المغرب**، ج2، ص 447.

5 د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف**، ص 151.

6 شلطيش: بلدة بالأندلس صغيرة في غربي إشبيلية على البحر. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج3، ص 407.

والحافظ ابن عبد البر (368-463هـ) والجغرافي العُذري (393-478هـ).
وصف ابن الأبّار أبا عبيد البكري أنّه «من مفاخر الأندلس، وهو أحد الرؤساء الأعلام، وتواليفه قلائد في أجياد الأيام»[1].

وخَلَّفَ المعتصم بعد وفاته عدد من الأبناء، كانوا موصوفين جميعهم بالأدب ونظم الشعر، وأشهرهم رفيع الدولة الذي وصف ببراعته في الشعر إلاّ أنّ خموله وعزلته أضعفا ذكره بين شعراء عصره[2].

وبهذا يتبين لنا مدى ما أسداه بنو صمادح من جهود طيبة في إذكاء شعلة النشاط الأدبي في إمارتهم الصغيرة، والتي حفلت بعدد من مشاهير الأدباء والشعراء والعلماء، فكان لهذه الإمارة دورها المجيد في دفع عجلة الحركة الأدبية وازدهارها في ذلك القطر الشرقي من الأندلس.

6- مجاهد العامري في دانية

كان لمجاهد العامري[3] دور بالغ الأهمية في تشكيل بعض الأحداث السياسية والعسكرية في شرق الأندلس، وبعض الجزر البحرية الشرقية أيضاً. وقد أسهم

---

1 د. عبد الرحمن علي الحجّي: التاريخ الأندلسي، ص 414.

2 ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص 92.

3 هو مجاهد بن يوسف (أبو عبد الله) بن علي العامري، بالولاء، أبو الجيش، مؤسس الدولة العامرية في دانية Deniaوميورقة Majorque وأطرافهما. رومي الأصل. ولد بقرطبة.ورباه المنصور بن أبي عامر مع مواليه، فنسب إليه. ولما كانت فتنة «البربر» خرج مجاهد من قرطبة، وتبعه جمع من موالي ابن أبي عامر، وبعض جيش الأندلس، فدخل بهم طرطوشة، وانتقل إلى دانية (على ساحل البحر الرومي) فاستقل بها (سنة 412هـ) واستولى على الجزائر القريبة منها. وتلقب بالموفق بالله. وغزا الإفرنج بالأساطيل في جزيرة سردانية، فغلب على كثير منها. ودامت له الإمارة إلى أن توفي سنة 436هـ/1044م. وكان حازماً يقظاً شجاعاً، عارفاً بالأدب وعلوم القرآن، نعته بعض مؤرخيه بفتى أمراء دهره وأديب عصره. وهو من ملوك الطوائف بالأندلس بعد انقراض الدولة الأموية.
خير الدين الزركلي: الأعلام، ج5، ص 278. الحميدي: جذوة المقتبس، ص 320. الضّبي: بغية الملتمس، ص 412-413.

مجاهد بدور فعّال في نشاط لون من ألوان الدراسات الإسلامية. ولا عجب في ذلك فقد كان عالماً بالقراءات واللغة، ومن الجائز أن يعود هذا إلى نشأته العلمية التي نشأها في ظل حكم مولاه عبد الرحمن بن المنصور العامري. وقد قاده علمه الواسع باللغة إلى تصنيف كتاب في العروض يدل على تمكنه من ذلك[1].

ومن أهم ما ذكر عن مجاهد من إنجازات علمية ما كان عليه من ولع شديد واهتمام كبير بجمع الكتب، والسعي في احتلابها من مختلف المدن والأقطار، باذلاً في ذلك كثيراً من الأموال حتى اجتمع منها لديه خزائن عظيمة، وكان يقضي بعض وقته في مطالعتها، والعكوف على قراءتها[2].

فقد جمع مجاهد من الكتب ما لم يجمعه أحد من نظرائه، وأتست إليه العلماء من كل صقع[3].

وكان مجاهد مسارعاً في تكريم العلماء راغباً في رعايتهم وتشجيعهم على العلم والمعرفة، باذلاً لهم بسخاء كل ضروب التكريم والتعظيم في سبيل الرقي بالمعارف[4].

وكان مجاهد العامري من الكرماء على العلماء يبذل لهم الرغائب وهو الذي عرض على تمام بن غالب[5] اللغوي ألف دينار ليضيف إلى كتاب ألّفه

---

1 الحميدي: **جذوة المقتبس**، ص 320. ابن بسام: **الذخيرة**، ق3، ج1، ص 23. ابن خلدون: **المقدمة**، ص 437-438.

2 ابن بسام: **الذخيرة**، ق3، ج1، ص 117.

3 ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص 218.

4 الحميدي: **جذوة المقتبس**، ص 320-321. الضبي: **بغية الملتمس**، ص 412. المقري: **نفح الطيب**، ج3، ص 190.

5 هو تمام بن غالب بن عمر اللغوي، المعروف بابن التّيّاني، يُكنى أبا غالب، من أهل قرطبة سكن مُرسية. ذكره الحميدي، وقال: «كان إماماً في اللغة، وثقة في إيرادها مذكوراً بالديانة والعفّة والورع». له كتاب جامع في اللغة سماه «تلقيح العين»، لم يؤلّف مثله اختصاراً وإكثاراً، وله فيه قصة تدل على فضله. وكان من شيوخ اللغة الضّابطين لحروفها، الحاذقين بمقاييسها، وكان ثقة صدوقاً عفيفاً. وتوفي بالمرية سنة (436هـ/1044م). ابن بشكوال: **الصلة**، ص 112-113. ياقوت الحموي: **معجم الأدباء**، ج7، ص 135-138. الحميدي: **جذوة المقتبس**، ص 161. الضّبي: **بغية الملتمس**، ص 214.

«مما ألّفه تمام بن غالب لأبـي الجيش مجاهد»[1].

وتعود شهرة مجاهد إلى اهتماماته العظيمة بالدراسات القرآنية واللغوية، حتى اصطبغ بلاطه بهذه السمة، فرحل إليه القراء واللغويـون ووجـدوا في بلاطه كل تكريم[2].

وبناء على ذلك فقد نشطت الدراسات القرآنية في دانية، وظهـر في بـلاط ملكها من العلماء القراء ما تفخر به على سائر المدن، كالعلامة الكبير أبـي عمرو الداني الذي كان من أقطاب القراء، وعلى مصنفاته عول العلماء جيلاً بعد جيل[3].

ومما يدل على عناية مجاهد بالدراسات اللغوية أيضاً، حرصه الشديد على دفع العلماء للتصنيف فيها وبذله المال في سبيل ذلـك ومحاولتـه اكتسـاب الشهرة كحامٍ للعلم ومكرم لأهله.

ولمجاهد صنف ابن سيده كتابيه المخصص والمحكم. وكان مجاهد قد عزم على أن يصنف بنفسه معجماً كاملاً في اللغة، ولكن نظراً لانشغاله بأعمالـه السياسية والعسكرية، فقد كلف ابن سيده بذلك فصنف كتابيه المذكورين[4].

وابن سيده هذا يُعَدّ بلا مبالغة أشهر من أخرجته الأنـدلس في ميـدان علوم اللغة وكان إلى جانب ذلك ماهراً في المنطق وله فيه تصنيف[5].

وفي بلاط مجاهد عاش الفقيه المحدث المؤرخ الكبير ابن عبد البر النمري[6]

---

1 ابن بشكوال: **الصلة**، ص 113.

2 ابن بسام: **الذخيرة**، ق3، ج1، ص 22–23.

3 ابن خلدون: **المقدمة**، ص 437–438.

4 د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف**، ص 153.

5 صاعد الطليطلي: **طبقات الأمم**، ص 103.

6 هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبـي المالكي، أبو عمر، من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاثة. يقال له حافظ المغرب. ولد بقرطبة سـنة 368هـ/978م. ورحل رحلات طويلة في غربـي الأندلس وشـرقيها. وولي قضـاء لشبونة وشنترين. وتوفي بشاطبة سنة 463هـ/1071م. من كتبه «الدرر في اختصـار المغازي والسير» و«العقل والعقلاء» و«الاستيعاب» في تراجم الصحابة و«جامع بيان العلم وفضله» و«المدخل في القراآت» وغير ذلك.
خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج8، ص 240.

حافظ الأندلس، ومؤلف «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»، و«الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأنصار»، و«بغية المؤانس من بهجة المجالس»، وغيرها[1].

وإلى دانية لجأ العلامة الرياضي الفلكي أبو القاسم أحمد بن عبد الله المعروف بابن الصفار، وهناك عاش ينشر علمه ويعلم تلامذته حتى وافته المنية[2].

7- بنو حمود

ينسب لهذه الأسرة التي حكمت بعض المدن كاشبيلية وقرطبة ومالقة[3] والجزيرة الخضراء بعض الاهتمامات الأدبية، فظهر في إماراتهم المختلفة بعض الأدباء والشعراء، نذكر منهم الشاعر الطبيب الفيلسوف محمد بن سليمان ابن الحَنّاط، كان متقدماً في الأدب والبلاغة والشعر، وانتهى به الحال إلى الاستقرار في كنف الأمير محمد بن القاسم بالجزيرة الخضراء[4].

وفي دولة علي بن حمود بمالقة برز أبو جعفر بن اللمائي الذي وصف بأنه أحد أئمة الكتاب والبارعين في الآداب، وأنّ له إنشاءات بديعة في بلاط الدولة الحمودية[5].

وكان الأديب أبو عبد الله بن السراج المالقي معدوداً في شعراء بني حمود، فقد مدحهم كثيراً بقصائده كما كان بارعاً في الغزل والنسيب[6].

ومن علماء تلك الدولة الحمودية بمالقة العلامة الفقيه أبو علي الحسن

1 خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج8، ص 240.

2 صاعد الطليطلي: **طبقات الأمم**، ص 93-94.

3 مالَقَة: مدينة بالأندلس عامرة من أعمال ريّة سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية، وأصل وضعها قديم ثم عمّرت بعد وكثر قصد المراكب والتجار إليها فتضاعفت عمارتها حتى صارت أرشُذونة وغيرها من بلدان هذه الكورة كالبادية لها أي الرستاق، وقد نسب إليها جماعة من أهل العلم، منهم: عزيز بن محمد اللّخمي المالقي وسليمان المعافري. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج5، ص 52.

4 الضبي: **بغية الملتمس**، ص 66-67. الحميدي: **جذوة المقتبس**، ص 51-52.

5 ابن بسام: **الذخيرة**، ق1، ج2، ص 617.

6 ابن بسام: **الذخيرة**، ق1، ج2، ص 870-871.

بن حسون الذي وصف بأنه من أئمة العلماء، وقد ولي القضاء على مالقة في حكم علي بن يحيى بن حمود[1].

8- بنو مناد أو بنو زيري في غرناطة

لم يقدم بنو مناد من البربر في غرناطة شيئاً مهماً للحركة العلمية والأدبية فقد كانت هذه الأسرة تفتقر إلى رهافة الحس الأدبي والذوق الرفيع الذي كان يتمتع به غيرها من الأسر آنفة، هذا بالإضافة إلى ما اتصف به حكام غرناطة من بخل وتقتير، فكدسوا الأموال والذخائر التي استولى عليها المرابطون فيما بعد.

ولا يعني هذا أنّه لم يبرز في تلك المدينة علماء وأدباء قديرون أو أنّه لم يلتجئ إليها عدد منهم، ولكن الذي نقصده موقف أولئك الأمراء البربر من الحركة العلمية.

تولى الملك في الدولة أولاً حبّوس بن ماكسن[2]، ثم خلفه ابنه باديس[3]

---

1 ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 430.

2 هو حُبّوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي، صاحب غرناطة في أيام ملوك الطوائف بالأندلس. قصد في بداية أمره الأندلس مع عم له اسمه زاوي بن مناد وجماعة من صنهاجة، للمشاركة في الجهاد. ونزلوا بقرطبة، إلى أن كانت فتنة انقراض الدولة الأموية، فتوجه زاوي إلى أبناء عمومته أصحاب إفريقية، وانصرف حبّوس بمن معه إلى غرناطة. ولما كثر المتغلبون في البلاد وثار كل رئيس يدعو إلى طاعته، تولى حبّوس أمر غرناطة وبايعه أصحابه الصنهاجيون «ملكاً» فأحسن سياستها وضم إليها أعمال قبرة (Cabra) وجيّان (Jaen) وغيرهما، وأعدّ جيشاً حماها به غارات مجاوريه من الأمراء، وأطماعهم. ودامت رياسته إلى أن توفي سنة 428هـ/1037م. فهو مؤسس الدولة الصنهاجية في غرناطة. خير الدين الزركلي: الأعلام، ج2، ص 291.

3 هو باديس بن حبوس بن ماكسن الصنهاجي، أبو مناد، الملقب بالمظفر. صاحب غرناطة وأعمالها. من ملوك الطوائف بالأندلس. بويع بها بعد وفاة أبيه سنة 428هـ. وطمع به زهير العامري (صاحب المرية) فهاجم غرناطة بجيش كثيف حتى وصل إلى بابها (سنة 429هـ) فقاتله باديس، فظفر، وقتل زهير في آخر المعركة. فارتفع شأن باديس وهابه نظراؤه. وخضعت له مالقة، وأراد ابن عباد الاستيلاء عليها فدخلها جيشه ثم لم يلبث أن مزقه جيش باديس. واستمر باديس مهيب الجانب، مطاعاً، وكان شجاعاً جباراً داهية. توفي سنة 465هـ/1073م.
خير الدين الزركلي: الأعلام، ج2، ص 40.

الذي كان أشهرهم جميعاً، وخلفه حفيده الأمير عبد الله[1] الذي أوقـع بـه المرابطون (483هـ/1090م).

والأمير عبد الله آخر أمير على هذه الإمارة (كان قد حاز حظاً وافراً من البلاغة والمعرفة، شاعراً جيد الشعر، حسن الخط، وكانت بغرناطـة ربعـة مصحف بخطه في نهاية الصنعة والإتقان)[2].

وذاع صيت الأمير عبد الله بما كتبه من مذكرات أسماها كتاب «التبيان» ولحسن الحظ أنّها لا تزال محفوظة، وقد طبعت بتحقيق ليفي بروفنسال بدار المعارف بمصر، وقد كتبها الأمير عبد الله في منفاه بأغمات[3]، وفيها وصـف الأوضاع السياسية والعسكرية في عصره في الأندلس[4].

ومن بين شعراء غرناطة الذين خرجوا عنها الشاعر خلف بـن فـرج الألبيري[5] المعروف بالسميسر الذي كره المقام في تلك الدولة، ونقـم علـى البربر الذين سيطروا على شؤون الحياة في غرناطة[6].

---

1 هو عبد الله بن بلكين – أو بلقّين – بن باديس بن حَبوس الصنهاجي. آخـر ملـوك غرناطة، من الدولة الصنهاجية، في أيام ملوك الطوائف بالأندلس. وليها بعد وفاة جده باديس بن حبوس (سنة 465هـ) واستمر فيها إلى أن هاجمه يوسف بن تاشفين وتغلب عليه (سنة 483هـ) وأخذه معه في عودته إلى مراكش، وضم إليه أخاً له اسمه تمـيم، وأنزلهما بالسوس الأقصى، وأقطع لهما إلى أن هلكا. فاضمحل ملك «بلكانسة» مـن صنهاجة ومن إفريقيا والأندلس أجمع. توفي بعد سنة 483هـ/1090م. وهو صـاحب كتاب «التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة».
خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج4، ص 75. النباهي: **تاريخ قضاة الأندلس**، ص 97.
ابن الخطيب، لسان الدين: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج3، ص 379–380.

2 ابن الخطيب: **الإحاطة**، ج3، ص 379–380.

3 أغمات: ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب قرب مرّاكش، وهي مدينتان متقابلتـان كثيرة الخير. وبين مدينة أغمات ومرّاكش ثلاثة فراسخ. يـاقوت الحمـوي: **معجـم البلدان**، ج1، ص 266–267.

4 د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف**، ص 157–158.

5 هو خَلَف بن فَرَج الإلبيري، أبو القاسم، المعروف بالسميسر. شاعر هجاء، أصله مـن إلبيرة (Elvira) وبيته في غرناطة. أدرك الدولة العامرية وانقراضها. وكانت بينه وبـين ابن حداد (محمد بن أحمد) مهاجاة.
خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج2، ص 311.

6 د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف**، ص 157.

9- بنو القاسم في البونت

لا تسعفنا المادة التاريخية بشيء واضح عن بلاط بـــني القاســـم بقلعـــة البونت[1]، وعن مدى اهتمامهم بالأدباء والعلماء والشعراء، إلا أنّ ابن حـــزم أثنى في رسالته التي ألّفها في فضل أهل الأندلس على الأمير **محمد بن عبـــد الله بن قاسم**[2]، ووصف بلاطه بأنّه (المجلس الحافل بأصـــناف الآداب، والآهـــل بأنواع العلوم، والقصر المعمور بأنواع الفضائل)[3].

وكان محمد بن عبد الله الملقب بيمين الدولة معتنياً بالعلم أخـــذه عـــن العلماء، ومن بينهم العلامة علي بن إبراهيم التبريزي، فقد قرأ عليه الإقنـــاع للسيرافي[4]. ووصفه المراكشي الأنصاري بنباهة البيت وشدة العنايـــة بـــالعلم والمعرفة[5].

ويكفي من البراهين على أنّ بلاطهم كان يضم عدداً من مشاهير العلم والأدب وجود العلامة الشهير أبـــي محمد بن حزم، الذي كان ولا يزال من أشهر من أنجبته الأندلس في علوم الدين.

---

1 البونت: قرية من أعمال بلنسية، يُنسب إليها صاحب الوثـــائق المجموعـــة، عبـــد الله بن فتوح بن عبد الواحد.
الحِمْيَري: **صفة جزيرة الأندلس**، ص 56.

2 هو محمد بن عبد الله بن قاسم الفهري، يمين الدولة، صاحب حصن البونت Alpuente من كورة شنت برية Santaver في أيام ملوك الطوائف بالأندلس. وليه بعد وفاة أبيـــه (سنة 421هـــ) واستمر إلى أن توفي سنة 434هـــ/1042م.
خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج6، ص 227.

3 المقري: **نفح الطيب**، ج3، ص 159، نقلاً عن ابن حزم في رسالته التي صنفها في فضل الأندلس.

4 ابن الأبار: **تكملة الصلة**، ج1، ص 388.

5 د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف**، ص 158.

10- ابن طاهر في مرسية

كان يحكم مرسية[1] من قبل زهير العامري أبو بكر أحمد بن إسحاق بن طاهر[2]، وكان يتمتع بعلم وأدب غزيرين، فاجتمع لديه كثير من الأدباء.

ولما توفي أبو بكر خلفه ابنه محمد[3] الذي كان أوسع منه علماً وأدباً، وبرع في الكتابة والإنشاء براعة عظيمة، وكان أسلوبه في النثر أسلوباً جميلاً بديعاً، وفي ذلك صنف ابن بسام كتابه (سلك الجواهر من ترسيل ابن طاهر)[4].

وإلى جانب تلك الصفات الأدبية الفائقة التي اتسمت بها شخصية ابن طاهر، فقد كان سخياً كريماً على العلماء والأدباء، فأقبل عليه كثير منهم

---

1 مُرْسِيَة: مدينة بالأندلس من أعمال تُدْمير اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وسماها تُدْمير بتَدْمُر الشام فاستمر الناس على اسم وضعها الأول، وهي ذات أشجار وحدائق محدقة بها، وبها كان منزل ابن مردنيش وانعمرت في زمانه حتى صارت قاعدة الأندلس. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج5، ص 126.

2 هو أحمد بن إسحاق بن زيد، أبو بكر بن طاهر القيسي، من قيس عيلان. صاحب مرسية بالأندلس. استقام له الأمر فيها وأحبه جندها وكثرت أمواله حتى صار نصف البلد ضيعة له. وكان مستقلاً في إمرته عن قرطبة. عاش نحو تسعين سنة وفلج في أواخر أيامه، وتوفي سنة 455هـ/1063م.

خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج1، ص 96. ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2، ص 116-117.

3 هو محمد بن أحمد بن إسحاق بن زيد بن طاهر، أبو عبد الله القيسي، من قيس عيلان. أمير أندلسي أديب. كان صاحب مرسية. وليها بعد وفاة أبيه سنة (سنة 455هـ)، وعني بالأدب وأهله. وكان جواداً ممدّحاً، ويشبهونه في أدبه بالصاحب ابن عباد. له «رسائل» مدوّنة. ينتجعه الشعراء ويقصده الأدباء. وتوفي أبو عبد الرحمن ببلنسية وصُلي عليه بقبلة المسجد الجامع منها إثر صلاة العصر من يوم الأربعاء الرابع والعشرين من جمادي الأخيرة نحو 480هـ/1087م، ثم سير به إلى مرسية ودفن بها وقد نيف على الثمانين. ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2، ص 125. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج5، ص 315.

4 ابن بسام: **الذخيرة**، ق، ج1، ص 24-25. ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2، ص 118-119.

ومن بينهم الشاعر الكبير ابن عمار قبل التحاقه ببلاط المعتمد، وقد قرر لهذا الشاعر بعد تألّق في دولة المعتمد أن ينزع ابن طاهر عن مرسية ويقضي على سلطانه وكان بين الاثنين نوادر أدبية[1].

وأخيراً هؤلاء هم أبرز ملوك الطوائف، وهذه صفاتهم وسيرهم وحياتهم ومواقفهم تجاه العلم والأدب، فقد رأينا مدى ما أسهموا به من جهود عظيمة ومساع كبيرة في سبيل ازدهار الحركة العلمية والأدبية، فكان بينهم العلماء والأدباء الكبار الذين قدموا لنا مصنفات رائعة في العلم والأدب. ورأينا كيف أنّ أسرة بني عبّاد لعبت بالأندلس دور فعّال في ازدهار دولة الأدب ونهوض الشعر في إشبيلية وقرطبة، وإنّ ملوك سرقسطة لعبوا دوراً هاماً في نشاط لون من ألوان المعرفة، وهي العلوم التجريبية. واشتهر في بلاط طُلَيْطُلة علماء في ميدان العلوم التطبيقية كالرياضيات والفلك والطب والزراعة. وكان لطليطلة أهمية في نقل العلوم إلى الغرب إذ غدت مركزاً مهماً لترجمة الكثير من هذا الإنتاج. وكان مجاهد العامري عالمًا بالقراءات واللغة، وقد أسهم بدور فعّال في نشاط لون من ألوان الدراسات الإسلامية. فقد شجع هؤلاء الملوك العلماء والأدباء، فقامت على أثر ذلك حركة علمية زاهرة لم يكن لها مثيل من قبل ومن بعد، فكان عصرهم عصر العلم. ولمع في بلاط هؤلاء الملوك علماء بارزون وأدباء بارعون وشعراء ماهرون.

---

1 ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص 118-119.

التميّز العلمي للأندلس
في عصر ملوك الطوائف

إذا تتبعنا مسيرة الحياة العلمية في الأندلس نلاحظ أنّها مرّت بعدة مراحل:

1- التبعية للمشرق والشعور بالنقص.

2- محاولة التخفيف من الاعتماد على علماء المشرق والاستقلالية وإثبات الذات والنضج الحضاري.

كان الأندلسيون قبل عصر الخلافة يحسون بنقص وبنوع من التخلف عن المشارقة. ولقد عبّر ابن بسام عما كان يعاني منه الأندلسيون من الناحية النفسية، ذلك الإحساس الذي يكاد يكون مركب نقص، عاناه الأندلسيون بسبب وضعهم من المشارقة، فالمشارقة أصحاب مهد الثقافة الإسلامية، وبلادهم منبع اللغة العربية، وأقاليمها مصدر الاتجاهات الأدبية، فكل شيء عقدي أو عقلي أو فني يظهر أولاً في المشرق، ويأخذ منه المشارقة ما يشاؤون، ثم يفد بعد ذلك على الأندلس، وذلك كان بسبب قرب المشارقة من المصدر وبعد الأندلسيين عن هذا المصدر. ولهذا كان الأندلسيون يحسون بنوع من التخلف عن المشارقة، ويحاولون دائماً أن يعوضوا ذلك بتأكيد تفوقهم برغم بعدهم، وسبقهم برغم غربتهم[1].

وفي عصر الخلافة بدأ الأندلسيون يتوجهون نحو الاعتماد على أنفسهم في بناء كيانهم العلمي، وبذلك أصبحوا في موقف العطاء والبذل العلمي، ولا

1 د. محمد إبراهيم الفيّومي: تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 113.

يعني هذا أنّهم قطعوا علاقتهم بالمشرق بل ظلوا على اتصال به وبعلمائه ولكن في صورة أقل مما حدث قبل هذا العصر[1].

ويعتبر ابن بن عبد ربه في تاريخ الفكر الأندلسي في مقدمة الأعلام الذين أثاروا مشكلة تبعية الأندلس الفكرية إلى المشرق، وهو أول من أثار الخصومة الأدبية بين المشرق والمغرب العربيين، وأخذ يحاول مع الاتجاه الأدبـي العام في البلاد إلى تكوين شخصية أدبية مستقلة لها طابعها المميز، وإنّ هذه المحاولة أخذت في عصر ملوك الطوائف في رسم الخطوط الكبرى لهذه الشخصية الأندلسية الفذّة، التي راحت تبتعد عن مواكبة أدب المشرق، لأنّ هذا الشعر لم يعد بمقدوره أن يمدّ العبقرية الإسلامية بنتاج يتوافق وتفتح هذه العبقرية على الآفاق الجديدة التي بهرت عرب الأندلس[2].

فقد نفذ الأندلسيون في عصر الخلافة من دائرة التقليد إلى محيط الإبداع العلمي مع بروز الشخصية العلمية في ميدان الفكر.

إنّ ظاهرة اكتمال نمو الشخصية العلمية قد أطلّت برأسـها في عصر الخلافة، فقد تحركت تيارات ثقافية منذ عهد الخلافة نحو منازع الاستقلالية.

حتى كان عهد ابن حزم فانعتق الفكر الأندلسي من تبعية المشرق الذي لم يعد يقوى أن يمد العبقرية الأندلسية بمفاهيم تكشف ماهية الإنسان[3].

فالأندلس في عهد ملوك الطوائف تختلف في وضعها العلمي عن الفترات السابقة، فبعد أن قضت الأندلس ما يقارب ثلاثة قرون في الأخذ عن المشرق والاعتماد عليه نراها بعد هذه المدة قد أحست بالنضج الحضاري، ورأت أن تلتفت إلى نفسها بتعميق معالم شخصيتها العلمية وإبراز ذاتها بين بقية الأقطار الإسلامية.

---

1 د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس**، ص 97.

2 د. عبد الله أنيس الطباع: **القطوف اليانعة من ثمار جنّة الأندلس الإسلامي الدّانية**، ص 131-295.

3 د. عبد الله أنيس الطباع: **القطوف اليانعة من ثمار جنّة الأندلس الإسلامي الدّانية**، ص 131.

ففي عهد ملوك الطوائف بدأت الحركة العلمية الأندلسية تتخذ قالباً جديداً وشكلاً مغايراً لما سبق فضلاً عن سعيها إلى إثبات ذاتها، واستقلالها الشخصي عن المشرق.

وإننا نلاحظ خلال هذه الفترة كثرة الكتابات عن فضل علماء الأندلس ونفاسة إنتاجهم العلمي.

فقد ألّف ابن حزم رسالة في فضل الأندلس، وهي ثبت تصنيفي أحصى فيها ثمار الفكر الأندلسي، إذ أتى فيها على ذكر المؤلفات الرئيسية التي ساهم فيها الأندلسيون حتى عصره، سواء في العلوم الدينية أو غيرها. فإنّ ما وصلنا من تآليفهم التي ذكرها في رسالته تؤكد حقيقة ما وصلت إليه الأوضاع العلمية والأدبية في الأندلس من رقي وازدهار وتألّق، كما تبعث على الطمأنينة بصدق كلام ابن حزم وأنّه لم يبالغ في امتداحه لمستوى الحياة العلمية في وطنه[1].

وختم رسالته بعقد مقارنة بين نوابغ العلماء الأندلسيين في حقول المعرفة المختلفة وبين أندادهم من المشارقة. وتعتبر هذه الرسالة من أعظم شواهد التفوق العلمي للأندلسيين منذ عصر الإمارة إلى عصر المؤلف نفسه. وهي بلا شك تعطينا دليلاً حاسماً على نضوج الشخصية العلمية للأندلسيين وتفوقهم[2].

وكان ابن حزم حكيماً عندما رأى من العبث أن يذهب بعيداً للبحث عن أشياء متوفرة لديه، والاندفاع نحو أدب المشرق[3].

ولعل الدافع إلى تأليفها هو انتقاد بعض كتّاب القيروان بعض المثقفين الأندلسيين في عدم ولائهم لتاريخهم، وعدم محافظتهم على ذكرى انتصاراتهم والفخر بملوكهم[4].

---

1 د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**، ص 181.
د. محمد إبراهيم الفيّومي: **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس**، ص 114.

2 سعد بن عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس**، ص 107-108.

3 د. عبد الله أنيس الطباع: **القطوف اليانعة من ثمار جنة الأندلس الإسلامي الدانية**، ص 295.

4 د. محمد إبراهيم الفيّومي: **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس**، ص 114.

ومن الكتابات التي أُلِّفت عن فضل علماء الأندلس ونفاسة إنتاجهم العلمي الحركة النقدية التي قام بها ابن بسام في مؤلفه العظيم «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة».

وعلى الرغم من أنّ ابن بسام ألّف كتابه المذكور في عصر المرابطين إلاّ أنّ نشأة ابن بسام العلمية وتحصيله للعلم والأدب كان في عصر ملوك الطوائف. كما أنّ علمه الذي بثه في كتابه «الذخيرة» مستمد من نشاطه الأدبي في عصر ملوك الطوائف، ويؤكد ذلك ما اشتمل عليه كتابه من تراجم لعلماء وأعيان ذلك العصر الزاهر وأرفق بذكرهم كثيراً من إنتاجهم الأدبي شعراً ونثراً[1].

ويذكر ابن بسام في فاتحة كتابه دافعه إلى تصنيف «الذخيرة»، وهو أنّه رأى انصراف أهل عصره وقطره إلى أدب المشرق والتزود منه والإعجاب به، وإهمال أدب بلدهم، ورأى الناس يغمطون قدرهم ويتساقطون في تيار التقليد المشرقي. فأراد بوضع «الذخيرة»، وجميع ما تضمنه، من رائق المنثور والمنظوم، أن يبصر أهل الأندلس بتفوق أدبائهم، وروعة إنتاجهم، وأنّ الإحساس ليس مقصوراً على أهل المشرق.[2] فكان هناك محاولات لتأصيل الوضع الفكري في الأندلس، والاستقلالية في الشخصية والحد من الانحراف في تبعية الأندلس للمشرق، فهي صحوة إلى التقدم الفكري.

فقد شهد عصر ملوك الطوائف تباطؤاً متنامياً في الاتصالات بالمشرق؛ وإنّ تطوّر العلوم الدقيقة في الأندلس أصبح منذ منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي أصيلاً نوعاً ما ومستقلاً عن المشرق[3].

فإذا كانت ظاهرة اكتمال نمو الشخصية العلمية والاستقلال قد أطلّت برأسها في عصر الخلافة وخاصة في عهد الخليفة العالم الحكم المستنصر، إلاّ

1 د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**، ص 355.

2 د. محمد إبراهيم الفيّومي: **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس**، ص 105-106.

3 خوان فيرنيه: «**العلوم الفيزياوية والطبيعية والتقنية في الأندلس**»، في كتاب: د. سلمى الخضراء الجيوسي: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ج2، ص 1316.

أنّها ظهرت بصورة قوية وفعّالة في عصر ملوك الطوائف. ولا يعني قولنا هذا أنّ الأندلس استقلّت استقلالاً تاماً عن المشرق واكتفت ببناء كيانها الحضاري بالاعتماد فقط على أبنائها، بل ظل الاتصال العلمي بينها مستمراً، رغم أنّ تياره ضعف منذ عصر ملوك الطوائف، وهو أمر طبيعي.

فقد شهدت الأندلس أبْهى عصورها العلمية على وجه الإطلاق في عصر ملوك الطوائف. فقد فاق عصر ملوك الطوائف عصر الخلافة علماً وأدباً وحضارة زاهرة، وبالتالي ننتظر من علمائه وأدبائه تفوقاً ونبوغاً أكثر ممن سبقهم في عصر الخلافة.

فإننا نلمس في آثار علماء ذلك العصر مسحة من النبوغ والتفوق تؤكد النضج العلمي للأندلس واكتمال نمو الشخصية العلمية القادرة على إبراز ذاتها في الميدان الفكري والمعترك العلمي. فأخذ كثير من العلماء يرسخ بتفوقه العلمي قاعدة الاستقلال والاعتماد على الذات، ومحاولة لفت الأنظار إلى أنّ في الأندلس من العلم والمعرفة ما يغني عن السعي إلى المشرق، أو على الأقل محاولة التخفيف من الاعتماد على علماء المشرق بعد أن تغيّرت الأوضاع في الأندلس وازدهرت فيها الحضارة والفكر والعلم والأدب.

حتى وجدنا في عصر ملوك الطوائف علماء طبقت شهرتهم الآفاق، أخذوا علومهم ومعارفهم عن علماء وطنهم فلم يرتحلوا إلى المشرق، ورغم ذلك فقد برزوا، فمن هؤلاء ابن حزم المؤرخ الفقيه الأديب الفيلسوف الذائع الصيت الذي لا تزال بعض آثاره بين أيدينا تشهد بنبوغه وتألّقه العلمي، وقبله صديقه ابن عبد البر النمري حافظ الأندلس الذي نحتفظ بعدد من مصنفاته القيمة مثل الاستيعاب، وبهجة المجالس، والتمهيد وغيرها من كنوز المعرفة[1].

وإننا نلاحظ في هذا العصر نزعة الأندلسيين نحو المساواة بالمشارقة والوقوف أنداداً لهم، وتتجلى هذه النزعة في سيرة العلامة الفقيه عيسى

1 د. سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ص 185-186.

بن إبراهيم القيسي الطلبيري[1] الذي ارتحل إلى المشرق ودخل بغداد وناظر فيها عدداً من العلماء والفقهاء[2].

وفي هذا إشارة هامة إلى المستوى الرفيع الذي بلغه علماء الأندلس وأنّهم في ذلك العصر أصبحوا أهلاً لأن يردوا بعض فضل المشرق عليهم فيرحلوا لا لأخذ العلم فقط وإنّما لتقديمه أيضاً لأساتذتهم بالأمس وأندادهم اليوم.

وعندما دخل العلامة الحافظ **عبد الرحيم بن أحمد التميمي البخاري** (ت 471هـ/1078م) إلى الأندلس دهش لكثرة علمائه ووفور علومهم ومعارفهم في علم الحديث والفقه، ووجد نفسه مرغماً على الأخذ عنهم والسماع على البارزين فيهم، مع أنّ المقري قطع أنّه لم يدخل الأندلس مشرقي أحفظ منه للحديث[3].

وفي ذلك دلالة على تطلع المشارقة إلى الأندلس واعترافهم بقدرها العلمي وتألّق علمائها في العلم.

فهذه أمارات وظواهر لها دلالات هامة في مسيرة الحياة العلمية في الأندلس، فهي توضح لنا بجلاء معالم وملامح الطموح العلمي للأندلسيين، ونزعة الكثير منهم خاصة خلال هذا العصر نحو ترسيخ قواعد الاستقلال العلمي للشخصية الأندلسية، ومحاولة تثبيت الإطار المتميّز لها في خضم

---

1 هو عيسى بن إبراهيم بن عبد ربه بن جَهور القَيْسي، أبو القاسم، من أهل طلبيرة (مدينة كبيرة بينها وبين طليطلة سبعون ميلاً). سكن شريش. روى بقرطبة عن أبي علي الغسّاني، وأبي عبد الله محمد بن فرج الفقيه، وحازم بن محمد، ورحل إلى المشرق بعد الخمسمائة، ولقي جماعة من العلماء. ودخل بغداد وناظر هنالك الفقهاء. وأخذ عن أبي بكر محمد بن طرْخان، والشاشي، وأبي محمد القاسم بن علي الحريري البَصري صاحب المقامات، فأخذها عنه، وجماعة غيرهم. وكان من أهل النبل، والذكاء، والفهم، والمعرفة بالآداب واللغة والشعر وهو كان الغالب عليه، وله مشاركة في الفقه والحديث وأصول الديانات. وكان فاضلاً، طاهراً، حليماً ثقة فيما رواه وعُني به. وقدم قرطبة فأخذوا عنه، وتوفي بإشبيلية سنة (سنة 527هـ/1132م).
ابن بشكوال: **الصلة**، ص 350. الحِميري: **صفة جزيرة الأندلس**، ص 128.

2 ابن بشكوال: **الصلة**، ص 350.

3 المقري: **نفح الطيب**، ج3، ص 64.

العلاقات العلمية بين وطنهم والمشرق، والسعي إلى فك قيود التهافت على الفكر المشرقي، وذلك بلفت الأنظار إلى قيمة آثار الأندلسيين ونفاسة إنتاجهم وأنّهم لا يقلّون عن إخوانهم المشارقة في الحضارة والعلوم والآداب، إن لم يتفوقوا عليهم في بعضها كالدراسات النحوية والقراءات والموشحات، والمتتبع لتاريخ الفكر الأندلسي يلمس خلال هذا العصر وما تلاه من عصور ظاهرة هجرة العلماء الأندلسيين إلى المشرق، ليس لأخذ العلم بل لإعطائه وبذله.

فبعد أن استقلت الشخصية الأندلسية من القرن الخامس الهجري، الحادي عشر للميلاد عن الشخصية المشرقية، أصبحت المصدر الأول لتوجيه الفكر في العالم الغربي.

ولا شك بعد ذلك في أنّ الأندلس بلغت ما أرادته لنفسها من الازدهار والتفوق وبناء صرح متميّز له طابعه الخاص الذي يستمد معالمه وخطوطه من الروح الأندلسية الخاصة.

الفصل الثاني

المرأة الأندلسية

ثقافتها ومكانتها الاجتماعية

المبحث الأول: وضع المرأة في المجتمع الأندلسي

المبحث الثاني: ثقافة المرأة الأندلسية

المبحث الأول

وضع المرأة في المجتمع الأندلسي

إنّ أحسن وضع للمرأة عند العرب في العصور الوسطى كانت تحظى به المرأة العربية في الأندلس، حيث تمتعت المرأة بمكانة عالية في المجتمع. فكانت انطلاقتها في المجتمع الأندلسي أوسع مما كانت عليه في البلدان العربية والإسلامية الأخرى.

1- مكانة المرأة في المجتمع الأندلسي

كانت النساء الأندلسيات يتمايزن بحسب الأصول العرقية لمن والدين والطبقة الاقتصادية والمستوى السياسي - الاقتصادي. وتشغل المصادر الأدبية نفسها بالنساء العربيات المسلمات من الطبقة الأرستقراطية، أو النساء المرتبطات بهن بصورة من الصور[1].

كان للمرأة الأندلسية دور مهم في الحياة، ولكن القاعدة الاقتصادية التي يقوم عليها المجتمع تؤثر في مركزها ونشاطها وعلاقتها بالرجل كما في غير ذلك من المظاهر تأثيراً عميقاً. فالعلاقة بين المرأة والرجل لم تكن تأخذ الشكل نفسه تماماً في جميع طبقات المجتمع الأندلسي، فكان البون الشاسع بين حياة الأرستقراطية وحياة العامة ينعكس في جميع مظاهر حياتهما، ومنها الوضع الاجتماعي للمرأة؛ لذا فمن غير المعقول التحدث عن المرأة الأندلسية، دون

---

1 ماريا ج. فيغيرا: «أصلح للمعالي: عن المنزلة الاجتماعية لنساء الأندلس»، في كتاب: د. سلمى الخضراء الجيوسي: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، ص 1005-1006.

اعتبار هذا التباين الاجتماعي وأثره في مركز المرأة في كل طبقاته[1].

كانت مكانة المرأة في المجتمع الأندلسي تتباين حسب طبقتها في المجتمع. فحال المرأة في الوسط **الأرستقراطي** يختلف عن حالها لدى العامة. فلقد تمتّعت المرأة الأرستقراطية بمكانة رفيعة، واعتبرت نداًّ للرجل، فكانت تقف معه على قدم المساواة، وتفوقه أحياناً، وتجمع الثروات. وكانت تعيش عيشة رغد وهناء، غير أنّها كانت في بعض الأحايين تتمرد على التقاليد السائدة التي كانت تأسرها وتمنعها من أن تفعل ما يحلو لها، فقد كانت بعض النساء من الطبقة الأرستقراطية متحررات إلى حدّ بعيد، فولادة بنت المستكفي، ومهجة القرطبية، نموذجان قليلا الانتشار في الوسط العربي الإسلامي، ولكنهما يعكسان على كل حال سلوك المرأة الأرستقراطية الحرّة إذا ما تيسّر لها إزالة الحجب والظهور على مسرح الأحداث[2].

وإنّ الوسط الأرستقراطي لم يكن يهمل تعليم النساء فلدينا الكثير من الإشارات التي تدل على طول باع المرأة في الشعر والأدب. وابن حزم نفسه يذكر أنّ النساء هن اللاتي اعتنين بتربيته «فعلمنه القرآن وروينه الأشعار». كما أنّ ما لدينا من شعر النساء الأندلسيات رغم قلته، يدل على طول باع كثير منهن في صناعة الشعر ونظم القريض[3].

أمّا المرأة المنتمية إلى **الطبقة الوسطى**، فلم تكن تختلف كثيراً عن المرأة الأرستقراطية، فهي تحاول أن تتشبه بها وتجاريها في تصرفاتها وطريقة عيشها، وقد تغير منها وتحقد عليها، لأنّ الثروة والسعادة والرفاهية غير متوفرة لها[4].

إنّ المرأة في هذه الطبقة الوسطى كانت تحاول جاهدة أن ترفع صوتها لتعلي من شأنها، وتثبت وجودها أمام الرجل. وإنّ نصيب المرأة من التعليم في الطبقة الوسطى كان أقل من نصيب المرأة في الطبقة الأرستقراطية.

---

1 د. صلاح خالص: **إشبيلية في القرن الخامس الهجري**، ص 90-91.

2 د. صلاح خالص: **إشبيلية في القرن الخامس الهجري**، ص 90-91-93.

3 د. صلاح خالص: **إشبيلية في القرن الخامس الهجري**، ص 99.

4 عائدة محمد خالد: **المرأة في الأندلس**، ص 58.

بذلك نرى أنّ المرأة الأرستقراطية كانت أكثر تحرراً ويختلف هذا الأمر باختلاف المناطق والبيئات.

ويختلف حال المرأة في الطبقة الأرستقراطية والوسطى عن حالها في الطبقة الفقيرة. فقد كانت المرأة في الأسر الفقيرة سجينة البيت، خاضعة لسلطة وتبعية الرجل. ولا يتعدى مجال عملها في الريف العمل في الحقل أو بيع المنتوجات[1]. فكانت المرأة في الريف تقوم بواجبات أكثر اتساعاً خارج حدود المنزل، فكان نشاطها يمتد إلى الأعمال التي تستهدف الحصول على قوت العائلة[2].

وقد اختلفت موارد عيشها نسبياً عن موارد نظيرتها في العائلات الحضرية. فاحتلت موقعاً هاماً في عمليات الإنتاج، وساهمت مساهمة فعّالة في الميدان الزراعي.

بينما تمتّعت المرأة في العائلات الموسرة بقسط وافر من الحريّة مكّنها من ولوج عالم الثقافة والفكر والسياسة والقيام بأدوار اقتصادية واجتماعية هامّة.

ويستطيع الأدب أن يزودنا بلمحات كاشفة عن وضع النساء في الأندلس. فهي مصادر غنية للمعلومات المتعلقة بالنساء. من بين أعمال النثر هذه يمكن أن نأخذ في الحسبان الأدب، وهو يتسم بخاصية التنوع إذ يضم مجموعات من النوادر والطرف والحكايات التي تعكس الآداب الجميلة والعادات الحميدة؛ بين أيدينا على سبيل المثال، أول موسوعة أندلسية، «العقد الفريد» لابن عبد ربه (ت 328هـ/940م)، الذي يكرس الحادي والعشرين منه للنساء، وفي القرون التالية لدينا كتاب «بهجة المجالس» لابن عبد البر القرطبي (ت 463هـ/1070م)، والذي كرّس العديد من فصوله للنساء[3].

---

1 عائشة محمد خالد: **المرأة في الأندلس**، ص 85.

2 د. صلاح خالص: **إشبيلية في القرن الخامس الهجري**، ص 91.

3 ماريا ج. فيغيرا: «أصلح للمعالي: عن المنزلة الاجتماعية لنساء الأندلس»، في كتاب: د. سلمى الخضراء الجيوسي: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ج2، ص 1003.

والقاعدة أننا نعرف القليل عادة عنهنّ إلاّ إذا لعبت إحدى نساء البلاط، مثلاً، دوراً رئيسياً في الأحداث المهمة الحاسمة في المشهد السياسي، ولربما يكون ذلك عبر تأثير هذه المرأة المهم في أعمال زوجها وأنشطته، كما كان أمر اعتماد الرميكية مع ملك إشبيلية، المعتمد.

وإنّ المعلومات الفعلية الملموسة عن مكانة النساء الأندلسيات ونشاطاتهنّ تصبح أوسع عندما يتصل الأمر بالمعلومات الخاصة بعلاقاتهنّ بالرجال ذوي المكانة الاجتماعية المرموقة؛ إننا نسمع، بالتالي، عن نساء ينتسبن إلى عائلات الملوك أو الرجال البارزين، عن نساء كن خادمات لهم (بمن في ذلك الجواري)، وعن النساء اللواتي برزن، في الأنشطة الفكرية والفنية[1].

وإننا نلاحظ من خلال المصادر الأدبية والتاريخية المتعلقة بالأندلس أنّ المرأة في الأندلس احتلت مكانة عظيمة في المجتمع.

ونلاحظ طغيان شخصيتها، وتقديرها إلى درجة المبالغة في شعر الغزل عند الملوك، حيث نلحظ فيه تطامن العظماء، وخضوعهم للمرأة واستصغروا ملكهم أمام عاطفتهم، وتهالكوا في حديثهم عن المحبوبة واعتبروها مصدراً للحياة والإلهام[2].

فإننا نلاحظ من خلال المصادر الأدبية والتاريخية المتعلقة بالأندلس أنّ المرأة في الأندلس احتلت مكانة عظيمة في المجتمع. ولقد قدّر الرجل الأندلسي المرأة الأندلسية. وقدّر حكّام الأندلس المرأة حقّ قدرها دون اعتبار للنفوذ والسلطان.

ومن القصائد والمقطوعات التي قالها الأندلسيون في المرأة تظهر هذه المكانة العظيمة في قلوبهم، وقد ألّف فيها الأندلسيون كتباً أشهرها «طوق الحمامة في الألفة والألاف» لابن حزم، وفيه يحلل طبيعة المرأة، ويبوّب عواطف المحبين تبويباً منظماً متماسكاً[3].

1 ماريا ج. فيغيرا: «أضلح للمعالي: عن المنزلة الاجتماعية لنساء الأندلس»، في كتاب: د. سلمى الخضراء الجيوسي: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، ص 1008.

2 د سعد إسماعيل شلبي: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، ص 452.

3 د.سعد إسماعيل شلبي: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، ص 58.

2- دور المرأة الأندلسية في الحياة السياسية

احتلت المرأة الأندلسية مكانة عظيمة في المجتمع، وكانت تتمتع بالقوة والنفوذ، فقد ساهمت في السلطة إلى جانب زوجها، وتصرفت بملء حريتها في ثروته الخاصة وأملاكه.

ففي تاريخ الأندلس جوانب كثيرة أتاحت الفرص لبروز اقتدار النساء ونفوذهنّ، ويعود ذلك إلى اتّصافهنّ بالحكمة، وبعلو مكانتهنّ، هذه المكانة لا تستمدّ قوّها من مقامهنّ السياسي فحسب، بل تستمدّها من اقتدار هؤلاء النسوة، وما أفسح لهنّ من مجالات الظهور[1].

ويحدثنا التاريخ عن تدخل بعض هؤلاء النسوة في شئون الدولة. وكان نفوذ نساء القصر في عهد الحكم المستنصر (360هـ/970م) على رجال الحكومة كبيراً، وكانت صبح[2] أم الخليفة هشام (406هـ/1015م) من دهاة

1 محمد جميل بيهم: المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة، ص 261.

2 هي صبيحة ملكة قرطبة زوجة الخليفة الحكم وأم الخليفة هشام. من ربات النفوذ والسلطان والإدارة والسياسة. لسنا نعرف الكثير عن نشأتها وحياتها الأولى. وكل ما تقدمه إلينا الرواية الإسلامية في ذلك، هو أنّ «صبحاً» كانت جارية بشكسية أي نافارية. وصبح أو صبيحة ترجمة لكلمة Aurora الفرنجية، ومعناها الفجر أو الصباح الباكر، وهو الاسم النصراني الذي كانت تحمله صبح فيما يظهر. وظهرت صبح في بلاط قرطبة في أوائل عهد الحكم المستنصر، وكانت فتاة رائعة الحسن والخلال، فشغف بها الحكم وأغدق عليها حبه وعطفه، وسماها ب«جعفر» ولم تلبث أن استأثرت لديه بكل نفوذ ورأي. ثم ازداد هذا النفوذ توطداً وتمكناً، حينما رزق منها الحكم بولده عبد الرحمن ثم بولده هشام. أشركها الخليفة الحكم في الحُكم علناً ووسّع المجال لدائرة نفوذها، وصارت الملكة النافذة الكلمة في كل بلاد الأندلس. كانت تدير شؤون بلادها مستعينة بعثمان بن جعفر المصحفي. وكان كاتبها الخاص محمد بن أبي عامر يحرر أوامرها ويقوم بتبليغها إلى مختلف الجهات. ثم عينته مديراً عاماً على الأملاك والضياع حوالي سنة 356هـ. غير أنّ العلاقة ما لبثت أن ساءت بينه وبين صبح؛ لما رأته من نفوذه وسيطرته على البلاد، فثابت إلى رشدها، وأخذت تقاومه بكل ما أوتيت من قوة. ولا نعرف تاريخ وفاتها بالتحقيق، ولا نعرف إن كانت وفاتها قبل وفاة المنصور أو بعدها؛ وكل ما تقوله الرواية الإسلامية في ذلك، هو أنّ وفاتها كانت أيام ولدها هشام. والظاهر أنها توفيت بعد ذلك بقليل قبل وفاة المنصور، حوالي 390هـ/1000م، لأننا لا نعثر باسمها بعد ذلك في حوادث الأندلس.

النساء وأعظمهن سلطاناً ونفوذاً.

أخذت صبح تشارك زوجها الحكم في إدارة الحكومة، و لم يمضِ على ذلك زمن طويل حتى كانت تشغل مركزاً سامياً في ميدان السياسة والإدارة، وتمكّنت من إظهار ذكائها الفطري، وقدرتها على ممارسة الأحكام بشكل أدهش رجال الدولة. وكان الخليفة الحكم من أولئك الذين يقدّرون الأشياء قدرها، ويقيمون للأمور أوزانها، ففطن إلى مزايا زوجته في مسائل الحكم والإدارة فأشركها في الحكم علناً ووسّع المجال لدائرة نفوذها وتأثيرها[1].

واستمرت صبح أيام الحكم، تتمتع في البلاط والحكومة، بنفوذ لا حسد له، وكان الحكم يثق بإخلاصها وحزمها، ويستمع لرأيها في معظم الشؤون. وكانت كلمتها هي العليا، في تعيين الوزراء ورجال البطانة[2].

كانت صبح في أول أمرها صاحبة السلطان المطلق على عقل الخليفة وقلبه، ثم أصبحت بعد ذلك بفطنتها وذكائها تملك روحه، وما زالت تتدرج في مراتب الكمال حتى صارت الملكة النافذة الكلمة في كل بلاد الأندلس[3].

وبعد وفاة الحكم المستنصر اتسع نطاق عمل صبح؛ فراحت تؤدي دورها العملي بكل جديّة، تنظر في قرارات المجلس الأعلى، وتبحث عن الوسائل المؤدية لاستتاب الأمن في ربوع الأندلس، وقد عملت على تخفيض الضرائب الباهظة التي أثقلت كاهل الشعب، فلاقى عملها تأييداً كبيراً لدى العامة، وقبولاً لدى الخاصة؛ لأنّ رجال الدولة لم يقع اختيارهم عليها كوصيّة عبثاً بل عن إقناع؛ فهي مشهورة بذكائها، معروفة بحسن درايتها في سياسة البلاد[4].

عمر رضا كحالة: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج2، ص 323. قدرية حسين، شهيرات النساء في العالم الإسلامي، ص 230- 273. محمد عبد الله عنان: الخلافة الأموية والدولة العامرية، ص 520-521- 556. المقري: نفح الطيب، ج1، ص 396.

1 قدرية حسين: شهيرات النساء في العالم الإسلامي، ص 230.

2 محمد عبد الله عنان: الخلافة الأموية والدولة العامرية، ص 521.

3 قدرية حسين: شهيرات النساء في العالم الإسلامي، ص 230.

4 قدرية حسين: شهيرات النساء في العالم الإسلامي، ص 239.

كانت تلك المرأة، التي لبثت ردحاً طويلاً من الزمن، تسيطر بسحرها ونفوذها، على خلافة قرطبة، وتشترك في تدبير شؤونها، في السلام والحرب، مع أعظم رجالات الأندلس. وتصفها التواريخ الإفرنجية بـ «السلطانة صبح»[1].

إنّ المرأة، حرّة كانت أو جارية، قد جارت الرجل في حسن تدبير الأمور، فالزلفاء زوجة المنصور محمد بن أبي عامر، كانت من الحرائر اللواتي أدين دوراً في الحياة السياسية، كانت امرأة ذكيّة قوية العزم، كثيرة المال والوجاهة، كانت تتمتّع بنفوذ عظيم في بلاط ابنها عبد الملك الظفر (392-398هـ/1001-1007م)، وكان المنصور برغم قوته وشدة بطشه يسترشد برأيها ويعمل بموجبه؛ لأنّها امرأة كثيرة التجارب، وعظيمة الحنكة شديدة الثقة بنفسها[2].

وكانت اعتماد الرُّمَيْكِيَّة ذات الشأن العظيم في تاريخ المعتمد، فقد ملكها المعتمد، وتملكت زمام هواه. واتخذ المعتمد من اسم اعتماد الرّمَيْكِيَة لقباً رسمياً لنفسه في تاريخ دولة بني عبّاد وهي التي أغرته بقتل ابن عمار[3]، وأنجبت للمعتمد أولاداً شاركوا أباهم في امتلاك الأندلس فسميت أم الملوك[4].

إنّ إتاحة الفرصة أمام المرأة الأندلسية في ميداني العلم والثقافة قد صقل شخصيتها، ووسّع آفاق تفكيرها، وجعلها تحتلّ مكانة مرموقة في مجتمعها.

3- الجواري في المجتمع الأندلسي

كثرت الجواري في بلاطات الحكام في الأندلس، وازدادت العناية بتهذيبهنّ وثقافتهنّ، ونمت شخصية بعضهن. فكانت جواري الأندلس

---

1 محمد عبد الله عنان: **الخلافة الأموية والدولة العامرية**، ص 520.
Dozy Reinhart, *Histoire des Musulmans d'Espagne jusqu'à la conquête de l'Andalousie par les Almoravides*, Leyde, 3 vol., 1932, p. 190-195.

2 عائدة محمد خالد: **المرأة في الأندلس**، ص 239.

3 ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج4، ص 222.

4 د.سعد إسماعيل شلبي: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر**، ص 59.

مثقفات، تحرّرن بعضهنّ. وقد استقلت جواري الأندلس بالموسيقى، ونسبغن فيها. فكان الحكام والأمراء يمتلكون منهن المئات. وأشهر الجواري في عصر الخلافة: مزنة[1] جارية الخليفة عبد الرحمن الناصر وأمينة سره. وكان الخليفة الناصر يسرّه أن يتمتع بسماع منظوماتها، وأغانيها العذبة الرقيقة.

ومن الجواري في عهد ابنه الحكم الثاني، لُبنى الحسناء العالمة الشاعرة والكاتبة البارعة التي كان يقدرها الحكم حق التقدير حتى جعلها منشئة رسائله.

ونجد اسم جارية أخرى اسمها راضية، وكانت تعرف بالكوكب الزاهي، وكان الحكم الثاني شغوفاً بمجالستها. وكان أبوه الناصر قد أهداها له، وهي آية في الجمال، والأدب، وراوية للتاريخ، والنوادر، ونابغة عصرها في القريض ووضع القصص الرائعة التي فاحت في الشرق بعد موت الخليفة وكانت محل هتاف العلماء في كل مكان[2].

وكان قصر هذا الخليفة حافلاً بكثير غيرهما من الأماء اللواتي جمعن بين الجمال والدلال، وبين الأدب والفن، وعلى رأسهنّ خديجة التي تنظم الأبيات الرائعة وتنشدها بصوتها الساحر. وفاطمة التي وصفوها بأنّ شعرها كان كفاء نثرها، والتي تكتب بإتقان نادر أو تنسخ كتباً للخليفة وتعجب العلماء برسائلها، وتملك مجموعة كبيرة ثمينة من كتب الفن والعلوم[3]..

وكان ابنه الأمير عبد الرحمن معنياً بالجواري، وابتنى لهن داراً. والتمع بينهنّ أسماء فضل، وعلم، وقلم، وهي أسماء تشير إلى الاتجاه وقتئذ نحو الناحية الثقافية[4].

---

1 هي مُزْنة جارية الخليفة عبد الرحمن الناصر وأمينة سره وكاتبته، كانت أديبة حسنة الخط. كان الخليفة الناصر يسرّه أن يتمتع بسماع أغانيها العذبة الرقيقة. توفيت سنة 358هـ. الضبّي: **بغية الملتمس**، ص 476. ابن بشكوال: **الصلة**، ص 531. محمد جميل بيهم: **المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة**، ص 256.

2 علي عثمان: **المرأة العربية عبر التاريخ**، ص 104. محمد جميل بيهم: **المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة**، ص 256.

3 علي عثمان: **المرأة العربية عبر التاريخ**، ص 104. محمد جميل بيهم: **المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة**، ص 256.

4 محمد جميل بيهم: **المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المراة**، ص 256-257.

وراج سوق الجواري من بعد في عهد ملوك الطوائف رواجاً عظيماً، وأخذ هؤلاء الملوك يتنافسون في اقتناء الموهوبات منهنّ بمقدار تنافسهم في تعزيز العمران.

فكثرت الجواري في بلاطاتهم، وكان الملوك يمتلكون منهن المئات، فقيل إنّ المعتمد مثلاً كان يمتلك حين خلع عن العرش ثمانمائة امرأة[1].

وقد وصل بعضهنّ إلى سعر باهظ، وإنّ سعر الجارية قد يصل إلى ألفين أو ثلاثة آلاف دينار تبعاً لسنّها وجمالها وثقافتها وصفاتها الأخرى[2]. وهناك العديد من الإشارات إلى الطرق التي تنافس بها ملوك الطوائف لامتلاك أفضل الجواري المغنيات وأكثر عدد منهنّ.

وكان ملوك الطوائف يجمعون حولهم من الجواري المغنيات الجميلات، وأمينات للسر، والأديبات[3].

وكان يتوقع أن يقصرن دورهن على الأمور التزيينية أو الأمور الاستراتيجية ضمن حاشية الملك أو الرجال الآخرين ذوي الأهمية في القصر. لقد كان لهن أملاكهنّ الخاصة، حيث كنّ أحياناً يستعملن هذه الأملاك للتبرع للمؤسسات العامة، وبذلك يسهمن في النفوذ المستقبلي لعائلاتهنّ. ولقد رافقن أسيادهنّ أيضاً في حالات المحنة. ولقد تزوّج الملوك الأندلسيون منهن، وكان من آثار ذلك على الأقل أنّ التاريخ حفظ لنا أسماءهن[4].

ونمت شخصية بعض الجواري حتى نازعن الحرائر منازلهن السامية داخل القصور وخارجها.

وزادت العناية بتهذيبهنّ وثقافتهنّ، فكنّ يدرسن بجوار الغناء والموسيقى علوم اللغة، ثم يزدن على هذا دراسة الطب وعلم التشريح وعلم الطبيعة.

---

1 د. صلاح خالص: إشبيلية في القرن الخامس الهجري، ص 97.

2 د. صلاح خالص: إشبيلية في القرن الخامس الهجري، ص 92.

3 Gichard Pierre, *AL-ANDALUS*, p.118.

4 ماريا ج. فيغيرا: «أصلح للمعالي: عن المنزلة الاجتماعية لنساء الأندلس»، في كتاب: د. سلمى الخضراء الجيوسي: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، ص 1010-1011.

منهن «إشراق» مولاة عبد الرحمن بن غلبون التي تعلّمت من سيدها النحو واللغة[1].

وأسهمن في المجالس الأدبية، وكان لهن شهرة ذائعة في الأدب والشعر، وكان بعضهنّ على درجة كبيرة من الثقافة، حتى فرضن على سادتهنّ احترامهنّ، وتقديرهنّ. وماضي هؤلاء في الحرية حيث كن أسبانيات حرائر لم يفارقهن بمجرد وقوعهنّ في الأسر، وظللن أوفياء لوطنهنّ حتى لقد كن عاملاً من عوامل القضاء على الحكم الإسلامي في الأندلس بما أشعن في قلوب أبنائهنّ من ولاء لوطنهنّ، والنظرة إلى الحكم العربي على أنّه حكم دخيل ينبغي التخلّص منه، وساعد على نمو هذه الشخصية كثرتهنّ في القصور[2].

وكان الأديب محمد بن الكتاني[3] متقناً في علوم مختلفة، وكان يشتري القيان والجواري الحسان، ثم يقوم بتعليمهنّ وتدريسهنّ مختلف أنواع العلوم، حتى إذا برعن فيها باعهنّ بأثمان باهظة، يقول في إحدى رسائله لأحد أصحابه: «... في ملكي الآن أربع روميات كن بالأمس جاهلات، وهن الآن عالمات حكيمات منطقيات فلسفيات هندسيات موسيقيات واسطرلابيات، معدلات نجوميات نحويات عروضيات أدبيات خطاطات، تدلّ على ذلك لمنْ جَهِلهن الدواوين الكبار التي ظهرت بخطوطهنّ في معاني القرآن وغريبه وغير ذلك من فنونه وعلوم العرب من الأنواء والأعاريض والأنحاء وكتب المنطق

---

1 د.سعد إسماعيل شلبي: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر**، ص 58.

2 د سعد إسماعيل شلبي: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر**، ص 350-351. ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2، ص 43.

3 هو محمد بن الحس بن الحسين المذحجي، أبو عبد الله، المعروف بابن الكتّاني. طبيب أندلسي، من أهل قرطبة. له علم بالنحوم والفلسفة، ومشاركة في الأدب والشعر. خدم المنصور بن أبي عامر وابنه المظفر. وانتقل في فتنة قرطبة إلى سرقسطة. وعاش بضعاً وسبعين سنة، وتوفي نحو سنة 420هـ/1030م. له رسائل وكتب، وصفها ابن الأبار بأنها «معروفة فائقة الجودة عظيمة المنفعة سليمة» منها كتاب «محمد وسُعدى» قال الضبيّ: «مليح في معناه» و«كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس».
الضبّي: **بغية الملتمس**، ص 57-58. الحميدي: **جذوة المقتبس**، ص 44. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج6، ص 83.

والهندسة وسائر أنواع الفلسفة، وهن يتعاطين إعراب كل ما ينسخه ويضبطه فهما لمعانيه ولكثرة تكرارهن فيه...»[1].

ورغم أنّ الكتاني كان مبالغاً في تسطير تلك الأوصاف إلاّ أنّه يلوح لنا صدق بعض ما وصفه إذا علمنا أنّ الأمير هذيل[2] بن خلف بن لب بن رزين البربري بشنتمرية[3] (ويقال لها السهلة)، اشترى منه إحدى قيانـه (واسمهـا ريحانة) بثلاثة آلاف دينار[4].

قال ابن حيان في تاريخه عن ريحانة: «لم يُرَ في زمانها أخف منها روحاً،

---

1 ابن بسام: **الذخيرة**، ق3، ج1، 319-320.

2 هو هذيل بن خلف بن لب بن رزين البربري، كنيته أبو محمد. مؤسس دولة آل رزين بالأندلس. وهو من أصل بربري، يعرف وأهل بيته ببني الأصلع. كـان مـن أكـابر «شنتمرية» ويقال لها «السهلة»، وينسبها الإسبان إلى آل رزين، فيسمونها (Serra de Albarracin). ولما اضطرب أمر الأندلس بعد الأمويين، وثار كل رئيس بموضع، امتنع ابن رزين في بلده، وبايعه أهلها (سنة 403هـ) فأحكم نظامها وابتعد بها عن خوض الفتن، فأمنت في عهده. وكان ملكاً هماماً كريماً، وكان من أكابر ناس الثغر، وكـان بارع الجمال، حسن الخلق، جميل العشرة، ظاهر المروءة، لم يُرَ في الأمراء أبهى منه منظراً مع طلاقة لسانه، وإدراك حوائجه ببيانه، وكان أرفع الملوك همة في اكتسـاب الآلات، واقتناء القينات. لم يزل على أحسن حالاته إلى أن أدركته منيته فمات بالسهلة سـنة 436هـ/1044م. فكانت دولته 33 سنة كلها آمنة هادئة.

خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج8، ص 79. شكيب أرسلان: **الحلل السندسية**، ج2، ص 101-102.

3 شَنْتَمَرِيّة: مدينة في الأندلس من مدن أُكْشونُبَة. وهي أول الحصون التي تعدُّ لِبَنْبَلونـة، وهي أتقن حصون بَنْبَلونة بنياناً، وأعلاها سموكاً، مبتناة على نهر أرَغون، على مسـافة ثلاثة أميال منه. وشنتمرية على معظم البحر الأعظم، سورها يصعد ماء البحر فيـه إذا كان فيه المدُّ، وهي مدينة متوسطة القدر، حسنة التربة بها مسجد جامع ومِنْبرٌ وجماعة، وبها المراكب واردة وصادرة، وهي كثيرة الأعناب والتين، وبينها وبين شِـلْب ثمانيـة وعشرون ميلاً. وهي مدينة أوّلية، وبها دار صناعة للأساطيل، ويإزائها جزائر في البحر ينبت فيها شجر الصنوبر. وإليها ينسب الأستاذ أبو الحجّاج يوسـف بـن سـليمان الشنتمري الأعلَم ذو التصانيف المشهورة.

الحِمْيَري: **صفة جزيرة الأندلس**، ص 114-115.

4 ابن بسام: **الذخيرة**، ق3، ج1، ص 320. شكيب أرسلان: **الحلل السندسـية**، ج2، ص 101.

ولا أسرع حركة ولا ألين أعطافاً، ولا أطيب صوتاً، ولا أحسن غنـــاءً، ولا أجود كتابة، ولا خطاً، ولا أبدع أدباً، ولا أحضر شاهداً، مع السلامة مـــن اللحن في كتبها وغنائها، لمعرفتها بالنحو واللغة والعروض، إلى معرفة بالطب، وعلم الطبائع، ومعرفة التشريح، وغير ذلك مما يقصّر عنه علمـــاء الزمـــان. وكانت محسنة في صناعة الثقاف، والمحاولة بالتراس واللعب بالرماح والسيوف والخناجر المرهفة، لم يُسمع لها في ذلك بنظير ولا مثيل ولا عديل»[1].

وكان الأمير هذيل من أكابر ناس الثغر، وكان أرفع الملوك همة في اقتناء القينات. وقد اشترى كثيراً من الجواري الحسنات المشـــهورات بالتجويـــد، طلبهنّ من كل جهة، فكانت ستاره أحسن ستائر ملوك الأندلس. وكان مع هذه الأوصاف كنفاً للقصاد، ومنهلاً عذباً معيناً للورّاد، سهل المأخذ[2].

وماج بلاط العباديين بالجواري الشاعرات، وفيه اشتهرت العبادية جارية المعتضد وقد أهداها إليه مجاهد العامري من دانية، وكانت أديبـــة، ظريفـــة، شاعرة. وكان يميل إليها المعتضد ميلاً شديداً[3].

ولقد كان نفوذ الجواري كبيراً جداً؛ لأنّهنّ تدخلن فعلياً في الحكم.

4- تراخي التقاليد الاجتماعية لنساء الأندلس

لقد كانت النساء في الأندلس أكثر تحرراً منهن في بقية البلدان الإسلامية.

وإنّ ظاهرة التحرر لا تنطبق على جميع النساء، وعلى كـــل العصـــور، فالمرأة الأندلسية الحرّة لم تكن في عصر الولاة، وبداية عصر الدولة الأمويـــة، تخالط الرجال، ولا تشترك معهم في الاجتماعات العامّة[4].

---

1 شكيب أرسلان: **الحلل السندسية**، ج2، ص 101.

2 شكيب أرسلان: **الحلل السندسية**، ج2، ص 101-102.

3 المقري: نفح الطيب، ج4، ص 283. زينب بنت علي فوّاز: **الدُّرُّ المنثـــور في طبقـــات ربّات الخدور**، ج2، ص 113-114. د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**، ص 346.

4 عائشة محمد خالد: **المرأة في الأندلس**، ص 99.

وتراخى التقاليد الاجتماعية في الأندلس تراخياً يسمح باختلاط الجنسين دون حرج أو تضييق، وليست هناك رقابة إلاّ على الحرائر المحافظات. كانت النساء الأندلسيات الحرائر محتجبات على عكس المغنيات والجواري. وإنّ النساء المتحررات في هذه البيئة تصرفن، وفقاً للمتطلبات لبنيان العائلة الإسلامية. أمّا الجواري والقيان، فكنّ يخالطن الرجال، ويشاركنهم إلى إحياء مجالس اللهو.

ولقد أثرت الجواري والمغنيات والراقصات، في قلب الحياة الأندلسية في نهاية القرن العاشر والقرن الحادي عشر الميلاديين. فقد كثرت الجواري في هذا العصر، وقد حاولت بعض الحرائر تقليدهن وحرصت على ألا ينقصن عنهن ثقافة وظرفاً.

لقد حظيت المرأة في نهاية عصر الخلافة بحرية واسعة، فكانت تتحيّن الفرص للمطالبة بحقوقها، لا تسكت على الضيم، ولا تبالي بلومة لائم طالما ترى أنّها صاحبة حق. إنّ انطلاقتها بحريّة تشير إلى استعداد الرجل لقبول كل ما يصدر عنها، ولا سيما أنّ الأندلس عرفت نساء كنّ على قدْر كبير من الثقافة، واتّسَمْنَ بقسط كبير من الذكاء[1].

وقد انتشرت ظاهرة الحرية بين نساء العائلات الأرستقراطية، وعلى الخصوص بين تلك التي تولّت مقاليد الحكم؛ فالمرأة في هذه الأوساط تمتّعت بقسط وافر من الحرية، و لم تشعر بأي نقص أو عيب في سفورها.

كانت نساء الأندلس مطلقات الحرية، يختلطن مع الرجال، فكن يحضرن الاحتفالات الرسمية في الأعياد وغيرها، ويشهدن التمرينات والألعاب العسكرية، فترتاح نفوس الشعراء لوجودهنّ[2].

والواقع أنّ صفحات كتاب ابن حزم «طوق الحمامة» يكشف دائماً عن الدرجة الكبيرة من الحرية التي كانت نساء الأندلس يتمتعن بها في الأوساط الأرستقراطية بالقياس إلى ما كان يجري في غيرها من البلاد الإسلامية[3].

---

1 محمد جميل بيهم: المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة، ص 126.

2 محمد جميل بيهم: المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة، ص 234.

3 .Gichard Pierre, *AL-ANDALUS*, p. 136

ولقد عرف المجتمع الأندلسي كوكبة من الشاعرات المتحررات اللواتي تمتعن بحرية مطلقة قلّ نظيرها في المشرق؛ فعقدْن مجالس أدبية استقبلن فيها أعيان عصرهنّ وأدباءه.

وكان **عهد ملوك الطوائف** الحلقة الوسطى بين العهود حيث تألّقت فيه الحضارة الأندلسية. ولا نستطيع أن نبرئ الحضارة الأندلسية منذ عهد ملوك الطوائف من تُهمة الانطلاق في الحرية على مقاييس جديدة، إبان ضعف الوازع الديني.

لقد منح عصر ملوك الطوائف المرأة الحرية المطلقة، وأعطاها حقها في أمور كثيرة، وبالتالي حق ممارسة حقوقها الاجتماعية بشكل بارز. فقد كانت النساء الأندلسيات في هذا العصر مختلفات مسلكاً وسلوكاً وخُلُقاً.

ولقد كان لبعض النساء منتديات أدبية يؤمها الرجال والنساء على حدّ سواء، فسادت نزعة التحرر، وأسفرت المرأة وشرّعت أبواب دارها، وجعلتها صالوناً أدبياً لاستقبال الأدباء والشعراء.

فإننا نلاحظ في هذا العصر في كثير من النساء قلّة التحفظ، وتحرر وانحراف وميل عن الجادة، نافضات عن كاهلهن تقاليد الحرائر، وشعر بعيد عن الاحتشام. وتعكس الأشعار التي كتبتها نساء شاعرات من الأندلس، أو التي وضعت على ألسنتهن، أنّهنّ يُظهرن حرية مدهشة في التعبير عن مشاعر الحب لديهنّ. ولربما تكون أكثر الأشعار شهرة في هذا المجال هي تلك المنسوبة إلى الأميرة الأموية **ولّادة**، ابنة الخليفة المستكفي.

وقد ذكر كثير من المؤرخين الذين تناولوا حياة ولادة سيرتها الشخصية وذكروا أنّها بعد مقتل أبيها انتقلت في حياتها الاجتماعية إلى طور آخر من الابتذال وقلّة التحفظ[1].

كانت تخرج سافرة الوجه، وتجمع حولها نجوم الأدب، وتثير بينهم التنافس في حبها، وتعمد إلى أشد تلك النجوم لمعاناً، وأعظمها حرصاً على

---

1 ابن بشكوال: **الصلة**، ص 534. الضبي: **بغية الملتمس**، ص 477. ابن بسام: **الذخيرة**، ق1، ج1، ص 429.

القرب منها فتبعده، كي يزداد كلفاً بها، فإنّ بلاء الأوساط الأدبية بها كان شديداً دون شك[1].

وهي أول من سنّ للنساء سنّة الانكشاف، وتمزيق حجاب الحشمة والوقار. وقد تعرض لها ابن بشكوال بالنقد اللاذع، فقال: «لم يكن لها تصاوُنٌ يطابق شرَفها»[2].

فإنّنا نجد في هذه المرأة التحرر وقلّة التحفظ والسخرية من الآداب الاجتماعية. وشعر بعيد عن الاحتشام. ونشأت على أدبها كثيرات من فتيات زمانها وما بعد؛ ومنهنّ طائفة انكشفت على سنتها المتحرّرة.

فقد أثّرت ولادة في نساء أخريات، فانتشرت تلك الظاهرة في أوساط الطبقة الأرستقراطية مثل نزهون الغرناطية وحفصة الركونية وغيرهما. إنّ ولاّدة ومثيلاتها كن في نظر المجتمع من قبيل المتطرفات المستهترات.

فلم تكن ولادة فريدة في عصرها بين الأندلسيات في إطلاق الزمام لنفسها، وفي الإعراب عن عواطفها دون مبالاة. بل كانت **نزهون** بنت القلاعي الغرناطية شبيهة لها في هذا الميدان، وفي مجالسة الوزراء والأمراء، والاشتراك بالمساجلات الأدبية. فهي تندرج في خانة الشاعرات المتحررات. وقد قال عنها ابن سعيد: «شاعرة ماجنة كثيرة النوادر»[3].

فإنّ نزهون لم تكن أقلّ تحرراً من ولادة، فقد كانت نموذجاً للمرأة المتحررة، ومرآة تعكس ظاهرة التحرر الاجتماعي. فكلتاهما جريئتان متحررتان، تركت تصرفاتهما صدى كبيراً في المجتمع.

وكذلك الشاعرة **مُهْجَة بنت التياني القرطبية** على جودة شعرها كانت من الخلاعة في القول والفحش في شعرها.

اندفعت مُهجة إلى الشهرة تحرّكها رغبة في التبذّل دون أي وازع ديني أو أخلاقي. كانت امرأة مستهترة، تولّت ولاّدة بنت المستكفي تعليمها،

1 د.سعد إسماعيل شلبي: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر**، ص 444-445.

2 ابن بشكوال: **الصلة**، ص 534.

3 ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2، ص 121.

ورعت استعدادها المجوني والأدبـي إلى أن صارت شاعرة مهيبة الجانب في عالم الشعر. لقد سارت مهجة على طريق مؤدبتها ولاّدة من حيث التحرر والمجون، إذ سمحت لها بيئتها ومجتمعها بذلك، فتأثّرت به أعظم التأثّر.

وإنّ الحرية التي تمتعت بها النساء الأندلسيات ربما كان ناشئاً عن تعايش المسلمين والمسيحيين في الأندلس بطريقة مختلفة تماماً عن العلاقة التي نشأت بينهم في البلدان العربية الأخرى، وذلك فيما يتعلق بامتزاج النسب والذرية والتمازج الثقافي وكذلك في أشكال السلوك الطبيعي.

بالإضافة إلى التحرر وقلّة التحفظ والانحراف، في كثير من النساء في عصر ملوك الطوائف، فإننا نرى نساء عفيفات محتشمات قابضات على تقاليدهن، مع صيانة ونزاهة موثوق بها. فإننا نجد شاعرات بارعات مستقيمات الخلق والسلوك من ناحية حياتهن الشخصية، عفيفات من الناحية الشعرية.

فقد تحلت حمدونة **بنت زياد المؤدب** شاعرة غرناطة بالأدب الجم، ولم يعرف عنها أي لون من ألوان الانحراف. كذلك مريم **بنت أبي يعقوب** الأنصاري، وبثينة بنت المعتمد بن عباد، شاعرات إشبيلية وكلاهما متّسمات بالرزانة والخلق الجميل.

ويمكن القول أنّ المرأة الأندلسية في عصر ملوك الطوائف كانت أكثر تحرراً عن العصور السابقة، فإنّ شعرها دليلاً على المستوى من التحرر الذي تمتعت به. وكانت شاعرات إشبيلية معظمهنّ متسمات بالخلاعة. وإنّ التهتك والتبذّل والخلاعة والمجون، يضاف إليها الحرية، إنّما فشت في الأندلس منذ القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، واستمرت إلى القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي وما بعده.

المبحث الثاني

ثقافة المرأة الأندلسية

إنّ أكثر ما يلفت نظرنا في الحضارة الإسلامية في الأندلس، ما تميّزت به المرأة من ثقافة عظيمة.

كانت ثقافة المرأة في الأندلس عميقة ومتنوّعة، وهذا الوصف حقيقة لا مبالغة فيها، فقد تصدّت المرأة لموضوعات ثقافية متعدّدة فبرّزت في جميعها، ودلّت على أنّها على مقدرة ممتازة وكفاءة طيّبة.

خرجت نساء الأندلس بنشاطهنّ إلى الحياة العامة سواء في ذلك سيدات المجتمع الراقي أو بنات الطبقة الفقيرة والجاريات فكان منسهن الشاعرات والباحثات في العلوم وتلقين العلم تماماً كالرجال، وسجّل تاريخ الأندلس صفحات من المجد للنساء[1]، وإن كان نصيب المرأة في الطبقة الأرستقراطية من التعليم كان أكثر من غيرها.

وإنّ النّهضة الثقافية التي شهدها الأندلس في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، كان للمرأة مشاركة فيها، إذ كانت أكثر قدرة على التحرك من قرينتها في المشرق، فلم تكن المرأة الأندلسية بمنأى عن ساحة النشاط العلمي في المجتمع الأندلسي، فلقد نالت المرأة الأندلسية نصيباً طيباً من التعليم، والأندلسيون لم يفرّقوا في التعليم بين الرجل والمرأة أو الصبي والصبية، بل رأوا من حسن التربية أن تفقه المرأة دينها وتأخذ بشيء من الأدب[2].

1 علي عثمان: المرأة العربية عبر التاريخ، ص 102.

2 د. سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ص 226.

فتعلمت وتفقهت في الدين، وروت الأحاديث، وزاحمت الرجل على طلب الشريعة والفقه والحديث وحفظ القرآن وتفسيره، وأحاطت بجميع فروع المعرفة وأتقنتها أيّما إتقان، حتى ظهرت المحدّثة والفقيهة والأديبة والطبيبة[1].

وبين الوجوه النسوية التي أسهمت في حضارة الأندلس العربية، امرأة عظيمة، تركت أثراً كبيراً هي: «نظام» التي كانت أمينة للسر في قصر هشام بن الحكم. لقد اشتهرت نظام ببراعتها في تدوين الوثائق السياسية والإدارية، وكانت ذات عقل راجح وبيان بليغ. هذا إلى جانب عدد كبير من اللواتي كان لهن فضل كبير في نشر التعليم، وتدريس الصرف والنحو والعروض في مختلف أنحاء الأندلس[2].

وفي عصر **ملوك الطوائف** تنافس الملوك في رعاية العلم والأدب، وفي عقد مجالس المناظرات وفي نشر المدارس، حتى قلّ أن تجد في عهدهم أميّاً. ولقيت المرأة عناية كبيرة في هذا العصر.

وقد حفلت **الأندلس** بنهضة نسائية عارمة منذ عهد ملوك الطوائف. ولقد نبغت المرأة الأندلسية في هذا العصر في العلوم والفنون والآداب، وساجلت الرجال في ميادين الشعر والعلم والفن. وإنّ مساهمة المرأة في الثقافة كانت تبرز في مجالات الأدب من شعر وإنشاء، ومناظرات أكثر من غيرها من العلوم.

ومن هنا كان في الأندلس، على ما روى بعض المؤرخين، ستون ألفاً من الشاعرات. وكان أكثرهنّ في غرناطة، وهؤلاء كنّ أبرع الأندلسيات في صوغه ومعرفة معانيه[3].

كما أنّ عدد اللواتي حظين بالشهرة لإنجازاتهنّ العلمية، أو اللواتي تبارين مع الرجال للفوز بقصب السبق في الشعر، لم يكنّ بالرقم الصغير. وبعضهن

---

1 محمد جميل بيهم: المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة، ص 133.

2 سلمى الحفار الكزبري: **في ظلال الأندلس**، ص 79-117.

3 محمد جميل بيهم: **المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة**، ص 239.

أميرات، مثل ولّادة بنت المستكفي وعائشة، وقد اشتهرت بـنظم الشـعر. ويحدثنا عنهن نفح الطيب حديثاً مسهباً.

وكانت للنساء الأندلسيات مشاركة أيضاً في مختلف العلوم والفنون، وفي الأحداث الثقافية والفكرية، فنجـد الفقيهـات والطبيبـات والمعلمـات والنسّاخات. ومن النساء كذلك من كنّ يمارسن الطب والقانون.

أمّا العالمات في الشؤون الدينية والحافظات للقرآن، فلا يحصى عددهنّ. وقيل إنّه كان في الأندلس ستون ألف حافظة للقرآن، كانت كـل واحـدة منهنّ ترفع قنديلاً فوق باب بيتها في الليل إشارة إلى أنّ هناك حافظة للقرآن تمييزاً لها عن غيرها[1].

وقد شاركت النساء الرجال في عصر ملوك الطوائف في مجال التربيـة والتعليم. وكانت بعض النساء تقوم على تعليم بنات جنسها، فقد كان لحزم المعلم من أهل قرطبة ابنة تقوم بالتدريس والتعليم، ومن الطبيعي أنّ من تعلّم هن النساء، وكان أبوها وأخوها يعلمان التلاميـذ، وكـان بيتـهم أشـبه بالمدرسة[2]. ويظهر أنّه كان واسعاً بحيـث يسـتوعب ثـلاث مجموعـات، مجموعتين من التلاميذ، ومجموعة من الفتيات[3].

وكان من عادة ملوك الأندلس أن يعهدوا ببناتهنّ ونسائهنّ لمعلمـات يتعهدنّهنّ بالتعليم والتهذيب وقراءة الشعر وحفظه[4]، فاعتنى المعتصم بتأديب ابنته أم الكرام لما رآه فيها من ذكاء حتى نظمت الشعر الجميل وأسهمت في إنشاء الموشحات[5].

وإنّ ابن حزم الذي يعدّ مثلاً رائعاً في سعة المعارف وتنوع الثقافة، وتوقد القريحة، أشرفت النساء على تربيته، فقد كتب ابن حزم عن النساء يقـول:

---

1 محمد جميل بيهم: المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة، ص 240.

2 ابن الأبار: تكملة الصلة، ج1، ص 281.

3 د. سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية في عصـر ملـوك الطوائـف في الأنـدلس، ص 226.

4 د. مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص 147-148.

5 ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 202.

«وهنّ علّمنَني القرآن وروَّيْنَني كثيراً من الأشعار ودرَّبنني في الخط»[1]. ويدل هذا على أنّ المرأة الأندلسية قد نالت حظّاً وافراً من التعليم.

أسهمت المرأة في الأندلس في الأحداث الثقافية والفكرية لعصرهنّ، ووجدت النسّاخات النساء؛ و لم يكن ذلك بالأمر المستْغرب.

فقد لعبت النساء دوراً مهماً في هذا الميدان، فقد مارس النسخ طائفة كبيرة منهن مع اتصافهنّ بالبراعة وجودة الخط، وكان لذلك أثره في بلوغ بعضهن منزلة عالية لدى الخلفاء حيث كان للخليفة عبد الرحمن الناصر كاتبة تدعى (مزنة) وصفت بالمهارة في الكتابة وحسن الخط، كما كان للخليفة الحكم المستنصر كاتبة تدعى (لبنى) عرفت بالبراعة في الكتابة وسعة الأدب حتى قال في وصفها ابن بشكوال: «لم يكن في قصرهم – أي الخلفاء – أنبل منها وكانت عروضية، خطاطة جداً»[2].

وممن برعن من النساء في الخط عائشة[3] بنت أحمد القرطبي، فقد كانت حسنة الخط تكتب المصاحف والدفاتر[4].

وكان في قرطبة وأرباضها المختلفة طائفة كبيرة من النساء البارعات في

---

1 ابن حزم: **طوق الحمامة في الألفة والألّاف**، ص 166.

2 ابن بشكوال: **الصلة**، ص 531.

3 وعائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم؛ من أهل قرطبة. القرطبية: شاعرة قديرة عفة حريئة أديبة خطاطة ديّنة. كانت ذات مقدرة فذة على ارتجال الشعر. امتازت بذكائها النادر، وكانت خطبها تلقى في الأكاديمية الملكية في قرطبة وتلقى استحساناً كبيراً، وخلفت وراءها آثاراً أدبية عظيمة ومكتبة غنية. قال ابن حيان في المقتبس: «لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يَعْدلها علماً وفهماً وأدباً وشعراً وفصاحة، تمدح الملوك وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة، وكانت حسنة الخط، تكتب المصاحف، وماتت عذراء ولم تُنكح (سنة 400هـ)». وقال المقري عنها أنّها من عجائب زمانها، وغرائب أوانها، وأبو عبد الله الطبيب عمّها، ولو قيل «إنّها أشعر منه» لجاز.
المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص 290. ابن بشكوال: **الصلة**، ص 531–532. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج3، ص 239–240. زينب بنت علي فوّاز: **الدر المنثور**، ج2، ص 64. د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 132–133. صلاح الدين خودابخش: **حضارة الإسلام**، ص 148.

4 ابن بشكوال: **الصلة**، ص 531.

الخط وكن ينسخن المصاحف بخط بديع[1].

وإلى جانب النساء اللاتي كنّ يكسبنَ عيشَهنَّ من النسخ في سوق الكتب في قرطبة ثمة نساء ممن كنّ أكثر تعليماً يشتغلن أمينات سرّ (ومنهنّ واحدة اسمها لُبّانة، كانت تعمل في خدمة الحاكم وفي خدمة أمين المكتبة ذات حين). وكان منهنّ المدرّسات أو أمينات المكتبات (مثل واحدة اسمها فاطمة، كانت مسؤولة عن مشتريات الكتب للمكتبة الملكية وكانت كثيرة الأسفار لهذا الغرض؛ وكان لها زميلة اسمها ليلى)[2].

وشغفت النساء المثقفات كذلك بجمع الكتب وإنشاء المكتبات، ومن أشهر هؤلاء عائشة بنت أحمد قادم القرطبية، وكانت من أبرع نساء عصرها علماً وأدباً وشعراً، وكانت خزانة كتبها من أغنى وأقيم المكتبات الخاصة مؤلفة من أندر الآثار المخطوطة[3].

وتشكل كتب الأعلام مصدراً خاصاً من مصادر المعلومات، وكذلك المنتخبات الأدبية التي تشير إلى النساء اللواتي أسهمن في النشاطات الفكرية أو الفنية؛ وقد أثمرت هذه المصادر بمهارة فائقة من قبل البحوث الأكاديمية المعاصرة. فقد ذكرت 116 امرأة أندلسية في معاجم الأعلام ما بين القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، والثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي – ومن بينهنّ اثنتان فقط صنفتا على أنّهما عالمتان – الفقيهة فاطمة المغامي وحفصة بنت حمدون. وثلاث وصفن بأنّهن يرعين العلم، بينما ذكرت الأخريات لانتسابهنّ إلى بعض العائلات المرموقة. والنساء اللواتي أسهمن في قول الشعر (44 حالة)، والأديبات (22 حالة)، والكاتبات (11 حالة)، والنسّاخات (4)، و(3) مؤلفات معاجم ونحويتان، و(16) يقرأن القرآن ويعرفن معانيه، و(6)

1 د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس**، ص 133.

2 روبرت هيلنبراند: «**زينة الدنيا: قرطبة القروسطية مركزاً ثقافيا عالمياً**»، في كتاب: د. سلمى الخضراء الجيوسي: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ج1، ص 194.

3 د. محمد إبراهيم الفيّومي: **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس**، ص 136. سلمى الكزبري: **في ظلال الأندلس**، ص 78.

كرّسن أنفسهنّ للحديث و(8) للزهد، و(6) يعرفن الفقـــه، و(4) يعـــرفن التاريخ والأخبار، و(واحدة) تعرف الحساب، و(واحدة) تعرف علم الكلام، و(واحدة) تعرف علم الفرائض[1].

وبناء عليه فإنّ المرأة الأندلسية تلقت نصيباً وافراً من العلـــم والمعرفـــة، فظهر بين نساء الأندلس فقيهات وأديبات وشاعرات. وسنتحدّث عن إسهام المرأة الأندلسية في مختلف العلوم في عصر ملوك الطوائـــف وعـــن بعـــض الشهيرات منهن.

1 ماريا ج. فيغيرا: «أصلح للمعالي: عن المنزلة الاجتماعية لنساء الأندلس»، في كتاب: د. سلمى الخضراء الجيوسي: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، ص 1009.

الفصل الثالث

إسهام المرأة الأندلسية في العلوم الدينية

المبحث الأول: مشاركة المرأة الأندلسية في علم الفقه

المبحث الثاني: مشاركة المرأة الأندلسية في علم الحديث

المبحث الثالث: مشاركة المرأة الأندلسية علم القراءات

احتلت العلوم الدينية المرتبة الأولى عند أهل الأندلس، وذلك بفضل الفقهاء الذين كانوا يشجعونها ويرغّبون الناس في الإقبال عليها والنهل منها. فكان للكثير من العلماء اهتمام وعناية بعلوم الدين، واستطاعوا أن يبرهنوا على قدراتهم الواسعة في تناول هذه العلوم بالدراسة والبحث الجادين وقدموا في ذلك روائع من إنتاجهم العلمي الغزير.

ولو نظرنا في كتب التراجم الأندلسية للاحظنا ما حوته من أعداد غزيرة لأولئك العلماء، وهذا يدل دلالة واضحة على ما بلغته العلوم الدينية من نشاط كبير يبعث على الإعجاب بأولئك العلماء، وما قدّموه من تصانيف وتآليف.

فقد صادفت تلك العلوم بيئة صالحة وطبيعة موحية؛ فأقبلت النساء، كما الرجال، على دراستها والأخذ منها بنصيب. وقد شجعتها نساء أندلسيات فاضلات، قضين جلّ أوقاتهن في التفقه وحفظ الأحاديث والعبادة والتبتل.

وفي عهد الخلافة كانت المساجد بمثابة المدارس تعقد فيها حلقات الدروس. وكان الإقبال على هذه الحلقات يشمل بعض النساء في قرطبة العاصمة، وفي سواها، فيقصدن إليها متنقبات محتشمات. وقد أدّى ذلك إلى ظهور عدد من النساء المتأدبات، العارفات بأصول الدين معرفتهنّ بفنون الأدب. وكان عددهنّ يزداد تبعاً لازدياد اهتمام الخلفاء المتعاقبين بالعلوم والآداب[1].

أقبلت النساء التقيات على النهل من هذه العلوم، لأنّهن أردن أن يتبحّرن فيها؛ فهي الطريق الأسلم لمعرفة الحق من الباطل، واتباع سبيل الهدى والرشاد. وقد بلغت المرأة الأندلسية مكانة في مجال الفقه والتفسير والقراءات.

ونشطت الدراسات الدينية في الأندلس وتقدّمت تقدّماً كبيراً وازدهرت في عهد ملوك الطوائف وتنوّعت، فازداد عدد النساء التي كانت لهنّ مشاركة في هذه العلوم.

1 محمد جميل بيهم: المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة، ص 249.

المبحث الأول

مشاركة المرأة الأندلسية في علم الفقه

كان علم الفقه من أول ما اشتغل به الأندلسيون، والحق أنّ الفقه احتل لدى الأندلسيين مكانة عالية، ومنزلة سامية، وكان عالم الفقه يحظى منهم بكل تقدير وإجلال.

فقد كان للفقهاء منزلتهم الجليلة وربما أطلقوا هذا اللقب على الكاتب والنحوي واللغوي معبرين بذلك على تعظيمهم وإجلالهم لهؤلاء العلماء.

لم يكن الفقيه عالم دين وحسب، وإنّما كان عادة واسع الثقافة متشعّب ألوان المعرفة، آخذاً من كل منها بطرف، له مشاركة في الأدب من شعر ونثر، ولكن الصفة العلمية الأولى التي يتحلى بها كانت الصفة الفقهية[1].

ولعل من عوامل ازدهار الدراسات الفقهية وإقبال كثير من الطلاب على دراسة الفقه وتعلم مسائله ما كانوا يأملونه من تولّي الوظائف العامة الدينية والمدنية، فقد كانت وظائف المشاورين والقضاة والمحتسبين وخطباء المساجد وغيرها وقفاً على الفقهاء تقريباً[2].

وقد تسنى للكثير من الفقهاء أن يتوصلوا إلى مناصب رفيعة في الدولة كميدان الفتيا والحسبة والشرطة وغيرها من الميادين الهامة[3].

ونشطت حركة الدراسات الفقهية في الأندلس فظهر آلاف الفقهاء ومن بينهم عدد لا يقلون بحال عن كبار فقهاء المشرق، ويتضح لنا ذلك إذا علمنا إنّه كان بقرطبة وحدها ثلاثة آلاف مقلّس، وكان لا يتقلس

---

1 د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي**، ص 97.

2 د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**، ص 235.

3 د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس**، ص 155.

عندهم في ذلك الزمان إلاّ من صلح للفتيا[1].

وانصرف الكثير من طلاب العلم إلى دراسة الفقه ومعرفــة مســائله. فكانت الجوامع المنتشرة في الأندلس تحفل بحلقات العلم والمناظرات العلمية في هذا الميدان العلمي[2].

ويلاحظ أنّ الأندلسيين اعتمدوا في بداية دراساتهم الفقهية على المصادر الرئيسية في الفقه المالكي وخاصــة موطــأ مالــك، ومدوّنــة ســحنون[3]، و«الواضحة» لابن حبيب[4]، و«العتبية» للعتبــي[5][6].

1 المراكشي: المعجب، ص 457.

2 د. سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس، ص 156.

3 هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، الملقّب بسحنون، قاض فقيه، انتهت إليــه رياسة العلم في المغرب. كان زاهداً لا يهاب سلطاناً في حق يقوله. أصله شــامي، مــن حمص، ومولده في القيروان (سنة 160هــ/777م). ولي القضاء بها سنة 234هــ، واستمر إلى أن مات (سنة 240هــ/854م). أخباره كثيرة جداً. وكان رفيع القدر، عفيفــاً، أبيّ النفس. روى «المدونة» في فروع المالكية، عن عبد الرحمن بن قاسم، عن الإمام مالــك. ولأبــي العرب محمد بن أحمد بن تميم كتاب «مناقب سحنون وسيرته وأدبه».
خير الدين الزركلي: الأعلام، ج4، ص 5.

4 هو عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الإلبيري القرطبــي، أبو مروان، عالم الأندلس وفقيهها في عصره. أصله من طليطلة، من بني سُليم، أو من مواليهم، ولد في إلبيرة (سنة 174هــ/790م)، وسكن قرطبة. وزار مصر، ثم عاد إلى الأندلس فتوفي بقرطبة (سنة 238هــ/853م). كان عالما بالتاريخ والأدب، رأساً في فقه المالكية. لــه تصانيف كثيرة، قيل تزيد على ألف. منها «حروب الإســلام» و«طبقــات الفقهــاء والتابعين» و«طبقات المحدثين» و«تفسير موطأ مالك» و«الواضحة» في السنن والفقه و«استفتاح الأندلس»، وغير ذلك.
خير الدين الزركلي: الأعلام، ج4، ص 157.

5 هو محمد بن أحمد بن عبد العزيز، الأموي القرطبــي الأندلسي، أبو عبد الله، فقيه مالكي. نسبته إلى عتبة بن أبــي سفيان بن حرب، بالولاء. له رحلة سمع فيها من جماعة بالمشــرق، وحدث، وألّف في الفقه كتباً كثيرة سميت «العتبية»، وهي المستخرجة من الأسمعة المسموعة من مالك بن أنس، وله «كراء الدور والأرضين». توفي بالأندلس سنة 255هــ/869م.
الحميدي: جذوة المقتبس، ص 36. الضّبــي: بغية الملــتمس، ص 40. خــير الــدين الزركلي: الأعلام، ج5، ص 307.

6 د. سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ص 233.

وتزعم الدراسات الفقهية في عهد ملوك الطوائف العالمان أبـــو محمـــد علي بن حزم وأبو الوليد سليمان بن خلف الباجي. فقد عاش ابـــن رشـــد والباجي في عصر ملوك الطوائف وكفى بهذا دليلاً على رقـــي الدراســـات الفقهية وتألّق فقهاء ذلك العصر.هذا وقد حفل هذا العصر بأعداد كبيرة من الفقهاء.

ولقد كان للنساء دور في نشاط علم الفقه، فقد أمدتنا كتب التـــراجم بعدد من أسماء الفقيهات اللاتي أسهمن في ازدهار الفقـــه وتعليمـــه لبنـــات جنسهن. ومن النساء الفقيهات في عهد الخلافة راضية[1] مولاة عبد الـــرحمن بن محمد الناصر، **وفاطمة بنت يحيى** بن يوسف المُغامي[2].

ومن **الفقيهات** في عصر ملوك الطوائف نذكر: الفقيهة **طونة بنت عبـــد العزيز**.

---

1 هي راضية مولاة عبد الرحمن بن محمد الناصر، وتدعى بنجم. فقيهة، وهـــي آيسة في الجمال، والأدب، وراوية للتاريخ، والنوادر. عاشت فترة من الزمن في قصر عبد الرحمن الناصر، ومن ثم وهبها لابنه الحكم. وكان الحكم شغوفاً بمجالستها. وقد أعتقها الحكم عن أبيه، وتزوجها لبيب الفتى. وحجت مع زوجها (سنة 353هـــ)، وكانا في رحلتهما يأخذان عن العلماء ويقيدان ما يسمعانه منهم. دخلا الشام، ولقيا ابن شعبان القرطبـــي بمصر ونُظراءه، وروى عنها أبو محمد ابن خزرج وقال: عندي بعض كتبها. توفيت سنة 423هـــ/1031م وقد نيِّفت على مائة عام بنحو سبعة أعوام.
ابن بشكوال: **الصلة**، ص 532. د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**، ص 248. محمد جميل بيهم: **المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة**، ص 256. علي عثمان: **المرأة العربية عبر التاريخ**، ص 104.

2 هي فاطمة بنت يحيى بن يوسف المُغامي، أخت الفقيه يوسف بن يحيى المُغـــامي، مـــن إحدى قرى طليطلة، كانت خيّرة فاضلة عالمة فقيهة، وصفت بالفقه والعلم والـــورع، استوطنت قرطبة وبها توفيت (سنة 319هـــ/931م)، وأنها لّما ماتت كان يوماً جلـــيلاً لكثرة من سار في جنازتها من أهل العلم تقديراً وإجلالاً لمنزلتـــها وقـــدرها العلمـــي وفضلها، ولم يُرَ على نعش امرأة قط ما رُوي على نعشها، وصلى عليها محمد بن أبـــي زيد، ودفنت بالرَّبَض.
ابن بشكوال: **الصلة**، ص 531. عمر رضا كحالة: **أعلام النساء في عـــالمي العـــرب والإسلام**، ج4، ص 150. شكيب أرسلان: **الحلـــل السندســـية**، ج2، ص 30-31. د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس**، ص 168.

هي طونة بنت عبد العزيز بن موسى بن طاهر بن مَنَّاع، وتُكنى بحبيبة. وهي زوج أبـــي القاسم بن مدير الخطيب المقرئ. أخذت علومهـــا عـــن الحافظ أبـــي عمر بن عبد البر النمري وقرأت بعض مصنفاته الفقهية، كما أخذت عن الفقيه أحمد بن عمر بن أنس العُذْري[1]، وسمع زوجها أبو القاسم المقرئ بقراءتها عليه، وكانت حسنة الخطّ، ووصفت بالدين والعلم وجلالة القدر. توفيت سنة 506هـ/1112م[2].

1 هو أحمد بن عمر بن أنس بن دلهاث الزُّغبيّ العذريّ، أبو العباس، المعروف بابن الدلائي، فاضل أندلسي، من قرية دلاية (Dalias) من أعمال المرية، وإليها نسبته، ولـــد ســـنة 393هـ/1003م، ووفاته بالمرية سنة 478هـ/1085م. أقام ثماني سنوات بمكة في صباه، وأخذ عن علمائها. له كتب «المسالك والممالك» قسم منه قيل إنّه من أجلّ ما صُنف في موضوعه، و«دلائل النبوة».
خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج1، ص 185.

2 ابن بشكوال: **الصلة**، ص 535.

المبحث الثاني

مشاركة المرأة الأندلسية في علم الحديث

كان للمشارقة دور فعّال في ازدهار هذا العلم، ودفع عجلة نشـــاطه في الأندلس. وكان للرحلات التي قام بها الأندلسيون أبعد الأثر في نقل كثير من معارف المشارقة ومصنفاتهم إلى الأندلس، وهذا بالتالي وسّع دائرة البحـــث والدراسة في هذا العلم وعمق نشاطه في الأندلس.

والحق أننا لو نظرنا في كتب التراجم الأندلسية للاحظنا ما حوته من أعداد غزيرة لعلماء الحديث، وهذا يدل دلالة واضحة على ما بلغه علم الحديث مـــن نشاط كبير يبعث على الإعجاب بأولئك العلماء، وما قدّموه مـــن تصـــانيف وتآليف لا تزال المكتبة الإسلامية حتى وقتنا الحاضر تضم أعداداً كبيرة منها.

والجدير بالذكر أنّ علماء الحديث من الأندلسيين تناولوا كتب الصحاح والسنن المشهورة وأولوها عناية واهتماماً بالغين فدرسوها وشرحوها وعلقوا عليها. وإننا نجد بين علماء الأندلس من يحفظ صحيح البخاري عن ظهر قلب مع فهمه الواسع بأحاديثه. وكانوا شديدي العناية بشرحه وتوضيحه وتبيـــان ما يلحقه ببعض أحاديثه من غموض والتباس. إلى جانب نشاطهم في نشـــر الأحاديث الكريمة التي حواها صحيح البخاري الذي اعتبره المسلمون المصدر الموثوق للتشريعات بعد القرآن الكريم.

و لم يكن صحيح مسلم بأقل أهمية من حيث العناية والاهتمام من قبـــل أولئك العلماء، بل كثرت عنايتهم به وأكبّوا عليه، واهتموا به.

و لم يتوقف اهتمام الأندلسيين عند كتابـــي البخاري ومسلم بل درســـوا السنن الأربعة المشهورة. فقد اعتنى هؤلاء العلماء بمصادر الحديث الشريف وبذلوا

جهوداً كبيرة في دراسته وشرحه وتبيان ما يحويه من أحكام وآراء تشريعية.

وبرز الكثير من علماء الحديث في عصر ملوك الطوائف، وكان هؤلاء العلماء في الصدارة من حيث الصبر والجلد على العلم والاستهانة بالمشاق والمتاعب في رحلاتهم التي يبتغون من ورائها لقاء العلماء وسماع الحديث من أفواههم. وتحفل كتب التراجم والطبقات بمعلومات مثيرة عن صبر أولئك العلماء على تحصيل العلم.

وكما شاركت النساء في ميدان الفقه فقد كان لهن مشاركة في نشاط الدراسات المتعلقة بالحديث وعلومه. وقد أدّت المرأة الأندلسية منذ عصر الإمارة والخلافة دورها الصالح، بفضل إيمانها وتقواها، فأقبلت على النهل من علوم الحديث، فأخذت تروي الأحاديث المسندة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وتسمع عن الشيوخ الأتقياء ذوي الحجة. فقد شاركت فاطمة بنت محمد بن علي بن شريعة اللخمي أخاها أبا محمد الباجي الإشبيلي في بعض شيوخه؛ وأجازهما وأخاها المحدّث محمد بن فطيس الإلبيري[1] في جميع روايته بخط يده[2].

ومن نساء الأندلس التي كانت لهنّ مشاركة في علم الحديث في عصر الخلافة خديجة[3] بنت جعفر بن نصير بن التّمّار التّميمي، زوج عبد الله

---

1 هو محمد بن فُطَيْس بن واصل الغافقي الأندلسي الإلبيري، أبو عبد الله، فقيه، من حفاظ الحديث. ولد سنة 229هـ/843م، وتوفي سنة 319هـ/931م. له كتاب «السروع والأهوال»، وكتاب «الدعاء».
الحميدي: جذوة المقتبس، ص 75. الضّبّي: بغية الملتمس، ص 103. خير الدين الزركلي: الأعلام، ج6، ص 332.

2 الضّبّي: بغية الملتمس، ص 477. ابن بشكوال: الصلة، ص 531.

3 هي خديجة بنت جعفر بن نصير بن التّمّار التّميمي، زوج عبد الله بن أسد الفقيه. عالمة بعلوم الحديث، شاعرة أديبة من أديبات وشواعر الأندلس. كانت ذات رأي ثاقب وعلم راجح وإبداع في الموسيقى. حدثت عن زوجها الفقيه عبد الله بن أسد بموطأ القَعْنَبي قراءة عليه بلفظها في أصله، وقيّدت فيه سماعها بخطها في عام 394هـ/1003م. وقد حبست كثيراً من كتبها على ابنتها، ورأى بعضها ابن بشكوال.
ابن بشكوال: الصلة، ص 532. عمر رضا كحالة: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج1، ص 274. د. سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ص 248.

بن أسد الفقيه. حدثت عن زوجها الفقيه عبد الله بن أسد.

ومن المحدّثات في عصر ملوك الطوائف خديجة بنت أبـي محمد عبد الله بن سعيد الشَّنْتجالي، سمعت مع أبيها من الشيخ أبـي ذر عبد بـن أحمـد الهَرَوي[1] «صحيح البخاري» وغيره، وشاركته في السماع من شيوخه بمكـة المكرمة، وقد ترجم لها ابن بشكوال دون أن يذكر سنة ولادتها أو وفاتهـا، وقال: «ورأيتُ سماعها في أصول أبيها بخطّه. وقَدِمت معه الأندلس، وماتت بها»[2].

وترجم ابن بشكوال لغالبة بنت محمد مكتفياً بالقول: «غالبة (بـالغين المُعجمة) بنت محمد المعلمة: أندلسيّة، تروي عن أصبغ بن مالـك الزاهـد. ذكرها مَسْلمة بن قاسم في كتاب النساء له»[3]. وترجم لها الضبّي باسم غالية فقال: «غالية، بالغين المعجمة، بنت محمد: المعلمة الأندلسية، تروي عن أصبغ بن مالك الزاهد، ذكرها مسلمة بن قاسم في كتاب النساء له»[4].

وزبدة القول أنّ ميدان الحديث في هذه الفترة وجد من يعني به وبعلومه فازدهر ازدهاراً كبيراً، ولا يزال بين أيدينا كثير من ذلك الإنتـاج النفـيس لعلماء هذا العصر.

---

1 هو عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غُفير، أبو ذر الأنصاري الهَرَوي، أصله من هراة. عالم بالحديث، من الحفاظ، من فقهاء المالكية. يقال له: ابن السماك. نزل بمكة، ومات بها سنة 434هـ/1043م. له تصانيف، منها «تفسير القرآن» و«المستدرك على الصحيحَين» و«السنّة والصفات» و«معجمان» أحدهما فيمن روى عنهم الحـديث، والثاني فيمن لقيهم ولم يأخذ عنهم.
خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج3، ص 269.

2 ابن بشكوال: **الصلة**، ص 534. شكيب أرسلان: **الحلل السندسية**، ج3، ص 371.

3 ابن بشكوال: **الصلة**، ص 530.

4 الضبّـي: **بغية الملتمس**، ص 476.

المبحث الثالث

مشاركة المرأة الأندلسية

علم القراءات

لقد حظيت الدراسات القرآنية باهتمام كبير من علماء الأندلس، إذ كان من الطبيعي والقرآن الكريم هو مصدر التشريع، ومنبع الأحكام أن ينال الكثير من عناية العلماء. وقد شهدت الدراسات القرآنية بشقيها علوم القراءات وعلم التفسير نشاطاً باهراً في عصر ملوك الطوائف.

وفي ميدان التفسير وعلوم القراءات قدم الأندلسيون نتائج علمية مثمرة. أما في مجال تفسير القرآن، فاشتهر علماء عديدون. وتعتبر جهود بقي بن مخلد[1] في تفسير القرآن الكريم فاتحة النشاط العلمي في هذا الحقل. وتبع

1 هو بقيّ بن مخْلَد بن يزيد، أبو عبد الرحمن، الأندلسي القرطبي. من مشاهير الحفّاظ المحدِّثين وأئمة الدين، والزهاد الصالحين. ولد سنة 201هـ/817م، من أهل الأندلس. رحل إلى المشرق فروى عن الأئمة وأعلام السنة ورجع إلى الأندلس فملأها علماً، وله في الحديث مصنفه الكبير الذي رتبه على أسماء الصحابة رضي الله عنهم. روى ابن حزم أنّه روى فيه عن ألف وثلاثمائة صاحب ونيف، ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام، وبيّن الاستنباط منها، فهو مصنف ومسند. فكانت كتبه كتب حديث وفقه معاً. وقد ساعد بَقِيُّ بن مخلّد أيضاً على تدعيم مذهب مالك. وكان واسع الاطلاع. هذا إلى سعة في التحصيل، فقد رووا أنّه كان له مائتان وأربعة وثمانون شيخاً. قال ابن حزم:«وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله مع ثقته وضبطه وإتقانه واحتفاله فيه في الحديث». وكان من البارعين في فهم القرآن الكريم ومعانيه وأسباب نزول آياته. له «تفسير» قال ابن بشكوال: «لم يُؤَلَّف في الإسلام مثله»، وله مصنّف في فتاوى الصحابة والتابعين. وكان إماماً مجتهداً انتشرت كتبه وتداولها القراء والدارسون في أيام حياته. وصارت تواليف هذا الإمام الفاضل، قواعد للإسلام لا نظير لها. فقد كان دعامة من دعائم العلم في الأندلس. وتوفي بَقِيٌّ بن مخلّد سنة 276هـ/889م.

بقيّاً عدد من العلماء الأجلاء كالعلامة محمد بن عبد الله المري[1]. واشتهر العالم عثمان بن محمد بن محامِس[2]، وكان له باع طويل في علم التفسير.

وكان لأهل الأندلس مشاركة عظيمة في ازدهار الدراسات الدينية المتعلقة بالقراءات، فقد نَمَتْ هذه العلوم أيضاً في الأندلس، وظهر قرّاء قديرون استطاعوا أن يقدموا لهذا العلم المهم من علوم القرآن الشيء الكثير بل إننا لا نبالغ إذا قلنا إنّ أهل الأندلس كان لهم الفضل في إثراء المكتبة الإسلامية بكتب القراءات. فكان علم القراءات من العلوم التي برز فيها الأندلسيون وأحرزوا فيها نتائج رائعة فاقوا غيرهم من علماء الأقطار الإسلامية الأخرى.

وجدير بالذكر أن نشير إلى ما ذكره المقدسي من أنّ قراءة نافع هي القراءة المنتشرة في الأندلس، مما ينم عن غلبتها على ما سواها من القراءات[3].

فقد شهد هذا اللون من الدراسات القرآنية نشاطاً باهراً في عصر ملوك الطوائف، ورعت مملكة دانية العلوم القرآنية وتألّق في هذه الفترة كبار علماء

ابن بشكوال: **الصلة**، ص 108-109-110. الحميدي: **جذوة المقتبس**، ص 156-157-158. الضّبّي: **بغية الملتمس**، ص 209-210-211. د. لطفي عبد البديع: **الإسلام في إسبانيا**، ص 44. أحمد أمين: **ظهر الإسلام**، ج3، ص 51. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج2، ص 60.

1 هو محمد بن عبد الله بن عيسى المرّي، أبو عبد الله، المعروف بابن أبي زمنين. فقيه مالكي، من الوعاظ الأدباء، من أهل إلبيرة، ولد سنة (324هـ/936م). سكن قرطبة، ثم عاد إلى إلبيرة، فتوفي بها سنة (399هـ/1008م). له كتب كثيرة في الفقه والمواعظ، منها «أصول السنة» و«منتخب الأحكام» و«تفسير القرآن»، و«حياة القلوب» زهد، وغير ذلك.

الفتح بن خاقان: **مَطمَحُ الأنفُس ومسرح التّأنس في مُلَحِ أهلِ الأندلس**، ص 94. الحميدي: **جذوة المقتبس**، ص 51. الضّبّي: **بغية الملتمس**، ص 75-76. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج6، ص 227.

2 هو عثمان بن محمد بن محامِس، من أهل أَستجة، يكنّى أبا سعيد. كان حافظاً للتفسير، عالماً بأخبار الدهور، وله في ذلك نقل أكثره على ظهر قلب وتوفي سنة (356هـ).

ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج1، ص 305.

3 المَقْدِسي: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ص 236.

القراءات الأندلسيين وكان رائدها شيخ القراء أبا عمرو الداني[1].

ولقد لعب هؤلاء القراء في عصر ملوك الطوائف دوراً هاماً في نشاط علم القراءات وازدهار دراساته، وأسهموا في حركة التأليف في العلوم القرآنية. وإنّ الكثير منهم قد تركز وجودهم في المناطق الشرقية للأندلس وخاصة في إمارة دانية عاصمة مملكة مجاهد العامري، وفي ذلك تأكيد على دور هذا الأمير في نشاط العلوم القرآنية.

وكان لبعض النساء مشاركة في ازدهار علم القراءات. تذكر الروايات أنّ العلامة المقرئ عثمان بن سعيد بن عثمان المقرئ (ت 444هـ/1052م) أقرأ بمدينة المرية إحدى النساء الماهرات في القراءات وتدعى ريحانة فقرأت عليه القرآن بها، وكانت تقعد خلف ستر فتقرأ، ويشير لها بقضيب بيده إلى المواقف، فأتمت الأحرف السبعة عليه، وطلبته الإجازة فرفض ولكنه كتبها لها فيما بعد[2].

استطاع الأندلسيون أن يطرقوا كل أبواب العلوم الدينية وأن يحققوا في ذلك نشاطاً علمياً رائعاً، فقد شهد عصر ملوك الطوائف نهضة علمية قوية في كل ميادين المعرفة فأقبل علماء الأندلس بهمة ونشاط على البحث والتأليف في تلك العلوم وتمكنوا من إخراج روائع من الإنتاج العلمي التي تشهد لهم بالنبوغ والتفوق العلمي.

---

1 د. خليل إبراهيم السامرائي، وآخرون: **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، ص 338.

2 الضبي: **بغية الملتمس**، ص 361-476.

الفصل الرابع

إسهام المرأة الأندلسية في الحركة الأدبية واللغوية

المبحث الأول: تألّق الأندلسيين في اللغة والأدب

المبحث الثاني: دور المرأة الأندلسية في المجالس الأدبية

المبحث الثالث: الأغراض الشعرية التي عالجتها المرأة الأندلسية

المبحث الرابع: المرأة الأندلسية وشعر الطبيعة

المبحث الخامس: تعدد الشاعرات بتعدد المراكز الحضارية

المبحث الأول

تألّق الأندلسيين في اللغة والأدب

الأندلسيون قوم يغلب عليهم الأدب ويأسرهم الشعر فتفننوا في قوله وإنشائه وأحسنوا في الاستماع إليه وإنشاده. فالأدب من شعر ونثر قد جرى على الألسنة إنشاداً من فيض القرائح، وبلغ الأندلسيون فيه شأناً رفيعاً ولم يكونوا فيه بأقصر باعاً عن أندادهم من أهل المشرق.

اعتنى الأندلسيون باللغة والأدب منذ عصر مبكر، فكانوا يروون لأبنائهم الفصيح من المنثور والمنظوم ليربوا فيهم الملكات الأدبية جارين في ذلك على السنة العربية القديمة.

وكان للأندلسيين ولع بالشعر، وشدة تعلّق به، فالأمراء والخلفاء والقضاة والوزراء والنحاة واللغويون جميعهم كانوا ينظمون الشعر[1].

وقد نافست الأندلس أهل المشرق بالشعر الفصيح، فلم يكد يطلع القرن الرابع حتى ازدادت الأندلس بجملة من الشعراء.

وشهد الأدب في عصر ملوك الطوائف تطوّراً واسعاً من نواحيه المختلفة، وبعد أن كانت قرطبة من قبل هي الدائرة الكبرى التي ينجذب إليها الأدباء من شتى النواحي، تكاثرت المراكز الأدبية، وكثر الممدوحون وحماة الأدب ورعاته، وكثرت دواوين الإنشاء، وتعدد الوزراء الكتّاب الشعراء، وأصبحت المنافسة أشدّ وأقوى[2].

1 علي أدهم: عبد الرحمن الناصر، ص 178.

2 د. إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص 107.

وازدهرت في عهد ملوك الطوائف الحركة الأدبية واللغوية، ساعد على ذلك تعدد الملوك والعواصم، وحرص كل ملك على أن يجمع حوله أكبر عدد من الأدباء والشعراء، فكانت الوفرة الهائلة من نوابغ الشعر الأندلسي الذين عاشوا في عصر واحد كابن زيدون وابن الحداد وابن دراج القسطلي وابن عبادة القزاز والمعتمد بن عباد وفي آخره عاش الشاعران الكبيران ابن حمديس وابن خفاجة وغيرهم من الشعراء الذين تركوا آثاراً نفيسة لشعر عربي رقيق أنيق بارع خالد[1].

1- الشعر

إنّ فن الشعر من أرقى الفنون الأدبية، وقد أصابت منه الأندلس حظاً وافراً، ونهضت به نهضة شاملة في فنونه وأغراضه، بما لم يأت به الأوائل، وخاصة فن الموشحات، وهو ما ميز الشعر الأندلسي بميزة خاصة.

نما الشعر وكثر في عصر ملوك الطوائف بسبب أنّ المملكة قد انقسمت إلى إمارات كثيرة، يحكم كل قسم منها أمير، وكان بين الأمراء تنافس على التعمير والعلم، ومن ذلك الشعر، ولذلك وجد شعراء لا يقلّون شأناً عن السابقين، إن لم يفوقوهم أحياناً، أمثال ابن زيدون وابن عباد وغيرهم. وربما عمل في تكوينهم أكثر من الأولين أنّهم انتفعوا بمن سبقهم، فقد خلفوا ثروة كبيرة من الأخيلة والأساليب والمعاني.

فقد كان القرن الحادي عشر، عصر ملوك الطوائف، عصر عرفت فيه الأندلس أكبر إشراق شعري من غير شك؛ فقد كان الشعر مكرماً في كل المدن التي أصبحت عواصم الطوائف، مثل: طليطلة، وسرقسطة، وبلنسية، ومرسية، والمرية...[2].

1 د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 141.

2 د. محمد إبراهيم الفيّومي: **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس**، ص 152.

الشعراء وملوك الطوائف

حظي الشعر باهتمام الأندلسيين على مختلف طبقاتهم، وكان الشعر هو القاسم المشترك بين أفراد المجتمع. فقد نزل الشعر لديهم منزلة عظيمة، وكان الشعراء يلقون من الملوك والأمراء كل تشجيع وتكريم، وأسرف ملوك الطوائف في تكريمهم وبذل المكافآت والجوائز لهم، فاستنفدوا مواهبهم في مدائحهم، واستخرجوا من أذهانهم ومخيلاتهم درراً ثمينة وجواهر كريمة. فنهض الشعر وازدهر إلى أقصى حد ممكن. وكان ملوك الطوائف حريصين على أن يضم بلاط كل منهم كبار الشعراء احتفاء بهم وإعجاباً بما ينظمون من روائع الشعر وأجمله. وزهت دولة الشعر في أيام ملوك الطوائف بأعظم شعراء الأندلس وكانوا لا يرون أنفسهم بأقل من شعراء المشرق.

وكان لملوك الطوائف أثر في ازدهار الشعر وزرع بذور المنافسة بين الشعراء للوصول إلى الأفضل مما ينظمونه من الشعر، ولهذا نجد أنّ بني عباد في إشبيلية قد أنشأوا ديواناً للشعراء ينزلونهم فيه مراتب متفاوتة حسب براعة كل منهم وجودة إنتاجه، وكان للشعراء في بلاط بني عباد يومٌ في الأسبوع هو الاثنين يدخلون فيه على ملك إشبيلية فينشدونه أشعارهم، فإذا أراد الشاعر إلقاء قصيدته صعد على كرسي موضوع لهذا الغرض فيلقي من عليه أشعاره[1].

وكان لكل أمير من أمراء الطوائف ميزة اختص بها دون جيرانه، فامتاز المتوكل صاحب بطليوس بالعلم الغزير، وامتاز ابن ذي النون – صاحب طليطلة – بالبذخ البالغ، وفاق ابن رزين صاحب السهلة أنداده في الموسيقى، واختص المقتدر بن هود صاحب سرقسطة بالعلوم، وفاق ابن طاهر صاحب مرسية أقرانه بالنثر الجميل المسجوع، أما الشعر فكان أمراً مشتركاً بينهم جميعاً، يلقى منهم كل رعاية ولكن عناية بني عباد – أصحاب إشبيلية به

---

1 د. سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ص 294.

كانت أعظم[1]. فإنّ ملوك هذه الدولة جميعهم كانوا أدباء وشعراء يشار إليهم بالبنان.

وقد تميّز شعر الملوك غزلاً وفخراً عن شعر عامة الشعراء الأندلسيين، تميّزوا كذلك في فن آخر شاع في الأندلس، وهو فن «الرسائل الشعرية» الذي يحتل جزءاً مهماً من أدب عصر ملوك الطوائف[2].

وقد حفل هذا العهد بالشعراء وكان لكل دولة شعراؤها الذين اختصوا بها.

وفي هذا العصر نجد أسراً قد اشتهرت بالشعر، وشاع بين عدد من أفرادها: كأسرة بني عباد، محمد بن إسماعيل القاضي والمعتضد والمعتمد وابنه الراضي وابنته بثينة وزوجته اعتماد جميعهم شعراء، وكان الشعر من آلات الرياسة، فنشّأ الملوك أبناءهم على قول الشعر.

فقد كان لملوك الطوائف دور كبير في نهضة الشعر وتشجيع الشعراء على العطاء الأدبي، حتى حفل العصر بلا مبالغة بأعظم شعراء الأندلس على مر عصورها، ففيه عاش ابن زيدون الذي سار ذكره شرقاً وغرباً وأشعاره لا تزال على ألسن الناس، وكذلك ابن عمار، وابن حمديس، وابن اللبانة، وابن الحداد الوادياشي، وابن عبدون، وابن خفاجة، وهذا الأخير يعد من أعظم شعراء العرب وأمهرهم في الوصف. وأكثر هؤلاء لا تزال دواوينهم تحتل مكانتها الرفيعة في المكتبة الشعرية العربية. وفي الشعر قدم الأندلسيون الجديد وأحدثوا ثورة على الأوضاع القديمة للشعر فابتكروا الموشحات والأزجال وخلدوا فيها قصائد رائعة جميلة تشهد لهم بالذوق الأدبي الرفيع، وسبقهم إلى تحرير القصيدة الشعرية من قيودها في صورة محببة للأسماع والقلوب، فاحتفل بها الناس وأخذوا في نظمها فشاعت وذاعت حتى سعى المشارقة إلى تقليدهم والعمل على منوالهم مع إقرارهم بقصورهم عن إدراك ما بلغه الأندلسيون في ذلك.

1 د.سعد إسماعيل شلبي: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، ص 221.

2 د.سعد إسماعيل شلبي: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، ص 409.

وليس من شك في أنّ الموشحات دليل واضح على أنّ الأندلس كانت تريد أن تتميز في الشعر والفن وأن تعبر عن روعة بيئتها: روعتها العقلية والشعورية. وإنّه لينبغي أن نُنَوّهَ هنا بجهد أهلها في شعر الطبيعة، فقد رسموا فيه كثيراً من الألواح الحية الرائعة التي نبصرها حتى نأسى هذه الينابيع التي جفت قبل الأوان.

اتجاهات وخصائص الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف

إنّ اتجاهات أدبية جديدة ظهرت في عصر ملوك الطوائف - وبخاصة في الشعر - مثل: شعر الرثاء، مثله عبد المجيد بن عبدون، والشعر الفلسفي الذي مثله ابن حزم، وعبد الجليل بن وهبون المرسي، وشعر الزهد يمثله ابن الربوالي الفقيه وأحمد الأقليشي، وأبوبكر العبدري وغيرهم. وشعر الغزل الذي شاع في هذا العصر نظراً لضعف الوازع الديني، والتحلل من القيم الخلقية، ومثّل هذا الاتجاه السراج المالقي شاعر بني حمود، وابن الحداد، وابن زيدون وغيرهم، والشعر الشعوبي الذي مثله أبو عامر أحمد بن غرسية الذي عاش في مملكة دانية. وشعر النكبات، والذي صور نكبة بربشتر بصورة خاصة في منطقة الثغر الأعلى عندما احتلها النورمان عام 456هـ وعاثوا فيها فساداً[1].

وبالنسبة للأسلوب فقد استعمل الأدباء الأندلسيون ألفاظ المشارقة للتعبير عمّا أوحته لهم حياتهم وحاجاتهم النفسية والعاطفية والفكرية، فاختفت الألفاظ الخشنة والغريبة التي كان يستعملها قدماء الشعراء كما كان الحال في المشرق في نفس الفترة لأنّها لم تعد تناسب نفسية المجتمع الجديد وذوقه ومصادر إيحائه الأدبي. وإننا نرى أنّ الشعر يقف على قدميه في عصر ملوك الطوائف ويبدع أسلوباً أندلسياً مستقلاً.

1 د. خليل إبراهيم السامرائي، وآخرون: **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، ص 337-338. د. إحسان عباس: **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين**، ص 117 وما بعدها.

وإننا نلاحظ أنّ شعر هذا العصر منمّق بلاغي رفيع الأسلوب. فقد ساد في عصر ملوك الطوائف، اتجاه للعناية بالشكل، فكثر التزويق اللفظي وزاد اصطناع المحسنات البيانية والبديعية. فإننا نجد في قسم كبير من الشعر الأندلسي نوعاً من الصياغة الأندلسية المتأتية على العموم من اختيار الألفاظ وصياغة الجمل تغلب عليه الرقة بل والهلهلة أحياناً. وإنّ هذا الأسلوب الأندلسي متأت من مجموعة من الصفات بل والإيحاءات التي مضمونها مستوحى من الحياة الأندلسية. وتبدو هذه الصفات على وجه الخصوص في نوع من الموسيقى الخاصة المنبعثة من الكلمات الرقيقة البعيدة عن الغرابة والوثيقة الاتصال عادة بالطبيعة وما تحمل من إيحاءات جميلة، ويمكن أن يلحظ هذا الأسلوب الأندلسي في الموشحات الأندلسية التي كان لها أعظم الأثر في المشرق، بل إنّ تأثيرها هذا استمر في الشعر العربي حتى وقتنا الحاضر[1].

فقد اتسعت حركة الموشحات في هذا العصر، هذا اللون الجديد من الأدب الأندلسي، وأعلامه ابن زيدون، وابن عمّار، والمعتمد بن عباد، وابن الحداد ومن إليهم من شعراء الطوائف الذين كانوا يجمعون صور البيئة الجديدة إلى معاني الشعراء السابقين[2].

وإنّ شكل التعبير لم يكن يقتصر على اللغة العربية الفصحى، فقد نما وتطوّر منذ أواخر القرن الثالث نوع من الأدب كان ينظم باللغة الدارجة التي لم تكن تلتزم بقواعد اللغة العربية الفصحى، كما كانت مزدحمة بالكلمات التي من أصل محلي أو بربري، وقد أطلق على هذا النوع من الشعر اسم «الزجل» وقد ازدهر ازدهاراً كبيراً في القرن الخامس وكان له في إشبيلية ميدان نشاط واسع[3].

---

1 د. صلاح خالص: **إشبيلية في القرن الخامس الهجري**، ص 86-87.

2 د. عبد الله أنيس الطباع: **القطوف اليانعة من ثمار جنة الأندلس الإسلامي الدّانية**، ص 31.

3 د. صلاح خالص: **إشبيلية في القرن الخامس الهجري**، ص 87.

فلم تقتصر فنون الأدب في الأندلس على ما وُرِث من الشرق بل اخترعت فيه فنوناً أصيلة. وليست الموشحات والأزجال (وهما مادة الغناء) إلاّ ثمرات أندلسية[1].

2- النثر

وبلغت الأندلس القمّة في الأدب، حيث وجد الأدب هناك البيئة الجميلة والطبيعة الخضراء والنفوس التي تهتز لهذا الجمال وتستجيب لما في حياتها من أحداث وبيئتها من جمال والاستفادة من الثروة الأدبية التي ورثوها، فتستجيب له معبرة بقطَع رائعة روعة الطبيعة التي نشأت فيها، وكان ذلك عامًّا بين الرجال والنساء[2].

ليس من شك في أنّ للبيئة الأندلسية أثراً كبيراً في تكوين هذا الأدب الأندلسي الجديد، وقد توفرت لها خصائص من الطبيعة والفكر لم تكن للأدب العربي عامة. هذه الحقائق تدفعنا إلى أن نقرر على أهمية البيئة، لا في حياة الشعوب والأفراد وحسب وإنّما في حياة الفكر ومظاهره المختلفة في العلم والثقافة والأدب[3].

اهتم الأندلسيون بالأدب واعتنوا به، وكان له منزلة رفيعة في مجتمعهم. ولا عجب في هذا الاهتمام الواسع بالأدب والعناية به لدى الأندلسيين فإنّه أنبل علم عندهم وبه يتقرّب إلى مجالس ملوكهم وأعيانهم، ومن لم يكن له مشاركة في أدب أو شعر فقد كان مستثقل الروح غير مرغوب فيه[4].

وإذا طالعنا كتب التراجم والطبقات الأندلسية وقفنا على مدى ما كان للأدب من منزلة رفيعة في حياة المجتمع الأندلسي، وأنّ الأدب كاد أن يغلب على جميع علماء الأندلس وأن يصبح صفة ملازمة لأكثرهم سواء من كان

1 د. عبد الرحمن علي الحجي: **الحضارة الإسلامية في الأندلس**، ص 39-40.

2 د. عبد الرحمن علي الحجي: **الحضارة الإسلامية في الأندلس**، ص 37.

3 د. عبد الله أنيس الطباع: **القطوف اليانعة من ثمار جنّة الأندلس الإسلامي الدّانية**، ص 298.

4 المقري: **نفح الطيب**، ج1، ص 222.

فيهم فقيهاً أو مؤرخاً أو طبيباً أو فيلسوفاً، وهو أمر يجلي لنا الصورة الواضحة لما كان عليه الأندلسيون من حب للأدب وشغف به وبفنونه المختلف[1].

وكان النثر في الأندلس يقتفي أثر قرينه في المشرق وينسج على منواله ويسير على نهجه ويجري في مضماره، وكان في الأندلس كما كان في المشرق عدد كبير من الكتاب المجيدين الذين رقّ أسلوبهم وراق نهجهم وأمسكوا من الكتابة بخير زمام وملكوا منها ناحية الإتقان وضروب البيان، غير أنّ الأمر الذي يدعو إلى الدهشة هو أنّ كبار كتاب الأندلس هم أنفسهم كبار شعرائها المرموقين من أمثال ابن زيدون وابن شهيد وابن حزم وأبي حفص بن برد وغيرهم[2].

فقد نشطت الحركة الأدبية عصر ملوك الطوائف ونبغ فيه أدباء بارزون، وظهر في هذا العصر مئات الأدباء الذين أثروا الحركة الأدبية بإنتاجهم الأدبي الرائع.

3- الدراسات النحوية والصرفية

اهتم الأندلسيون بقواعد اللغة، وحققوا في ميدان الدراسات اللغوية والنحوية إنجازات هامة، فقد توفروا على دراستها والبحث في علومها ولقاء العارفين بها من علماء المشرق وتعمقت معارفهم بها حتى تناولوا دراسات من سبقهم بالتصحيح بل وبالإضافة. وأظهروا في ذلك ما يدل على نبوغهم وعمق واتساع مداركهم.

وسعى الأندلسيون إلى ترسيخ المعرفة اللغوية في أذهان أطفالهم فكانوا يروونهم الفصيح والمنثور والمنظوم سعياً إلى تقوية ملكاتهم الأدبية جارين في ذلك على النهج العربي القديم في العناية باللغة وحفظها[3].

---

1 د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**، ص 347-348.

2 د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي**، ص 569.

3 د. لطفي عبد البديع: **الإسلام في إسبانيا**، ص 73.

كما يشير ابن خلدون إلى عناية الأندلسيين بتعليم ولدانهم القرآن مع التركيز على اللغة والشعر وإجادة الخط، فلا يدرك أحدهم الشباب حتى يكون مجيداً للعربية ماهراً فيها، وهو ما أدى إلى نبوغهم وتألقهم أدبياً[1].

وكان لاهتمام الأندلسيين باللغة والنحو وتلقينهما لأطفالهم أكبر الأثر في ظهور الكثير من الدراسات اللغوية والنحوية الجادة في الأندلس أفضل مما يكون في أي قطر إسلامي آخر، وهذا بلا شك عائد إلى تمكن الأطفال من تلك العلوم في سن مبكرة، وهو الشيء الذي افتقدته كثير من الأقطار الإسلامية[2].

وقد كان الأندلسيون في بداية اشتغالهم بالنحو يعتمدون على قراءة كتب الأدب والنصوص الأدبية دون استعمال كتب النحو والتصانيف المخصصة فيه. ثم ما لبثوا أن توسعوا في دراسة النحو فأخذوا في دراسة كتبه والعكوف على قراءتها، وأول ما شاع بينهم من كتب النحو كتاب الكسائي[3] وسيبويه[4]. ثم اتجه البعض إلى التصنيف في النحو. هذا وقد نال كتاب سيبويه منزلة رفيعة بين الأندلسيين، فكان الكثير منهم يحفظونه عن ظهر قلب، ثم أكثروا التعليق عليه منذ القرن الخامس، فكان من شراحه أبو بكر الخشني الجياني المتوفى (سنة 544هـ)[5].

---

1 ابن خلدون: **المقدمة**، ص 538.

2 د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**، ص 360.

3 هو علي بن حمزة بن عبد الله الكوفي. أصله أعجمي من القراء السبعة من أهل الكوفة ومنشؤه بها. أخذ النحو عن جماعة من أهل العلم ثم قدم بغداد فعينه الرشيد مؤدباً لابنيه الأمين والمأمون. مات بقرية من قرى الري يقال لها نبويه بالري سنة (179هـ) وخلف كتباً في النحو والقراءات. ابن النديم: **الفهرست**، ص 50.

4 هو عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث، ويكنى أبا بشر ويقال كنيته أبو الحسن. وسيبويه بالفارسية رائحة التفاح. أخذ النحو عن الخليل حتى برع فيه فألّف فيه كتاباً ذاع بين الناس. وقدم سيبويه أيام الرشيد إلى العراق وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة، وتوفي وله نيف وأربعين سنة بفارس سنة (177هـ/793م).
ابن النديم: **الفهرست**، ص 82-83.

5 آنخل بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص 185. د. لطفي عبد البديع: **الإسلام في إسبانيا**، ص 73.

وعلماء اللغة والنحو في الأندلس تزخر بهم كتب التراجم والطبقـــات، فقد كانت المنافسة بينهم وبين المشارقة مدعاة إلى تبريزهم في هذه العلوم، ثم كان لتشجيع ملوكهم وأمرائهم أثر في ازدهار التأليف وكثرته، وقلما جـــاد القرن الخامس بمثل ابن سيده، صاحب المخصص والمحكم، فهو لا يـــاري في حفظ اللغة[1].

لقد شهد عصر ملوك الطوائف نشاطاً زاهراً في ميدان الحيـــاة الأدبيـــة واللغوية والنحوية، وأثبت فيه الأندلسيون سعة معارفهم وتألق شخصـــيتهم العلمية.

1 د. لطفي عبد البديع: الإسلام في إسبانيا، ص 74.

المبحث الثاني

دور المرأة الأندلسية في المجالس الأدبية

كان للمرأة الأندلسية كما هو معلوم دور مهم في الحياة ولا سيما في الأدب. وكان لها في هذا دور كبير في نهضة الأدب. فقد أسهمت النساء الأندلسيات الأديبات في الحركة الأدبية بما أنتجن من أدب. يجمع أكثرهنّ بين فصيح المنثور ورقيق المنظوم، ويلمّ بفنون أخرى من المعرفة.

كانت النساء الجميلات الأديبات في المشرق فارسيات أو بربريات أو تركيات، وكن في الأندلس إسبانيات أو أوروبيات من أسرى الحروب. فكنّ يسكنّ قصور الخلفاء والأمراء والأغنياء، ويعلّمن الأدب فيخرج منهنّ أديبات. وأوّل ما بلغنا من النساء الأديبات ما روي عن جملة من النساء القادمات من المشرق على الأندلس، وذلك أنّ الخطّة التي وضعها الخلفاء الأمويون بالأندلس كانت نقل ما تُزين به قصور الخلفاء من أمويين وعباسيين، فرأوا أنّ قصور الخلفاء تزين بالشعراء واللغويين والفتيات والمغنيات، فأوفدوا لإحضار كل ذلك من المشرق، حتى يوجدوا نواة في الأندلس تثمر فيما بعد. كما استوفدوا أبا علي القالي اللغوي المشهور، وصاعداً وغيرهما، استوفدوا أيضاً جواري للغناء والأدب[1].

كل هؤلاء وأمثالهن علمن بعض نساء الأندلس الغناء والألحان والأدب، فنشأ بعدهنّ جيل جديد من نساء أهل الأندلس يغنين ويقلن الشعر. فكان

1 أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج3، ص 229.

يعد في كل مدينة أندلسية أديبات مشهورات.

وتمر الحقب الأولى على الأدب العربـــي في الأندلس وجذوره تضـــرب باطن الأرض رويداً رويداً ويكثر الشعراء عدداً ولكن في غير تضخم، وتسير معهم قافلة الشاعرات قليلة العدد بطيئة السير والسرى فلا نكـــاد نقـــع في القرنين الثالث والرابع إلا على عدد قليل من الشاعرات[1].

وكانت جامعة قرطبة في فترة الخلافة أعظم جامعة عربيـــة لتـــدريس الرياضيات والفلسفة والطب والفلك والكيمياء والفقه والأدب، فنبغت نساء كثيرات؛ منهن الكاتبة القصصية رضيّة التي سُــمِّيت في قرطبـــة الكوكـــب الساطع لتألقها في عالم الأدب، فكانت آية ذلك العصر في العلم والأخلاق[2].

ولقد ازدادت البيئة الأندلسية بعدد غير قليل من النساء الشاعرات اللاتي أسهمن في إثراء الأدب الأندلسي بألوان طريفة مـــن موضـــوعات الشـــعر ومقطوعات رخية جذابة من فن القصيد، فكان إثراؤهن للشعر أمرًا بيّنـــاً في مجتمع كاد كله أن يقول شعراً، ومن هنا يكون جهد الشاعرات واضح الأثر رائع البهاء صافي النقاء[3].

ويطلع القرن الخامس الهجري أي **عصر ملوك الطوائـــف** علـــى بـــلاد الأندلس فإنّ الحضارة الإسلامية قد كستها أنوار المعرفة. وإذ الأدب من شعر ونثر قد جرى على الألسنة إنشاداً من فيض القرائح. وتحفل كتـــب الأدب العربـــي بالحديث عن كثيرات من الأديبات والبليغات والشاعرات اللاتي كنّ في كثير من الحالات نظيرات للرجال المعاصرين لهنّ، وربّما كان لهنّ التفوّق عليهم.

كان طرْقُ المرأة الأندلسية باب الأدب محاولة أخرى من محاولات تثبيت الوجود أمام الرجل وأمام المجتمع. وهكذا ساهمت المرأة الأندلســية في بنـــاء صرح الأدب، فانطلقت إلى نظم الشعر.

---

1 د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 129.

2 سلمى الكزبري: **في ظلال الأندلس**، ص 78.

3 د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 117.

ولقد أثبتت المرأة الأندلسية القدرة على قول الشعر من خلال التتف الشعرية التي ذكرها المؤرخون في مصادرهم، وبرهنت على أنّها تمتلك موهبة لا تقلّ عن موهبة الرجل من حيث القدرة على العطاء؛ فكان نتاجها الشعري قيّماً، يعبّر عن ثقافتها وفهمها ووعيها. فقد أسهمت الشاعرات في إثراء الأدب الأندلسي بألوان طريفة من الموضوعات ومقطوعات جذّابة من فن القصيد؛ فكان إثراؤهنّ للشعر أمراً بيّناً في مجتمع كاد كله أن يقول شعراً[1].

إنّ مساهمة المرأة في الثقافة كانت تبرز في مجالات أكثرها الأدب من شعر وإنشاء، ومناظرات، ولعل ذلك يعود إلى أجواء الأندلس التي توحي بالشعر وتثير الخيال. لقد أقبلت المرأة على الشعر والنثر أكثر من سواهما؛ لأنّهما يترجمان الشعور، ويعبران عن مكنونات ما في الصدور. والشعر كان محبباً إليهنّ بالفطرة، شأن شاعرات المشرق، ولعل طبيعة الأندلس وما فيها من جمال سرعان ما أثار استعدادها الوراثي؛ فأقبلت على النظم والإنشاد وعقد المجالس الأدبية[2].

كان القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي المرحلة الوسطى، لأنّ اللواتي ظهرْنَ قبل هذا القرن قلّة من حيث العدد، وكان دورهنّ ينحصر في إلهام الشعراء، ورفد قرائحهم بالأخيلة الجميلة، أكثر من صوغهنّ القصائد المختلفة.

ففي عصر ملوك الطوائف برزت أسماء سيّدات متأدّبات كنّ يترددن على المنتديات الأدبية، وكانت مجالسهنّ المَعين الذي تُستقى منه الحركة الأدبية والعلمية.

ولقد تحول بيوت بعضهنّ إلى أندية تجمع رجال الأدب والعلم، لرواية الشعر والأدب والأخبار. ولم تكن تلك المجالس تخلو من عامل المنافسة بين المتبارين، لأنّ كل أديب أو شاعر كان يحاول أن يعرض مقدرته الأدبية، ومخزونه الفكري؛ ليسمو على خصمه، وينال ثناء الآخرين واحترامهم وتقديرهم.

---

1 د. مصطفى الشكعة: **صور من الأدب الأندلسي**، ص 87.

2 محمد جميل بيهم: **المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة**، ص 239.

فالأميرة ولادة بنت المستكفي شرّعت أبواب دارها، وجعلتها صـــالوناً أدبياً لاستقبال الأدباء والوزراء والظرفاء[1].

ولعلّ ندوة ولادة بنت المستكفي تعتبر مثالاً لهذا اللون مـــن النشـــاط النسائي، وتحرّك المرأة في الأندلس.

وهناك شاعرات أُخر حَذوْنَ حذو ولادة في عقـــد المجـــالس الأدبيـــة؛ فاشتهرْن وعمّت شهرتهنّ الآفاق، وفي مقدمتهنّ حمدة بنت زياد بـــن بقـــي العوفي المؤدب. إذ كانت تقوم بمهمة التدريس التي كان يقوم بِهـــا أبوهـــا، وذلك من خلال المجالس والندوات الأدبية.

وكان بعض الملوك يقتنون الجارية، لجمالها واشتهارها بنظم الشعر. وقد أسهمت بعضهنّ في المجالس الأدبية، وكان لهن شهرة ذائعة في الأدب والشعر.

وكانت اعتماد الرميكية تشارك زوجها المعتمد بن عباد هوى الشـــعر ونظمه، وكانت تعيش في ذلك الأفق الأدبـــي الرفيع الذي كان يسيطر على بلاد إشبيلية، وتشترك في كثير من الأحيان في مجالس الشعر والأدب، الـــتي كان يعقدها المعتمد[2].

فكانت تلك المجالس الأدبية أصدق مرآة يستجلي فيها القارئ صـــورة عصر من العصور؛ لأنّ فيها يطّلع على عادات القوم وأخلاقهم وتقاليـــدهم، ومن خلالها يلمح وجهة تفكيرهم، وطريقة عاداتهم.

---

1 سلمى الكزبري: **في ظلال الأندلس**، ص 24.

2 محمد عبد الله عنان: **دول الطوائف**، ص 67.

المبحث الثالث

الأغراض الشعرية التي عالجتها المرأة الأندلسية

إنّ شاعرات الأندلس أفسحْن لشعرهنّ مكاناً رحباً، في عالم الشعر، وفرضن وجودهنّ فرضاً بطريقة لم تحدث للقلّة من زميلاتهنّ في المشرق على أنّهنّ لم يسهمن في كل فنون الشعر وموضوعاته، وأكثر ما قلن فيه من الأغراض؛ كان الغزل، والمديح، والهجاء، ووصف الطبيعة، وكما اتصفت بعضهنّ بالعفّة والتعقل والحياء في غزلهنّ؛ ذهبت بعضهنّ إلى غاية من الجرأة والتطرف والمجون. وفي الهجاء بَلَغْن أقصى مراحل الفحش التي وصل إليها الهجاءون من الشعراء سواء كانوا مشارقة أو أندلسيين.

1- المدح

ولجت المرأة الأندلسية الميدان الأدبي الذي يرتكز على العاطفة والشعور والخيال، وغلب عندها الميل الأدبي على الميل العلمي، وكان لها نصيب في باب المديح، بدءاً من الدولة الأموية، وانتهاء بعصر بني الأحمر بغرناطة؛ فكانت الصفة الغالبة على مديح النساء الاتجاه التكسّبي والاستجداء أحياناً؛ والإطراء أحياناً أخرى[1].

ففي عصر ملوك الطوائف وصل شعر المديح إلى ذروته، نظراً إلى تعدد بلاطات الملوك الذين بات شغلهم الشاغل إيواء كبار الشعراء إليها، وأصبح

1 عائدة محمد خالد: **المرأة في الأندلس**، ص 167.

هذا الشعر فن الاستجداء والتكسب.

وشاركت المرأة الرجل في عصر ملوك الطوائف بهذا اللون من الشعر، فاشتهر في هذا الغرض الشعري عدد من الشاعرات.

وكان مدح أم العلاء بنت يوسف الحجارية البربرية قريباً من الغزل الرقيق، هاكم قولها في أحد ملوك الطوائف:

كلُّ ما يَصْدُرُ عَنْكُم حَسَنُ ... وبِعُلْياكُمْ تَحَلَّى الزَّمَنُ
تَعْطِفُ العَيْنُ على مَنْظَرِكُمْ ... وبِذكْراكُمْ تَلَذُّ الأُذُنُ
مَن يَعِشْ دونَكُمُ في عُمْرِهِ ... فهوَ في نَيْلِ الأماني يُغْبَنُ[1]

وظهرت في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي الغسانية البجّانية، وكانت شاعرة مشهورة تمدح الملوك ومنهم خَيْران العامري، صاحب المرية، وقد مدحته بقصيدة طويلة تعارض بها الشاعر الكبير أحمد بن دراج القسطلي (ت 421هـ/1030م) وذكر صاحب المغرب نموذجاً لشعرها الذي عارضت به ذلك الشاعر، وفيه تقول:

أَتَجْزع أنْ قالوا سَتَرْحَلُ أظْعَانُ ... وكيف تُطيقُ الصَّبْرَ ويْحَكَ إن بانوا
فما بعدُ إلاّ الموت عند رحيلِهِم ... وإلاّ فصبْرٌ مثل صبرٍ وأحْزانُ
عَهِدْتُهُمُ والعَيْشُ في ظِلِّ وصْلِهِم ... أنيقٌ، ورَوْضُ الوصْلِ أخْضَرُ فَيْنانُ
فيا لَيْتَ شِعري، والفِراقُ يكونُ، هلْ ... يكونونَ من بعْدِ الفِراق كما كانوا؟[2]

إن استهلال هذه القصيدة بذكر الظعن وفراق الأحبة، من خصائص شعر المديح في الأندلس، الذي حافظ على الأسلوب القديم.

وهو شعر جميل فيه كبرياء وحب، وفيه تصبر ولوعة، وفيه استسلام وجزع على قلة عدد الأبيات، وهو لولا المسحة الأندلسية الرقيقة في البيتين

---

1 ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2، ص 38. المقري: نفح الطيب، ج4، ص 169.

2 ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2، ص 192. الحميدي: **جذوة المقتبس**، ص 373. الضبّي: **بغية الملتمس**، ص 474-475.

الثالث والرابع لكانت المعاني مشرقية محافظة[1].

إن قصائد المديح، التي دبّجتها أنامل الشواعر هي لون من ألوان البراعة الفنية، والتباهي بالقدرة الشعرية، والرغبة في التفوق على الأقران من الشعراء.

2- الهجاء

لم ينتشر غرض الهجاء في عصر الدولة الأموية؛ وذلك لعدم وجود بواعث قوية تعمل على انتشاره، وظل دون المستوى المطلوب. وبرغم من ذلك، فقد اهتمّ بعض الشعراء والشاعرات بهذا اللون من الشعر، إلاّ أنّ معظم شعرهم كان يصدر عن طبائع حادّة ونفسيات تأصّل فيها الخبث، بحيث لم تكن تميل إلاّ إلى الشر وذمّ الآخرين[2].

وفي عصر ملوك الطوائف ظل مستوى الهجاء على حاله، فلم يَـنْمُ ولم يَلْقَ تجاوباً من قبل عامة الشعب، وفي عصر السيطرة المغربية وبني الأحمر بدأ يخفّ ويقلّ ويفتر حتى أخذ يعتمد في معظمه على التفكّه المُقذع[3].

وكان الشعراء يهجون بعضهم بعضاً لأتفه الأسباب[4]. وقد سلكت شاعرات الأندلس هذا الاتجاه لتفجير مشاعر الحنق والغضب التي تعتمل في كيانهنّ، وفرّقْن في هجائهنّ ما بين الفحش والعفّة، واستحسن الهجاء بالتفصيل واعتبرن التهكّم وسيلة من أفضل وسائل الهجاء[5].

فلم تكن ولادة شاعرة غزل فحسب، وإنّما كانت هجاءة مريرة الهجاء، وربما فاقت بعض الهجائين من الرجال فضلاً عن النساء[6].

وممّن اشتهرن بالهجاء أيضاً مهجة بنت التيّاني القرطبية. على أنّ هذه الشاعرة على جودة شعرها كانت من الخلاعة في القول والفحش في شعرها.

---

1 د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 145.

2 عائدة محمد خالد: **المرأة في الأندلس**، ص 171.

3 د. يوسف علي طويل: **مدخل إلى الأدب الأندلسي**، ص 113.

4 د. يوسف علي طويل: **مدخل إلى الأدب الأندلسي**، ص 114.

5 عائدة محمد خالد: **المرأة في الأندلس**، ص 173.

6 د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 186.

وذلك ظاهر من واقع معاني الهجاء التي طرقتها. غير أنّ فحش القول عند مهجة القرطبية لم يكن قاصراً على الهجاء بل كان يجري على لسانها سليقة وطبيعة[1].

ومن الشاعرات الهجاءات نزهون بنت القلاعي الغرناطية. كانت نزهون صاحبة مشاحنات مع شعراء الأندلس المشاهير، تجالسهم وتساجلهم، وتبادلهم الأهاجي حتى ذاعت شهرتها. وقد كانت شاعرة بارعة الحدّ الذي تواجه فيه كبار الشعراء وتهاجيهم.

ولقد عرف الكثير من المؤرخين عن نزهون بأنّها هجّاءة، وأصبح الهجاء صفة من صفاتها[2].

إنّ من أراد تصوير المجتمع الأندلسي إبان القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، بتحرره ومجونه ولهوه، وخروج المرأة فيه عن مفهوم الخجل والحياء، فما عليه إلاّ أن يقف على مشارف نزهون حيث تتجسّد أمامه كل الصور والملامح لذلك المجتمع.

3- الغزل

لأول مرة تظهر في عصر الخلافة، شاعرة أندلسية تتغزّل بمن تهوى، ألا وهي حفصة بنت حمدون الحجارية. لقد طرقت حفصة للمرأة الأندلسية باباً لم تكن قد جرت على طرقه بعد، إنّه باب الغزل، طرقته بخفة وتردد وتحفظ، فهيأت السبيل للشاعرات بعدها أن يفتحنه ويدلفن من خلاله إلى ساحة الغزل.

وتقدم لنا وادي الحجارة في عصر ملوك الطوائف، شاعرة ثانية هي أم العلاء بنت يوسف الحجارية البربرية شاعرة وادي الحجارة، وهي لا تقلّ جودة على مثيلتها حفصة الحجارية.

وإنّنا نجد أنّ أم العلاء في رقة شعرها وبراعة غزلها امتداد طبيعي لحفصة رائدة لشعر الغزل بين شاعرات الأندلس. وإنّ أم العلاء تعتبر واحدة من أرق

---

1 د. مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص 214-215.

2 د. مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص 186.

شاعرات الأندلس وأقدرهنّ على التعبير عن نفسها، وهي من أرقّهنّ غــزلاً وأقدرهنّ على المحافظة على حيائها كأنثى دون أن تحجب على السامع مــا يملي عليه الإعجاب بها[1].

وإنّ أم العلاء أكثر استحياء من غيرها وهي تتغزّل، إنّها أهــدأ صــوتاً وأرهف إحساساً وهي تشكو.

وممن اشتهرن بالغزل العفيف أم الكرام بنت المعتصم بن صُمادح، وقــد اعتنى والدها المعتصم بتأديبها. وإنّ شعرها القليل الذي وصل إلينا موضــوعه الغزل.

أمّا ولاّدة بنت المستكفي فلقد شاركت زميلاتهــا القــول في الغــزل الإباحي. فتبرز الجرأة في شعرها.

لقد تركت ولاّدة دويّاً كبيراً ولو لم تكن أشعر شــاعرات الأنــدلس، والفضل في شهرتها يرجع إلى الوزير الشاعر ابن زيدون، وشعره فيها وهيامه بحبها. فأنشأ فيها ما أنشأ من بديع الشعر وفاتن الغزل، على أنّ ذلك لا يمنع من وَضْعِها في مكانة رفيعة بين شاعرات الأندلس.

نلاحظ من خلال الأشعار التي صاغتها الشاعرات، أنّ ظاهرة جريئة تبرز في شعرهنّ، وهي ظاهرة التغزّل بالرجل، فقد اعتدنا أن نقرأ ونسمع رجــلاً يتغزّل بامرأة. فمنهنّ تحفّظن في غزلهنّ وتعفّفن، مثل حفصــة الحجاريــة، أم العلاء بنت يوسف الحجارية، وأم الكرام. ومنهنّ جاهرن بحبّهن وانغمسن في التمتع بالملذات، مثل ولادة، ونزهون الغرناطية.

1 د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 173-176-177.

تألّق المرأة الأندلسية
في شعر الطبيعة

1- أثر البيئة الطبيعية في الشعر الأندلسي

يعتبر الشعر صدى للبيئة اجتماعية كانت أو طبيعية، وإنّ الشعر الأندلسي في هذا النطاق يعتبر صورة أمينة لبيئة الأندلس، فقد تأثر شعراء الأندلس بما حوته بيئتهم من مظاهر في الطبيعة، واتجاهات في السياسة وبما أفصحوا به عن تأملاتهم وأفكارهم، وما سيطر من ظواهر على مجتمعهم، وكان تأثرهم بالطبيعة أشد وأقوى.

فكان للطبيعة الأندلسية أثر عميق في تألق الحركة الشعرية وظهور عدد من الشعراء المبدعين في تصوير الطبيعة، بجمالها وفتنتها. وإنّ شعر الطبيعة في الأندلس يعتبر مرآة صادقة لطبيعة الأندلس وسحرها وجمالها.

وإنّ شعراء الأندلس قد سبقوا شعراء الغرب في إبداع هذا اللون الجميل من الأدب الخالد، حيث تركوا صوراً لعواطفهم، ومذاهب لأشواقهم، وخلاصة لأفكارهم مزجوا فيه نيل مشاعرهم بعد أن وجدوا في طبيعة بلادهم انعكاسات لآمالهم[1].

وإنّ شعر الطبيعة لون جديد في تاريخ أدبنا العربي. إنّ شعر الطبيعة في الأندلس يصوّر لنا تعلّق الشعراء ببيئتهم وتفضيلها على بيئات الأرض جميعاً،

1 د. عبد الله أنيس الطباع: القطوف اليانعة من ثمار جنّة الأندلس الإسلامي الدانية، ص 302.

بعد أن كان خيالهم متعلقاً بالشرق العربـــي، وهو يصف طبيعـــة بلادهـــم الطبيعية والصناعية التي أقامها الأمراء والخلفاء، فهم يصفونها كما أبدعها الفن المعماري منعكسة في القصور، والمساجد، والبرك والأحواض[1].

وإننا نجد الشعراء يتسابقون إلى وصف كثير من مظاهر حياتهم اليوميـــة ذات الارتباط بطبيعة بلادهم.

تغلغلت الطبيعة في موضوعات الشعر الأندلسي وامتزجت بها امتزاجـــاً كبيراً. ولقد دارت موضوعات الطبيعة حول وصـــف الـــروض والزهـــور، والشجر وثمارها، والأنهار، والجبال، والمدن والقصور.

ويظهر تأثير حب الطبيعة في جميع مواضيع الشعر الأندلسي، فلا نكـــاد نقرأ قصيدة أندلسية سواء أكانت في الوصف أم الرثاء أم المديح أم غير ذلك إلاّ ونلمح آثار الطبيعة في مخيلة الشاعر واضحة بينة ونلمس تعلقه بها في ثنايا التعابير المجازية والتشبيهات والاستعارات[2].

وتأثير الطبيعة في شعر الأندلسيين في عصر ملوك الطوائف ليس موضوع جدال أو نقاش فقد كانت الطبيعة هي الإطار الذي كان الشاعر يقضي فيه ساعات لهوه ومتعته وسروره. ويبدو أنّ عادة الخروج لا سيما في الفصـــول الملائمة إلى خارج المدينة، وإلى المتنزهات والحقول والبساتين، كانت شـــائعة جداً لدى الأندلسيين[3]، والاستماع بمهرجانات واحتفالات كانوا يعقـــدونها، وارتجلوا فيها الشعر وعقدوا الموازنات والمقارنات، وفي الكتب والـــدواوين أخبار لا تحصى عن هذا الموضوع[4].

وإن شعراء الأندلس كانوا في الطبيعة وشعرها يحســـون ويهيمـــون، ثم يعبرون عن حبّهم وهيامهم. وقد ألّف الأندلسيون كتباً في الربيع أو الشـــعر المتعلق به، ووصفِ الطبيعة من شجر وزهر وحيوان ونبات وماء، وما يتصل

---

1 د. عبد الله أنيس الطباع: **القطوف اليانعة من ثمار جنّة الأندلس الإسلامي الدّانية**، ص 304.

2 د. صلاح خالص: **إشبيلية في القرن الخامس الهجري**، ص 105.

3 د. صلاح خالص: **إشبيلية في القرن الخامس الهجري**، ص 105.

4 د. محمد رضوان الداية: **تاريخ النقد الأدبـــي في الأندلس**، ص 15.

بذلك من إحساسات وانفعالات، ووصف الرحلات والنزهات ومجالس الأنس.[1] وتميّز الأندلسيون بالإكثار من وصف الأزهار[2].

لقد فتن الشعراء الأندلسيون بالطبيعة فتنة لا يعادلها إلاّ اعتزازهم بشعرهم الذي هو ذوب نفوسهم ونتاج قرائحهم فاقتبسوا من الطبيعة صوراً يشبهون بها شعرهم من ذلك قول ابن زيدون:

ما الشِّعْرُ إلاّ لمن قريحتُهُ غَريضة النَّوْرِ غَضَّةُ[3] الثَّمَر

تبتسم عن كل زاهر أرج مثل الكمام[4] ابتسمن عن زهر[5]

هذا ومن القضايا المسلّم بها أنّ شعر الطبيعة يتداخل في أكثر المناسبات. فمن الأندلسيين من اتخذ الطبيعة وسيلة إلى الغزل، وقد وجدنا طرفاً من ذلك في مقدمات قصائد المديح في الشعر الأندلسي.

فإننا نجد الطبيعة واضحة في الغزل، ممتزجة به، وهذا الذي نتوقع في البيئة الأندلسية، فما المرأة إلا قطعة من الطبيعة، وما الطبيعة إلاّ مكملة للمرأة. فإذا أراد الشاعر أن يتغزل أمدته الطبيعة بمعاني الغزل، وإذا أراد أن يبدع في وصف الطبيعة استعان بآيات الجمال عند من يحب، ومن هنا امتزج الفنان، الوصف والغزل فاتخذ منهما الشاعر خطوطه الزاهية، واستغلهما معاً فرسم صوراً رائعة[6].

فإنّ ابن زيدون من أولى شعراء الأندلس بالطبيعة وقد تجلى ذلك بوضوح في وصفه وغزله. وإنّ ابن زيدون أكثر الشعراء الأندلسيين مزجاً للغزل بالطبيعة[7].

---

1 د. محمد رضوان الداية: **تاريخ النقد الأدبي في الأندلس**، ص 17-18.

2 د. إحسان عباس: **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين**، ص 194.

3 الغضّ: الثّمر أول ما يخرج. ونبت غَضٌّ: ناعم. ابن منظور: **لسان العرب**، ج7، ص 196.

4 أكمام: لكل شجرة مثمرة كُمٌّ، وهو بُرْعُومته. وأكمام النخلة: ما غطى جُمّارها من السَّعْف والليف والجِذْع. وكل ما أخرجته النخلة فهو ذو أكمام. ابن منظور: **لسان العرب**، ج12، ص 526.

5 علي عبد العظيم: **ديوان ابن زيدون ورسائله**، ص 207.

6 د. سعد إسماعيل شلبي: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر**، ص 93.

7 د. سعد إسماعيل شلبي: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر**، ص 77-86.

وقدّم شعراء الأندلس للرثاء بالحديث عن الطبيعة، ومناجاتها مناجاة أشبه بالتشكي والتماس العون، وأحلوا ذلك محل التقديم بالحكمة والنظر إلى الحياة لاستخلاص العظة والعبرة كما كان المشارقة يصنعون[1].

إنّ مزج الطبيعة بشعر الهموم والشكوى هو شيء جديد، أمّا الجديد الغريب عند الأندلسيين هو مزج الطبيعة بالحزن والبكاء في مقام الرثاء. فمن الأبيات التي قالها ابن خفاجة في رثاء الوزير أبي محمد عبد الله بن ربيعة:

في كُلِّ نادٍ منكَ رَوْضُ ثَناءِ وبكُلِّ خَدٍّ فيكَ جَدْوَلُ ماءِ
ولِكُلِّ شَخْصٍ هِزَّةُ الغُصْنِ النَّدي تَحتَ البكاءِ وَرَنَّةُ المُكّاءِ[2]
يا مَطْلَعَ الأنوارِ إنّ بِمُقْلَتي أسَفاً عليكَ لَمَطْلَعَ الأنواءِ[3]

إنّ ابن خفاجة قد أقدم في جرأة على هذا الضرب الجديد من مزج الطبيعة بالرثاء.

ابن خفاجة هو ابن الأندلس بعامة، وابن الطبيعة بخاصة، لقد امتلأت عليه الطبيعة حياته، وكانت له ضيعة في وديان بلنسية، أبعدته عن حياة التكسب، فضمنت له عيشة راضية بفنه، وجعلته غناء خالصاً للطبيعة، فوقف في محرابها يتغنى بأجمل الألحان[4].

واستعان شعراء الأندلس بالطبيعة ولجئوا إليها عند المديح. وكذلك نجد في فني الفخر والتشكي استعانة الشعراء بالطبيعة أيضاً، يعبرون بها حين يفخرون وعند اعتزازهم بأنفسهم[5].

ولقد كان شعر الطبيعة مهرباً للشعراء وهم في أقصى حالات التفجّع والتوجّع، ولقد التفت شعراء الأندلس إلى هذا المنطق فسجّلوا كثيراً من

---

1 د.سعد إسماعيل شلبي: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، ص 86.
2 المُكّاء: طائر يألف الريف، وجمعه المَكاكِيُّ، وهو فُعّالٌ من مكا إذا صفَر. ابن منظور: لسان العرب، ج15، ص 290.
3 د. سيد غازي: ديوان ابن خفاجة، ص 178.
4 د.سعد إسماعيل شلبي: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، ص 79-80.
5 د.سعد إسماعيل شلبي: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، ص 91.

قصائدهم ومقطوعاتهم التي مزجوا فيها الحسرة والألم بذكر الطبيعة وما حوت من جمال وجلال وإشراق وتبسّم، فربما ظنّوا أنّ في إشراقها مخرجاً لمصائبهم وفي بسمتها برءاً لمواجعهم[1].

ولما عصفت الأيام بابن زيدون، فألقى به أبو الحزم بن جهور في غيابات السجون، رفع عقيرته بالشكاة والفخر والتوسل والاحتجاج، ووجد من الطبيعة مجالاً فسيحاً، لاذ إليه وقال:

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ يَبْكي الغَمامُ على مِثْلي ... ويَطْلُب ثَأري البَرْقُ مُنْصَلِتَ النَّصْلِ[2]

وهَلاَّ أقامَتْ أَنْجُمُ اللَّيلِ مأْتماً ... لِتَنْدُبَ في الآفاق ما ضاعَ مِنْ نَثْلي

ولَوْ أنْصَفَتْني وهي أشكالُ هِمَّتي ... لأَلْقَتْ بأيدي الذُّلِّ لَمّا رَأتْ ذُلّي

ولافْتَرَقَتْ سَبْعُ الثُّرَيّا وغاضَها ... بمطلَعِها ما فرَّق الدَّهْرُ من شَمْلي[3]

وابن زيدون هنا يهيب بالطبيعة، ناطقة وصامتة، حية وجامدة، أن تشاركه في نكبته، وتَهتّم بمصيره، فتقيم النجوم المآتم، وتسلّم نفسها للهوان مثله، ويستبدّ به الخيال فيطلب من نجوم الثريا السبع أن تتفرق بعد ائتلاف، وتنقص بعد تمام، وكأنّ ابن زيدون في هذه الأبيات جزء من الطبيعة، ممتزج بها، متجاوب المشاعر معها.

ولابن حمديس الصقلي قصائد في المديح ضمنها وصف القصور والنوافير وتماثيل الآساد والأطيار وقد أنشدها للمديح[4].

ولابن حمديس مجموعة من القصائد الوصفية أطلقت عليها «صراع غير منظم مع الحياة» وفيها نرى الشاعر خاضعاً لانفعال مبهم، وينطلق انطلاقات عجيبة، وينتقل بين موصوفات مختلفة وفنون متعددة، وكأنه يسري عن نفسه بالحديث عن العناصر المتنوعة.[5]

---

1 د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي**، ص 353.

2 النَّصْل: حديدة السهم والرمح، ونصل السهم إذا خرج منه النَّصْل.
ابن منظور: **لسان العرب**، ج11، ص 662–663.

3 علي عبد العظيم: **ديوان ابن زيدون ورسائله**، ص 261–262.

4 د.سعد إسماعيل شلبي: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر**، ص 91.

5 د.سعد إسماعيل شلبي: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر**، ص 196.

وأراد ابن حزم الأندلسي أن يرفع قيمة المرأة ويعلي منزلتها فجعلها أروع من الطبيعة، وذلك إذ يقول:

مرآك مرآك لا شمسٌ ولا قمرُ ووردُ خديك لا وردٌ ولا زهرُ
في ذمة الله قلبٌ أنت ساكنه إن بنْتَ بان فلا عينٌ ولا أثرُ[1]

إنّ القارئ للشعر الأندلسي لا يدري أكان الشعراء يتحدثون عن الطبيعة، أم كانت الطبيعة تتحدث عنهم لفرط ما تغلغلت في نفوسهم، ولكثرة ما وصفوا من مناظرها وما تراءى من نفوسهم على وصفهم. وهذا كله بجوار القصائد التي استقلت بوصفها. فالطبيعة والشعر صنوان لا يفترقان[2].

فقد اتسعت آفاق الوصف أمام شعراء الأندلس بعامة، وشعراء الطوائف بخاصة فنبغوا فيه أيّما نبوغ، وقد وصلت روائع الطبيعة ومعطياتها إلى أوجها في القرن الخامس الهجري - أي عهد ملوك الطوائف - وما قد تلاه من قرون، وكانت الطبيعة هي الملهم الأكبر لهم حتى صارت المنطلق لكثير من فنونهم[3].

ويهمنا هنا أن نقرر أنّ شعراء هذا العصر كانوا أمام طبيعة فاتنة في بيئة مزهرة غنية بأنواع السحر والفتنة فاندفعوا بشاعريتهم تذكيها المناظر الخلابة التي وقعت عليها عيونهم فكان ذلك كله مجالاً خصيباً لفنّهم.

2- المرأة الأندلسية وشعر الطبيعة

كان لطبيعة الأندلس تأثير كبير في شعر الأندلسيين، وكان لشعر الطبيعة أيضاً شأن عند شاعرات الأندلس. نزعت شاعرات الأندلس إلى أحضان الطبيعة الخلابة، إذ أثْرَت أخيلتهنّ بمختلف الصور الشعرية، وأطلقت عنان أفكارهنّ، فَصُغْنَ أجمل القصائد وأرق التعابير. وصوّرن الطبيعة تصويراً

1 المقري: نفح الطيب، ج3، ص 435.
2 د.سعد إسماعيل شلبي: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، ص 100.
3 د. مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسي، ص 255. د.سعد إسماعيل شلبي: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، ص 101.

وجدانياً. تتعانق فيه عواطفهنّ وانفعالاهن مع مظاهرها، فيؤلفن بذلك لوحة طبيعية تنطلق بالمشاعر والأحاسيس.

فلقد تفنّنت الشاعرة الأندلسية في وصف الطبيعة حتى فاقت زميلتها المشرقية. وقد اشتهر في هذا الغرض الشعري عدد من الشاعرات، وفي مقدمتهنّ حمدونة بنت زياد الوادي آشية، التي كان يحلو لها أن تستمتع بجمال المنظر الطبيعي، وتستريح تحت أفياء الشجر ترخي لخيالها العنان؛ فتتأمل وتبرع في الوصف.

وتصف لنا حمدونة واديها وصفاً بارعاً دقيقاً بأجمل ما يوصف به واد، فترسم له صوراً وتفتق حوله معاني من أبرع ما رسم من صور وأرق ما فتق من معان، فتحملنا على جناح الأثير كأننا نراه، وهي تودُّ، برغبة ملحّة، أن نتفيّأ ظلاله، وننعم بروعة أزاهيره الفيحاء، ودوحاته الميّادة، وأشجاره التي عطّرت الجو بنسائم منعشة. ومما تقول في وصفه:

وقانا لفْحَةَ الرَّمْضاءِ[1] وادٍ ... سقاهُ مضاعَفُ الغَيْثِ العميمِ
حَلَلْنا دَوْحَهُ فحنا علينا ... حُنُوَّ المرضِعاتِ على الفطيمِ
وأرْشَفَنَا على ظمإٍ زُلالاً ... ألذُّ من المُدامَةِ للنَّديمِ
يَصُدُّ الشمسَ أنّى واجهتْنا ... فَيحْجُبُها ويأْذَنُ للنَّسيمِ
يَرُوعُ حصاه حاليةَ العذارى ... فتلمَسُ جانبَ العِقْدِ النَّظيمِ[2]

وكانت معاصرتها أم العلاء بنت يوسف الحجارية البربرية، قد طرقت بدورها وصف المنظر الطبيعي، وقد ترجم لها ابن سعيد وقال: نقلاً عن كتاب المسهب للحجاري: «أنّها ممن تفخر به بلدها وقبيلتها»[3].

وقد عمدت أم العلاء إلى رسم صورة جذابة لبستانها الذي يزيّنه في وادي الحجارة نبات متواضع هو القصب الفارسي، وذلك في قولها:

---

1 الرَّمْضاء: شدّة الحَرّ. ابن منظور: **لسان العرب**، ج7، ص 160.
2 المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص 288.
3 ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2، ص 38.

لله بُسْتــانِي إذا يَهفــو بــه القَصَــبُ المُنَــدَّى
فكأنّمــا كــفُّ الرِّيــاحِ قَــدَ اسْــنَدَتْ بَنْــداً فَبَنْــدا[1]

يتضح لنا من خلال ما سبق أنّ شعر الطبيعة كان له شأن عند شاعرات الأندلس لم يكن له مثله عند أقرانهنّ في المشرق، وذلك استجابة لمؤثرات البيئة وما انطوت عليه بلادهنّ من مشاهد الفتنة ومظاهر الحسن وما انفعلت بــه نفوسهنّ بما استشعرن حولها من عناصر الجمال؛ ففاضت قــرائحهنّ بــبديع القول تجاه تلك الأماكن التي شغفْن بها؛ فوصفْنها أجمل وصف، وأســبغْن عليها من أنفسهنّ الشيء الكثير؛ فكان شعر الطبيعة بمنزلة لؤلؤة ثمينة انتظمت في سلك عِقْد زيّن جيد الشاعرة الأندلسية أحسن تزيين.

أما سائر الأغراض التي تطرقت إليها الشاعرة في وصفها، فلــم تكــن بموازاة شعر الطبيعة.

إنّ انطلاق الشعر النسائي بالأندلس في الوصف التصــويري للطبيعــة أحياناً، وللحسن والجمال أحياناً أخرى، كما فعلت حمدة بنت زياد. ومجاراة الرجل في التغزل، والمواعدة، كما فعلت ولادة. والبراعة الفنيــة في قصــائد المديح، والتباهي بالقدرة الشعرية، والرغبة في التفوق على الشعراء. كل ذلك يظهر لنا مكانة المرأة الأندلسية في الهيئة الاجتماعية، هذا فضلاً عن أنّ هــذا الانطلاق النسائي يشير إلينا عن استعداد الرجل لقبول ما صدر عــن نســاء المحيط من أقوال وأفعال.

1 ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، ج2، ص 38.

المبحث الخامس

تعدد الشاعرات
بتعدد المراكز الحضارية

شاركت النساء الرجال في الحياة الفكرية، سواء في النثر أو في الشعر. ولقد أسهمت شاعرات الأندلس في دفع موكب الشعر أشواطاً نحو الرقي والتقدم. وقد فصّل المقري عنهنّ في فصل خاص سمّاه نساء أهل الأندلس[1].

وإنّ شعرهنّ يتراوح بين الجد والمحافظة وبين الانطلاق والتحرر. فمن شاعرات عهد الخلافة عائشة بنت أحمد القرطبية، وحَفْصَة بنت حَمْدون[2]. فقد

---

1 من المقري في الجزء الرابع.

2 حفصة بنت حمدون الأندلسية: شاعرة أديبة عالمة، من أهل وادي الحجارة (Guadalajara)) بالأندلس، وهو واد نبغ منه عدد من الشعراء والأدباء. ذكرها مؤرخو المغرب. ولها شعر كثير. قال ابن سعيد عنها: «إنّ بلدها يفخر بها» وسبب الفخر هو شاعريتها الخصبة وملكتها المعطاءة وفنّها الرفيع. ويذكر أنّها من أهل القرن الرابع. وقد كانت حفصة الحجارية على قسط كبير من الغنى والجاه. وكانت شاعرة رقيقة بارعة، وهي محسنة في نسج شعرها وانتقاء ألفاظها واختيار معانيها، وتحسس قوافيها. وقد طرقت حفصة للمرأة الأندلسية باباً لم تكن قد جرت على طرقه بعد، إنّه باب الغزل، طرقته بخفة وتردد وتحفظ، فهيأت السبيل للشاعرات بعدها أن يفتحنه ويدلفن من خلاله إلى ساحة الغزل بكل ما حوت من فنون وأساليب على سعتها وأعماقها.
ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2، ص 37. المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص 285–286. الزركلي: **الأعلام**، ج2، ص 264. د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 135–136. زينب بنت علي فوّاز: **الدر المنثور**، ج1، ص 290–291.

كانت حفصة منطلقة عن نطاق العقال نافضة عن كاهلها تقاليد الحرائر، أما عائشة فقابضة على تقاليدها مستمسكة بكل ما يدفع عن المرأة ظلال الشبهة[1].

وكانت لُبنى[2]، كاتبة الخليفة الحكم المستنصر، أديبة، شاعرة، مشاركة في العلوم.

ونهض الشعر في **عصر ملوك الطوائف**، ولقد واكبت نهضة الشعر في هذا العصر نهضة أخرى من الشاعرات تمثلت في وفرة عددهن واختلاف بلادهن ونفاسة إنشائهن وتجديد فنونهنّ، فكان في مدينة **المرية** من الشاعرات المجيدات الشاعرة الغسانية البجانية، وغاية المنى وأم الكرام بنت المعتصم بن صمادح التي لم تكتف بإنشاد القصيد وإنّما أسهمت في إنشاء الموشحات.

وفي **غرناطة** تزداد ندواتها وضواحيها بنزهون القلاعية وحمدونة بنت زياد التي لقبت بخنساء الأندلس وأختها زينب وكانتا تترددان بين مدينة غرناطة ومقرهما الساحر في وادي آش الذي يكاد يتوسط المسافة بين المدينتين غرناطة والمرية[3].

وفي **إشبيلية** يقع نظرنا على الشاعرة مريم بنت يعقوب الأنصاري، وعلى الأميرة بثينة بنت المعتمد بن عباد.

وإذا انطلقنا إلى **طليطلة** وقع نظرنا على وادٍ شهير خرج منه كثير من الشعراء والعلماء ونسبوا إليه، إنّه وادي الحجارة، والتي خرجت منه الشاعرة أم العلاء بنت يوسف الحجارية.

---

1 د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 136.

2 هي لُبْنى كاتبة الخليفة المستنصر بالله الأموي، كانت شاعرة، عالمة بالعربية والأدب، حاسبة، منشئة، وكانت عروضية حسنة الخط جداً. أصلها من الجواري، ولم يكن في قصر الخلافة يومئذ أنبل منها، وكان الخليفة المستنصر يقدرها حق التقدير، وكان يعتمد عليها الخليفة في كتابة رسائله الخاصة. توفيت سنة 374هـ/984م.
الضبّي: **بغية ملتمس**، ص 476. ابن بشكوال: **الصلة**، ص 531. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج5، ص 239. محمد جميل بيهم: المرأة **في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة**، ص 256. علي عثمان: **المرأة العربية عبر التاريخ**، ص 104.

3 د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 142.

وفي العاصمة قرطبة نجد فيها كبيرة شاعرات الأندلس الأميرة ولادة بنت المستكفي ورفيقتها مهجة بنت التيان القرطبية.

وإننا سنتناول الشاعرات حسب مواطنهنّ لا حسب فنونهنّ.

شاعرات المريّة

إنّ الشاعرات المريّات اللاتي سنتحدّث عنهنّ قد عشن في عصر المرية الذهبي في ظل بني صمادح، حيث كان الأمراء والحكام من بني صمادح شعراء وكانت نساؤهم شاعرات وكان وزراؤهم أيضاً شعراء.

1- الغسّانية البجّانية

عاشت الغسانية في منطقة بجّانة[1]، وهي كورة عظيمة، وتشتهر بإقليم المرية، وهي من شاعرات القرن الخامس. كانت في مدة ملوك الطوائف، أديبة شاعرة التي مدحت الملوك. توفيت سنة 450هـ[2].

وشعرها فيما يبدو من النصوص القليلة التي وصلت إلينا يتسم بالأصالة والعمق ولها في القول تمرّس وسلطان[3].

ومن شاعرات المرية نذكر:

2- غاية المنى

وفي بلاط المعتصم بن صمادح اشتهرت الجارية «غاية المنى» جارية أندلسية متأدّبة. فإنّ غاية المنى كانت واحدة من الشاعرات القيان ارتبط

---

1 بجّانة: مدينة بالأندلس، كانت في قديم الدهر من أشرف قرى أُرْش اليمن، وبقرب بجّانة كان جامع الإقليم الأعظم. وجامعها داخل المدينة، بناه عمر بن أسْود. وبشرقيّ بجّانة على ثلاثة أميال جبل شامخ فيه معادن غريبة.
الحِميّري: **صفة جزيرة الأندلس**، ص 37-38.

2 المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص 170. ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2، ص 192. ابن بشكوال: **الصلة**، ص 534. الحميدي: **جذوة المقتبس**، ص 373. د سعد إسماعيل شلبي: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر**، ص 451. الضبّي: **بغية الملتمس**، ص 474-475.

3 د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 144.

ذكرها بالمرية لصلتها بابن صمادح. تخرجت في فنون الغناء، وكانت لها معرفة جيدة بالأصوات، أدّبها سيدها، وخرج بها إلى المعتصم، فاشتراها منه بمائة ألف درهم وكانت محظية عنده، إلى أن ماتت[1].

فإنّ شيئاً من التأنّق كان يراعى في اختيار أسماء الجواري والقيان، وهن لم يولدن بهذه الأسماء بطبيعة الحال، فكثير منهن روميات الأصل أو صقليات وأحياناً صربيات أو تركيات أو حبشيات[2].

3- أم الكرام بنت المعتصم

أم الكرام بنت المعتصم بن صُمادح، أميرة من بيت الملك، وقد اعتنى والدها المعتصم بتأديبها، فقال ابن سعيد عن أم الكرام نقلاً عن المسهب: «كان المعتصم قد اعتنى بتأديبها، لِما رآه من ذكائها، حتى نظمت الشعر والموشحات»[3]. ولكن شعرها القليل الذي وصل إلينا موضوعه الغزل. وذكر لها ابن سعيد شعراً قالته في فتى أحبته[4].

لقد عاشت أم الكرام في عِزّ لا يضاهى؛ فكان لها عند العظمة دين، وعلى مملكة الحياة سلطان، وفي خزائن المال رصيد[5].

شاعرات غرناطة

لقد حظيت غرناطة بعدد من شهيرات الشاعرات البارعات، منهن حمدونة بنت زياد بن تقي الدين العوفي، ومنهن أختها زينب بنت زياد، ومنهن نزهون القلعية، ومنهن الشاعرة اللامعة الجريئة حديثاً وشعراً

---

1 المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص 286. زينب بنت علي فوّاز: **الدر المنثور**، ج2، ص 154. د. سعد إسماعيل شلبي: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر**، ص 451. د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 147.

2 د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 146.

3 ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2، ص 202.

4 ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2، ص 202-203.

5 عائدة محمد خالد: **المرأة في الأندلس**، ص 187.

حفصة الركونية[1]، وهي من شاعرات القرن السادس.

ومن شاعرات غرناطة في عصر ملوك الطوائف نذكر:

1- حمدة ويقال عنها حمدونة بنت زياد المؤدب

هي حمدة بنت زياد بن تقيّ العوفي، شاعرة كاتبة. قد تحلت بـــالأدب الجم وتغزلت مع عفة وصيانة أخلاق. وعلمت النساء في دار المنصور وذاع صيتها وعظمت منزلتها فلقبوها بخنساء المغرب. لقد نشأت حمدونـــة في واد جميل غير بعيد عن غرناطة، وغرناطة وما حولها إلى مسافة تقارب الأربعـــين ميلاً تغطيها الخضرة والأشجار وتتخللها السواقي والجداول والأنهار. لقـــد عاشت حمدونة في وادي آش وهي مدينة جميلة ساحرة تعرف أيضاً بـــوادي الأشات في بيت فيه علم وآداب، فقد كان أبوها زياد الوادي آشي يعـــرف بزياد المؤدب، وقد نشَّأ ابنتيه حمدونة وأختها زينب على الأدب والعلم[2].

---

1 هي حفصة بنت الحاج الركونية الأندلسية شاعرة، وهي من أهل غرناطة ووفاتها في مراكش سنة 586هـــ/1190. انفردت في عصرها بالتفوق في الأدب والظرف والحســـن وســـرعة الخاطر بالشعر. شعرها جيد ذات رونق فائق، وديباجة حسنة. وكان لها اليد الطولى في سبك المعاني، واستعمال الألفاظ الشائقة. ولم يكن شعرها مع جودته مقصوراً على أسلوب واحد، بل كانت تفنن فيه وتدخل في أساليب مختلفة، وكانت غزيرة المادة من الأدب مطّلعة علـــى شعر العرب الخلص وغيرهم. وكانت تكتب الخط الجيد وهي من أذكياء العرب المشهود لهم بالتفوق والبراعة، قرأت في مبدأ أمرها كثيراً، وحفظت كثيرا، ولما كبرت وشبت ظهر لهـــا جمال بارع كانت تبهر العقول به، وكانت حسيبة نسيبة غنية، ذات مـــال وافـــر. تعتـــها ابن بشكوال بأستاذه وقتها. وكانت تعلم النساء في دار المنصور ولها معه أخبار. يقول عنها لسان الدين الخطيب إنها كانت فريدة الزمان في الحسن والظرف والأدب واللوذعية، أديبة نبيلة جيدة البديهة سريعة الشعر. ويضيف ياقوت أنها كانت مشهورة بالحســـب والأدب والجمال، أستاذة وَلِيَتْ تعليم النساء في دار المنصور أمير المؤمنين عبد المؤمن.

المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص 171. ياقوت: **معجم الأدباء**، ج10، ص 219-220. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج2، ص 264. زينب بنت علي فوّاز: **الدر المنثور**، ج1، ص 290-291. د. أحمد شلبـــي: **التربية الإسلامية**، ص 340.

2 د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 150. د. عبد الله عبد الرزاق السعيد: **الطب ورائداته المسلمات**، ص 94. عمر رضا كحالة: **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، ج1، ص 248. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج2، ص 274.

يقول عنهما لسان الدين ابن الخطيب: شاعرتان أديبتان، من أهل الجمال والمال والمعارف والصون، إلاّ أنّ حبّ الأدب كان يحملهما على مخالطة أهله مع صيانة مشهورة ونزاهة موثوق بها. فكانتا شاعرتين من شهيرات شاعرات الأندلس، إلاّ أنّ حظ زينب في التاريخ لم يكن كحظ أختها حمدونة، ففي الوقت الذي حفلت فيه كتب الأدب بنماذج من شعر حمدونة وإشادة باسمها حتى لقبت بخنساء المغرب وشاعرة الأندلس، كان نصيب زينب من الشهرة لا يزيد عن ذكر اسمها مرتبطاً باسم أختها فيقال: حمدونة بنت زياد وأختها زينب الشاعرتان، وفي بعض الأحيان كان يقال زينب بنت الوادي آشي وأختها حمدة، وليس من شك أنّ أدبنا الأندلسي قد خسر كثيراً بضياع شعر زينب كله خسارته بضياع شعر حمدونة الذي لم يصل إلينا منه إلاّ تلك النماذج القليلة التي ذكرها لنا صاحب نفح الطيب[1].

إنّ حمدونة شاعرة الطبيعة بين نساء الأندلس، ولو أُحسن اقتباس صفة مشرقية لها لقيل إنّها: «صنوبرية» الأندلس نسبة إلى رأس شعر الطبيعة في المشرق أبي بكر الصنوبري[2]. هذا ولم يعرف عن حمدونة أي لون من ألوان الانحراف أو الميل عن الجادة بل كانت عفة رغم غزلها، متصوفة رغم إسهامها في قول التشبيب[3].

---

1 المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص 287. ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2، ص 145. ياقوت: **معجم الأدباء**، ج10، ص 275. د. أحمد شلبي: **التربية الإسلامية**، ص 339. د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 150-151.

2 هو أحمد بن محمد بن الحسن بن مَرَّار الضبي الحلبي الأنطاكي، أبو بكر المعروف بالصَّنَوْبري، شاعر اقتصر في أكثر شعره على وصف الرياض والأزهار. وكان ممن يحضر مجالس سيف الدولة. تنقل بين حلب ودمشق، وتوفي سنة 334هـ/946م. وجمع الصولي «ديوانه» في نحو 200 ورقة. وجمع الشيخ محمد راغب الطباخ ما وجده من شعره في كتاب سماه «الروضيات». ونشر الدكتور إحسان عباس مخطوطة يظهر أنّها الجزء الثاني من الديوان، وأضاف إليها ما تفرق من شعره في مجلد سماه «ديوان الصنوبري». خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج1، ص 207.

3 د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 155.

كانت حمدة أشهر شاعرات زمانها، وكان لها نصيب كبير من العلوم، وكانت أشهر عالمات عصرها. روت عن العلماء، ورووا عنها، ومنهم أبو القاسم بن البراق[1].

2- نزهون بنت القلاعي الغرناطية

هي نزهون بنت القلاعي، وتنسب إلى غرناطة فيقال نزهون الغرناطية، وهناك من يسميها نزهون القلعية نسبة إلى القلعة وهي البلدة التي وفد منها أهلها، ولفظ نزهون لفظ أندلسي خالص. شاعرة أديبة خفيفة الروح، حافظة للشعر عارفة بضرب الأمثال مع جمال فائق وحسن رائق. لها أخبار ومسجلات مع بعض شعراء عصرها. وكان الوزير أبو بكر ابن سعيد أولع الناس بحضرتها ومذاكرتها ومراسلتها[2].

وسوف نرى فرقاً واضحاً بين حمدونة التي مرّ حديثها وبين نزهون الغرناطية، فحمدونة ابنة الوادي، أي ابنة الريف والقرية، ومن ثم فهي ابنة أصيلة للطبيعة، وصدى أمين للبيئة المستمسكة ببعض المعاني الكريمة غير المتدنية أو المبتذلة، وأما نزهون فعلى العكس من ذلك تماماً، إنّها تراسل الرجال شعراً وتساجلهم نظماً وتُهاجيهم قولاً فاحشاً في نطاق ما يسمى بالأدب المكشوف. ومجمل الرأي أنّها ابنة للمدينة وصدى لقيمها تماماً كما أنّ حمدونة ابنة للريف وصدى لمحافظته.

ومهما كان الأمر من نزهون فهي شاعرة «المدينة» الأندلسية في القرن الخامس الهجري، وصورة دقيقة لجوانب عديدة من شعر ذلك القرن يستوي

1 محمد جميل بيهم: **المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة**، ص 253.

2 المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص 295. الضبّي: **بغية الملتمس**، ص 476. ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2، ص 121. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج8، ص 17. د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 156. عمر رضا كحالة: **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، ج5، ص 167. زينب بنت علي فوّاز: **الدر المنثور**، ج2، ص 282. محمد جميل بيهم: **المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة**، ص 250.

في ذلك شعر الرجال وشعر النساء[1].

والحق أنّ نزهون قد غمست نفسها في الحياة الأدبية في غرناطة غمساً كاملاً حتى لقبت بشاعرة غرناطة.

واختلف مؤرخو الأدب في صفة نزهون وإن لم يختلفوا على شاعريتها فبينما يذكر ابن سعيد أنّها شاعرة ماجنة كثيرة النوادر[2]، ويذكرها المقري في «نفح الطيب» نقلاً عن الحجاري في «المسهب» ويصفها بخفّة الروح، والانطباع الزائد، والحلاوة، وحفظ الشعر، والمعرفة بضرب الأمثال، مع جمال فائق، وحسن رائق[3].

ولشعر نزهون جانبان: جانب مشرق نظيف، وجانب جريء عنيف غير عفيف، وهي في كل ذلك صاحبة مطارحات ومشاغبات مع أعيان قرطبة وشعراء الأندلس المشاهير مثل الوزير أبـي بكر بـن سـعيد، والأعمى المخزومي[4] الهجاء، وابن قُزْمان[5] الشاعر الزجال المشهور[6].

وهكذا تقدم غرناطة في هذا القرن الخامس شاعرتين بارعتين ولكنهما تختلفان مسلكاً وأسلوب شعر، فالأولى وهي حمدونة بنت زياد كانت

---

1 د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 156.

2 ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2، ص 121.

3 المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص 295.

4 ترجم له ابن سعيد، نقلاً عن كتاب «المسهب» وقال: إنّه بشّار الأندلس انطباعاً، أحيا سيرة الحُطيئة بالأندلس، وكان لا يَسْلَمُ من هَجْوه أحد. أصله من المُدَوَّر، قرأ بقرطبة، وجال على مدن الأندلس، وأكثر إقامته في غرناطة. توفي سنة 520هـ/1126م.
ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج1، ص 228.

5 هو محمد بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى، أبو بكر ابن قزمان، إمام الزجالين بالأندلس، وله شعر. وقد يلقب بابن قزمان الأصغر، تمييزاً له عن عمه محمد بن عبد الملك (كاتب المتوكل صاحب بطليوس). وهو من أهل قرطبة. كان يتردد إلى إشبيلية. وتناقل الناس أزجاله في أيامه، حتى قيل: روي له ببغداد أكثر مما كان يروى له بالأندلس. كان إمام أهل الزجل المنظوم بكلام العامة في الأندلس. كان أزرق العينين أشقر الشعر. توفي سنة 555هـ/1160م. له «إصابة الأغراض في ذكر الأعراض».
خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج6، ص 322.

6 د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 157.

مستقيمة الخلق سوية السلوك من ناحية حياتها الشخصية، صانعة متألقة عفيفة من الناحية الشعرية، وأمّا الثانية وهي نزهون فكانت على النقيض من زميلتها تماماً سلوكاً في الحياة، وإنشاء الشعر، وشعرها إذا خلا من الفحش مطبوع عذب بعيد عن التصنع قريب إلى البديهة والخاطر.

شاعرات إشبيلية

ومدينة إشبيلية من أجمل مدن الأندلس وتقع على النهر الكبير التي تقع عليه قرطبة. وينقل المقري عن صاحب منهاج الفكر في وصفه إشبيلية «أنّها من أحسن مدن الدنيا، وبأهلها يُضرب المثل في الخلاعة، وانتهاز فرصة الزمان الساعة بعد الساعة، ويعينهم على ذلك واديها الفرج وناديها البهج»[1].

فهل انسحبت صفات أهلها على سلوك شاعراتها، إنّ عدد الشاعرات الإشبيليات في القرن الخامس الذي نحن بصدد الحديث عن شاعراته لم يتعد الاثنتين وهما مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري، وبثينة بنت المعتمد بن عباد، وكلاهما متّسمة بالرزانة والخلق الجميل.

1- مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري

هي مريم بنت أبي يعقوب الفيصولي الشلبي. أصلها من شِلْب (Silves) وشهرتها وإقامتها بإشبيلية. كانت أديبة شاعرة جزلة مشهورة. كانت تعلّم النساء وتعطيهنّ دروساً في الأدب مع الالتزام بالصون والعفاف. ولقد عمرت مريم طويلاً فيما يروي مؤرخو الأدب، وبلغت سبعاً وسبعين سنة فيما تروي عن نفسها، وتوفيت بعد 400هـ/1010م[2].

---

1 المقري: **نفح الطيب**، ج1، ص 159.

2 المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص 291. الحميدي: **جذوة المقتبس**، ص 373. الضبّي: **بغية الملتمس**، ص 474. ابن بشكوال: **الصلة**، ص 533. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج7، ص 210. زينب بنت علي فوّاز: **الدر المنثور**، ج2، ص 371. عمر رضا كحالة: **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، ج5، ص 47.

وكانت امرأة ذات ثقافة عالية، درست البلاغة والشعر والأدب[1]. وقد احتلت منزلة مرموقة عند أجلاء البلد[2].

وكانت مريم محتشمة متديّنة على خلاف ما نتوقع من شاعرة عاشت في مدينة الخلاعة، ولكن لعل السبب في نجوتها من الخلاعة أنّها في الأصل من مدينة شلب في غرب الأندلس، وإذن فهي غريبة عن إشبيلية وإن سكنتها، وتثبت الروايات أنّها كانت تمدح عبيد الله بن محمد المهدي الأموي وكان يجيزها من ماله ويساجلها شعراً وتساجله، وكان من مساجلاته معها يبدي لنا الكثير من الاحترام والإجلال ويشبهها بمريم العذراء في روعها وبالخنساء في شعرها[3].

ويبدو أنّها كانت أرسلت في إحدى المرات قصيدة تمدح المهدي فبعث إليها بردّه: عدداً من الدنانير وعدداً آخر من أبيات الشعر قال منها:

وذكرها الحميدي، وأنشد لها جوابها لما بعث المهدي إليها بدنانير، وكتب إليها:

ما لي بشُكرِ الذي أوليْتِ من قِبَلِ لو أنني حُزْتُ نُطْقَ اللُّسْنِ في الخَبَلِ
يا فَرْدَةَ الظَّرْفِ في هذا الزّمانِ ويا وحيدةَ العصْرِ في الإخلاصِ والعملِ
أشْبَهْتِ مريماً العذراءَ في وَرَعٍ وفُقْتِ خنساءَ في الأشعارِ والمَثَلِ[4]

وشعر المهدي يدل على تلطف وأريحية إزاء شاعرة أديبة حسنة السيرة وإن كان يدل أيضاً عل تواضع شاعريته. وأما مريم فإنّها تنشئ قصيدة لكي تمدح الأمير الذي بعث إليها من ماله وخلع عليها من أدبه قائلة:

مَنْ ذا يجاريكَ في قولٍ وفي عملٍ وقدْ بَدَرْتَ إلى فضْلٍ ولم تُسَلِ
ما لي بشكرِ الذي نَظَّمْتَ في عُنُقي منَ اللآلي وما أوْلَيْتَ من قِبَلِ

---

1 صلاح الدين خودابخش: حضارة الإسلام، ص 149.
2 محمد جميل بيهم: المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة، ص 250.
3 د. مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص 167.
4 الحميدي: جذوة المقتبس، ص 373.

حَلَّيتني بحُلَّـــى أصـــبحتْ زاهيـــةً | بها على كلِّ أُنثى مِنْ حُليً عُطُـــلِ
للهِ أخلاقُـــكَ الغُــرُّ الـــتي سُـــقِيَتْ | ماء الفراتِ فَرَقَّـــتْ رِقَّـــةَ الغَـــزَلِ
أشبهْتَ مروان مَنْ غـــارت بدائعُـــهُ | وأنْجَدَتْ وغَدَتْ من أحْسن المثـــلِ
من كانَ والدُهُ العَضْـــبَ المهنَّـــدَ لم | يَلِدْ من النَّسلِ غير البيضِ والأَسَـــلِ[1]

ومن شعرها حين كبرت:

وما تَرَتَّجي مِنْ بِنْتٍ سبعين حِجَّـــةً | وسبع كنسْجِ العَنْكبـــوتِ المهلْهـــلِ
تدِبُّ دبيبَ الطِّفْل تَسْعى إلى العصـــا | وتمشي بها مَشْيَ الأســـير المُكبَّـــلِ[2]

شكت مريم زمانها، والشكوى الصادقة لون من ألوان غناء النفس. فلقد بلغت الذروة في التعبير عن آلام الشيخوخة وهمومها تعبيراً لم يستطع كثير من الشعراء الرجال المعمّرين أن يصلوا إلى مقامه دقة تصوير وبراعة تعبير[3].

2- اعتماد الرُّمَيكيَّة

اعتماد الرميكية ذات الشأن العظيم في تاريخ المعتمد. وكانـــت أديبـــة شاعرة ذاكرة لكثير من اللغة معدودة من علماء إشبيلية. كانت جارية لرميك بن حجاج فنسبت إليه. واستطاعت اعتماد الرميكية أن تجذب نظر المعتمـــد إليها يوم أن أجازت شطر بيت له عجز عن إجازته ابن عمار شاعر الأندلس المشهور، فأفحمته[4].

يحكي الرواة أنّ الأمير كان مع صديقه ابن عمّار يتنزّهان قرب مـــرج الفضّة على شاطئ نهر الوادي الكبير فأعجب بمنظر الماء المتموج فقال: صنع

1 المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص 291.
2 المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص 291. الحميدي: **جذوة المقتبس**، ص 373. الضبّي: **بغية الملتمس**، ص 474.
3 د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 169.
4 ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج4، ص 222. زينب بنت علي فوّاز: **الدر المنثور**، ج1، ص 83-84. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج1، ص 334. عمر رضا كحالة: **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، ج1، ص 57.

الريح على الماء زرد ثم طلب إلى ابن عمّار أن يجيزه فأبطأ وكان على الشاطئ جوار يملأن جرارهن فردّت إحداهن: أيّ درع لقتال لو جمد فردد المعتمد البيت الذي كان فاتحة حبه:

صنع الريح على الماء زرد[1] أيّ درع لقتال لو جمد[2]

واشتراها المعتمد فيما بعد في أيام أبيه المعتضد، فتزوجها، وأحبها، وأفرط في الميل إليها، واتخذ من اسمها لقباً رسمياً لنفسه في تاريخ دولة بني عبّاد، فكان المعتمد على الله نسبة إلى اعتماد بعد أن عرف بالظافر، أو المؤيد وفي ذلك يقول:

دسست اسمك الحلو في طيه وألفت منه حروفَ «اعتماد»[3]

كان حديثها على حدّ قول الرواة يفيض عذوبة وطلاوة كما كانت طلعتها مسعدة، حاضرة الجواب، بارعة الرد إلى جانب رقة طبيعية غالبة، ومرح لطيف تشوبه سذاجة الطفولة، غير أنّها كانت تسرف في دلالها ونزواتها إلى حد يضيق عنه صبر المعتمد[4].

كان المعتمد كثيراً ما يأنس بها، ويستظرف نوادرها، ولم تكن لها معرفة بالغناء، وإنّما كانت مليحة الوجه، حسنة الحديث، حلوة النادر، كثير الفكاهة، لها في ذلك نوادر محكية[5].

ومن أخبار الرميكية القصة المشهورة في قولها وهي صاحبة «ولا يوم الطين»، وذلك أنّها رأت بعض نساء البادية بإشبيلية يبعن اللبن في القرَب

---

1 الزَّرْد: حِلَقُ المِغْفَر والدرع. والزَّرْد هو تداخل حلق الدرع بعضها في بعض. ابن منظور: **لسان العرب**، ج3، ص 194.

2 د. عبد الله أنيس الطباع: **القطوف اليانعة من ثمار جنّة الأندلس الإسلامي الدّانية**، ص 195-196.

3 خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج1، ص 334. د. عبد الله أنيس الطباع: **القطوف اليانعة من ثمار جنّة الأندلس الإسلامي الدّانية**، ص 196. د.سعد إسماعيل شلبي: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر**، ص 59.

4 د. عبد الله أنيس الطباع: **القطوف اليانعة من ثمار جنّة الأندلس الإسلامي الدّانية**، ص 196.

5 المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص 272.

وهنّ ماشيات في الطين، فاشتهت أن تفعل فعلهنّ، فـأمر المعتمـد بـالعنبر والمسك والكافور وماء الورد، وصيّرها جميعاً طيناً في قصره وجعل لها قِرَبـاً وحِبالاً من إبريسم، فخاضت هي وبناتها وجواريها في ذلك الطين[1].

أنجبت للمعتمد أولاداً شاركوا أباهم في امتلاك الأنـدلس فسـميت أم الملوك[2]، ولد له منها: عبّاد الملقب بالمأمون، وعبيد الله الملقب بالرشيد، ويزيد الملقب بالراضي، والمؤتمن، وبثينة الشاعرة[3].

ويشاء القدر أن ينمو غيظ ابن عمار منها على مدى الزمن وأن تـزداد حقداً عليه حتى حالت بين المعتمد والصفح عنه، فذكرته بالقصيدة التي يقال إنّ ابن عمار قالها في هجائها، وذكره فيها بضآلة أصلها[4].

وأغار يوسف بن تاشفين على إشبيلية فأسر المعتمد والرميكية وأرسلهما إلى «أغمات» من مراكش، معتقلين، بعد أن قتل ولديهما المأمون والراضي. وقاسمت المعتمد أيام نعيمـه وأيـام بؤسـه، وماتـت في أغمـات سـنة 488هـ/1095م، قبل المعتمد بأيام، ولم ترقأ له عبرة ولا فارقته حسرة حـتى قضى نحبه أسفاً وحزناً[5].

3- بثينة بنت المعتمد بن عباد

إنّها الأميرة بثينة بنت المعتمد، التي شهدت مباهج ملك أبيها المعتمـد بن عباد كبير ملوك الطوائف وكبير الشعراء الملوك وبطل الأبطال في معركة الزلاقة، والأسير بأغمات كما يؤسر علوج الروم، إنّ المعتمد يشكل صفحات من المجد والترف والبطولة والإباء والشعر. ولقد ورثت بثينة روحه الشـاعرة

---

1 المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص 272-273.

2 د.سعد إسماعيل شلبـي: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر**، ص 59.

3 زينب بنت علي فوّاز: **الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور**، ج1، ص 84. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج1، ص 334.

4 ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج4، ص 222.

5 ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج4، ص 222. خير الدين الزركلـي: **الأعـلام**، ج1، ص 334. د.سعد إسماعيل شلبـي: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر**، ص 59.

فهو شاعر الملوك وملوك الشعراء، فكانت بثينة شاعرة من شاعرات الأندلس، كانت ذات جمال بارع وحسن باهر، حاضرة الجواب سريعة الخاطر حلوة النادرة. وكانت كأمّها «في الجمال، والنادرة ونظم الشعر»[1].

لبثينة شعراً كثيراً كان مشهوراً بالمغرب ولم يبق منه إلاّ هذه القصيدة الرقيقة التي بين أيدينا، وتحفظ لها كتب الأدب هذه الرسالة الشعرية التي بعثت بها إلى أبيها في «أغمات»، تستأذنه أن يبارك زواجها من فتى وقعت في أسره، وحافظ على حريتها[2].

إنّه لما حلت النكبة بالمعتمد وأسر وحمل وزوجته إلى أغمات في المغرب، وتعرض قصره للنهب والسلب كانت بثينة في جملة من سبي من نساء القصر وصباياه، فاشتراها أحد تجار إشبيلية وهو لا يعلم من أمرها شيئاً ظانًّا أنّها واحدة من الجواري وأهداها لابنه، فلما أراد الابن الدخول بها امتنعت امتناع الحرائر وأظهرت له نسبها، وقالت: لا أحل لك إلاّ بعقد الزواج إن رضي أبي بذلك، وأشارت عليه وعلى أبيه بتوجيه كتاب منها إلى أبيها وانتظار جوابه. فكتبت خطاباً فريداً في بابه بين الخطابات التي كتبت في التاريخ، لقد ضمنت خطابها قصتها كاملة[3]، فقالت في أول القصيدة:

اسمعْ كلامي واستمعْ لمقالَتي ... فهي السُّلوكُ بَدَتْ من الأجْيادِ

لا تُنكِروا أنّي سُبِيتُ وأنّني ... بِنْتٌ لِمَلْكٍ من بَني عبّاد

ملكٍ عظيمٍ قد تَولّى عَصْره ... وكذا الزمانُ يؤولُ للإفْساد

---

1 المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص 284. عمر رضا كحالة: **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، ج1، ص 99. د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 169-170. د.سعد إسماعيل شلبي: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر**، ص 443-444.

2 د.سعد إسماعيل شلبي: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر**، ص 444.

3 زينب بنت علي فوّاز: **الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور**، ج1، ص 172. عمر رضا كحالة: **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، ج1، ص 99.

لَمّـــا أرادَ اللهُ فُرْقَـــةَ شَـــمْلِنا وأذاقَنـــا طَعْـــمَ الأســـى مِـــنْ زادِ
قام النِّفاقُ على أبـــي في مُلْكِـهِ فدنا الفِراق ولَـــمْ يَكُـــنْ بمُـــرادِ[1]

إنّ الأميرة الصغيرة الغريرة كانت من الفطنة بحيث أقنعت الفتى وأباه بالانتظار، وكانت من الاعتراف بالجميل بحيث حسّنت لأبيها الموافقة على الزواج، وكانت من الكبرياء بحيث لم تنسَ أنّها أميرة وابنة ملك، وكانت من الشاعرية والصفاء بحيث دبجت ببراعتها قصة واقعية من أكثر القصص في التاريخ أسى وأخذاً بمجامع الأحاسيس والخواطر، فكانت من الواقعية بحيث ارتضت حكم القدر في مصيرها، فكانت هذه القصة الشاعرة في إطارها المؤثر العميق وأسلوبها المهذب الرقيق[2].

فلمّا وصل شعرها لأبيها وهو بأغمات، سُرَّ هو وأمّها بحياتها، ووافق على زواجها، وكتب لها موافقة استهلها بما يستهل به الأب العاقل نصائحه لابنته الأميرة الأثيرة المقبلة على الزواج:

بُنَيَّتِـــي كُـــونِي بِـــهِ بَـــرَّةً فَقَـــدْ قَضَـــى الوقـــتُ بإســـعافه[3]

4- شاعرة من وادي الحجارة: أم العلاء بنت يوسف الحجارية

لقد قدّم وادي الحجارة الشاعرة حفصة بنت حمدون الحجارية التي مر ذكرها عند الحديث عن شاعرات عصر الخلافة، وهو في عصر ملوك الطوائف يقدّم لنا شاعرة مجيدة هي أم العلاء بنت يوسف الحجارية البربرية التي قال عنها صاحب المسهب: «أنّها ممن تفخر به بلدها وقبيلتها»[4].

كانت أم العلاء أديبة شاعرة، روى لها صاحب نفح الطيب نماذج من شعرها، وهي من شاعرات القرن الخامس[5].

---

1 المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص 284.
2 د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 169–170.
3 المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص 284–285.
4 ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2، ص 38.
5 المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص 169.

وتعتبر أم العلاء واحدة من أرق شاعرات الأندلس غزلاً وأقدرهنّ على التعبير عن نفسها. وهي امتداد طبيعي لحفصة رائدة لشعر الغزل بين شاعرات الأندلس.

شاعرات قرطبة

1- ولادة بنت المستكفي

إنّ قرطبة عاصمة الأندلس الأولى تاريخاً وقدراً، ففيها تجلت الحضارة الإسلامية بمختلف أنواع عطائها، وفيها تألّقت أعظم خلافة في غرب المملكة الإسلامية، وفي قرطبة نشأ ملك بني أمية في الأندلس، وترتبط بقرطبة أسماء كبيرة غزيرة من بشر ومنشآت. على أنّ أهم ما يعنينا من قرطبة هنا هو شاعرتها، بل شاعرة الأندلس ولادة بنت المستكفي بالله الخليفة الأموي.

ترجع ولادة إلى أسرة عرف مجدها الشرق والغرب، فهي من سلالة الأمويين، وتتصل سلسلة أجدادها بعبد الرحمن الناصر، أشهر خليفة أموي في الأندلس، وهي بنت محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله الناصري، الملقب بالمستكفي، بويع أبوها يوم قتل المستظهر، في 3 ذي القعدة سنة 414هـ (17 كانون الأول سنة 1024م)[1]. ولقد وصف المستكفي (ت 416هـ/1025م)، بالخمول والتهتك[2].

ولم تطل جلسة أبيها على سدة الخلافة، فبعد سبعة عشر شهراً لولايته، ثار عليه أهل قرطبة، فهرب مستخفياً بين امرأتين إلى مدينة إقليج، فدسّ له أحد ضباطه السم، فمات[3].

انصرفت ولادة في البيت الأبوي، إلى تلقف العلوم والفنون وامتلاك ناصية الشعر، وقد أحضر لها أبوها العلماء، والمثقفين، وحدب على تربيتها،

---

1 وليم الخازن: ابن زيدون أثر ولادة في حياته وأدبه، ص 43.
2 الحميدي: جذوة المقتبس، ص 28. الضبي: بغية الملتمس، ص 30.
3 وليم الخازن: ابن زيدون أثر ولادة في حياته وأدبه، ص 44.

بما يليق ببنات الملوك[1]. وكانت ولادة معجبة بنفسها مفتخرة على بنات جنسها[2].

والذي يلفت النظر أنّه ما من مؤرخ لها من القدامى إلاّ وقد تحدث عنها فيما يشبه الانبهار بشخصيتها والافتتان بأدبها وبديهتها.

يقول المقري، في كلامه عن ولادة: «كانت واحدة زمانها، المشار إليها في أوانها، حسنة المحاضرة، مشكورة المذاكرة»[3].

ويقول ابن بشكوال عنها: «أديبة، شاعرة، جزلة القول، حسنة الشعر، وكانت تخالط الشعراء وتساجل الأدباء، وتفوق البرعاء»[4].

ويقول ابن سعيد إنّها بالمغرب كعُلَيّة[5] (أخت الرشيد) في الشرق، «إلاّ أنّ هذه – أي ولادة – تزيد بمزية الحسن الفائق، وأمّا الأدب والشعر والنادر وخفّة الروح فلم تكن تقصر عنها، وكان لها صنعة في الغناء، وكان لها مجلس يغشاه أدباء قرطبة وظرفاؤها فيمر فيه من النادر وإنشاد الشعر كثير لما اقتضاه عصرها من مثل ذلك»[6].

---

1 وليم الخازن: ابن زيدون أثر ولادة في حياته وأدبه، ص 44.

2 زينب بنت علي فوّاز: الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور، ج2، ص 418.

3 المقري: نفح الطيب، ج4، ص 205.

4 ابن بشكوال: الصلة، ص 534.

5 هي عُلية بنت المهدي بن المنصور، من بني العباس، أخت هارون الرشيد. أديبة شاعرة، تحسن صناعة الغناء. كانت من أحسن نساء زمانها وجهاً، وأظرفهنّ خلقاً، وأوفرهنّ عقلاً، ذات صيانة وأدب بارع. وكان الرشيد يبالغ في إكرامها واحترامها، وكان أخوها إبراهيم ابن المهدي يأخذ الغناء عنها. قال الصولي: لا أعرف لخلفاء بني العباس بنتاً مثلها. كانت أكثر أيام طهرها مشغولة بالصلاة ودرس القرآن ولزوم المحراب، فإذا لم تصلّ اشتغلت بلهوها. تزوجها موسى بن عيسى العباسي. لها «ديوان شعر» وفي شعرها إبداع وصنعة. مولدها في بغداد (سنة 160هـ/777م) ووفاتها فيها (سنة 210هـ/825م)، عاشت خمسين سنة.

خير الدين الزركلي: الأعلام، ج5، ص 35. زينب بنت علي فوّاز: الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور، ج2، ص 145.

6 المقري: نفح الطيب، ج4، ص 208. زينب بنت علي فوّاز: الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور، ج2، ص 417.

بهذا الأسلوب الرائق المهذب كان يتناولها المؤرخون القدماء إعجاباً بها وافتتاناً بسيرتها وتقديراً لأدبها. وفي شعر ولادة رقة وعذوبة إلاّ ما كانت تهجو به[1].

كانت ولادة نهاية في الأدب والظرف، أعدت في قصرها ندوة للعظماء والعلماء والشعراء والكتاب. كان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر، وفناؤها ملعباً لجيّاد النظم والنثر. ولها أدب غض ونظم جيد، وكانت لها صنعة في الغناء، ونوادر كثيرة مع الأدباء والشعراء، وبفضل براعتها وطرافة مواقفها صارت بطلة قصص ومواقف مثيرة ترويها كتب الأدب عندما تتحدث عن شاعر الأندلس الكبير «ابن زيدون»[2].

كانت ولادة، مزهوّة بنفسها فوجدت من إعجاب الرجال بها ما سرّها وأرضى غرورها، وعندما استرسلت في انطلاقها وجدها بعضهم لعوباً تُغري الرجال وتطمعهم بالتودّد إليها، خاصة وأنّ لها أشعاراً ماجنة[3].

وكانت ولادة تتمتع بذكاء لامع وقوة ذاكرة، ما ساعدها على فرض وجودها بين الشعراء والكتّاب، وأهل الفن، الذين التفّوا حولها ينشدون ودّها ورضاها.

وإنّ ولادة مقرونة دائماً بأبي الوليد أحمد بن زيدون المخزومي (ت 463هـ/1070م) الوزير الشاعر، وقصتها معه معروفة.[4] ولقد شُهرت علاقة ولادة بابن زيدون، لا في قرطبة فحسب بل في إسبانيا كافة[5].

---

1 خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج8، ص 118.

2 د. سعد إسماعيل شلبي: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر**، ص 59- 444. زينب بنت علي فوّاز: **الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور**، ج2، ص 417. عمر رضا كحالة: **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، ج5، ص 287. د. عبد الله عبد الرزاق السعيد: **الطب وروائداته المسلمات**، ص 94-95.

3 سلمى الكزبري: **في ظلال الأندلس**، ص 26.

4 د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 181.

5 وليم الخازن: **ابن زيدون أثر ولادة في حياته وأدبه**، ص 48.

لقد هام ابن زيدون بولادة هيماً جعله يسلك في شعره الغزلي مسالك من المعاني المستحدثة المستجدة العذبة السهلة لم تجر على لسان شاعر آخر في مثل حالته[1]. وعمّرت ولادة عمراً طويلاً ولم تتزوج، وتوفيت بقرطبة (سنة 484هـ/1091م)[2].

وإذا كانت هناك كلمة أخيرة في شأن ولادة الشاعرة، فإنّ شعرها ليس من طبقة أعلى من كثير من شاعرات الأندلس من معاصراتها في القرن الخامس، وإنّما غلبت شهرة ولادة بسببين مهمين، السبب الأول أنّها من بيت الخلافة وابنة خليفة وصاحبة منتدى يؤمه الأدباء، وحليفة جمال وفتنة فسحرت جمهرة الشعراء فوقع الحسد والتنافس بين بعضهم وبعض سعياً وراء الفوز بقلبها والاستئثار بحبها، والسبب الثاني هو شعر ابن زيدون فيها وهيامه بحبها. فأنشأ فيها ما أنشأ من بديع الشعر وفاتن الغزل، فإنّ ذلك يشكّل دون ريب السبب الثاني والأهم في شهرة ولادة وامتيازها على غيرها من زميلاتها شاعرات الأندلس، واستئثارها دونهنّ بمزيد من الاهتمام من مؤرخي الأدب وناقديه وأصحاب الرواية والأخبار.

2- مُهْجَة بنت التياني القرطبية

لم تكن ولّادة وحدها شاعرة قرطبة على عصرها، وإنّما كانت هناك شاعرة أخرى قيل أنّها كانت من أجمل نساء زمانها، ولكنها كانت تنتمي إلى طبقة أخرى غير طبقة ولادة، فقد كانت ولادة فيما هو معروف أميرة من بيت الملك الأموي الأندلسي الذي هو امتداد لملك بني مروان في المشرق، وأمّا مهجة فكان أبوها فيما يذكر ابن سعيد عن صاحب المسهب بائع تين[3]، ولذلك فقد عرفت باسم مهجة بنت التّياني نسبة إلى أبيها التّيان أي بائع

1 د. عبد الله عبد الرزاق السعيد: **الطب ورائداته المسلمات**، ص 94-95. د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ص 189. عمر رضا كحالة: **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، ج5، ص 288.

2 المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص 207. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج8، ص 118.

3 ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج1، ص 143.

التين، ومن ثم فإنّ ولادة قد أعجبت بظرف مهجة، وخفة روحهـا، ورقـة شعرها، فعلقت بها ولزمت تأديبها، ولكن علاقة مهجة بولادة، ما لبثت أن ساءت فقالت فيها هجاءاً فاحشاً[1].

وتوفيت مُهْجَة نحو سنة (490هـ/1097م)[2].

ومهما يكن من أمر فقد أنجبت قرطبة في القرن الخامس، شأنها شأن بقية عواصم الأندلس في عصر ملوك الطوائف شاعرتين عظّم المؤرخون في شـأن كل واحدة منهما، وبخاصة ولادة.

وبرز بعض النساء في الأدب والكتابة، مثل العبادية جاريـة المعتضـد. وكان لبعضهن دور في النشاط اللغوي والنحوي، مثل الأديبة العروضية التي غلب عليها لقب العروض.

1- العبادية جارية المعتضد

اشتهرت العبادية جارية المعتضد وقد أهداها إليه مجاهد العـامري مـن دانية، وعُرفت بالأدب والظرف والمهارة في الكتابة مع العناية باللغة[3].

«وكانت أديبة ظريفة كاتبة ذاكرة لكثير من اللغة فصيحة العبارة لطيفة الإشارة حاضرة الرواية قريبة النادرة لها إلمام تام بضروب الغناء، وكان يميـل إليها المعتضد ميلاً شديداً... ترتجل الشعر والأمثال»[4].

2- إشراق السويداء مولاة عبد الرحمن بن غلبون

إشراق السويداء الأديبة العروضية الفاضلة، مولاة أبـي المطرف عبـد الرحمن بن غلبون (443هـ/1051م) الكاتب (من إمارة بلنسية)، غلب عليها لقب العروض، حتى نُسي اسمها. سكنت بلنسية، وكانت قد أخذت النحـو واللغة عن مولاها المذكور الذي كان معدوداً في علماء اللغة، أخذت علومها

1 المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص 293. ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج1، ص 143.
2 خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج7، ص 311.
3 المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص 283.
4 زينب بنت علي فوّاز: **الدر المنثور**، ج2، ص 113-114.

عن مولاها، وما زالت عاكفة على طلب العلم والقراءة حتى فاقته، وبرعت في النحو واللغة والعروض، وكانت تحفظ الكامل للمبرد والنوادر للقالي وتشرحهما، حتى قال أبو داود سليمان بن نجاح[1]: «أخذت عنها العروض وقرأت عليها النوادر لأبي علي القالي والكامل للمبرد، وكانت تحفظ الكتابين عن ظهر قلب». وكانت إلى جانب حفظها للكتابين المشار إليهما عارفة بمعاني نصوصها وشروح ألفاظها، فكانت تعقد مجلساً للتدريس، وممن أخذ عنها العلامة المقرئ الكبير سليمان بن نجاح. سكنت العروضية بلنسية وتوفيت في دانية بعد سيدها في حدود سنة (450هـ/1058م)[2].

هؤلاء الأديبات، من أهل الخاصة والعامة، برهن على ما أدركته المرأة في تلك الربوع الأندلسية من الاستقلال والاعتماد على النفس، ومزاحمة الأدباء في مختلف المجالات.

فقد كان للنساء في عصر ملوك الطوائف دور كبير في نهضة الأدب، وقد احتفظ لنا التاريخ بأسماء عدد منهن شاركن في النشاط الأدبي، ولعل هذه النهضة الأدبية النسائية تعود إلى عاملين:

1- ما لبعضهن من جمال وفتنة أثارت قرائح الشعراء والأدباء لوصفهن وذكر محاسنهن.

---

1 هو سليمان بن نجاح بن أبي القاسم الأموي بالولاء، الأندلسي، أبو داود، عالم بالتفسير. كان أبوه مولى لصاحب الأندلس المؤيد بالله هشام بن الحكم. وولد هو بقرطبة (سنة 413هـ/1022م) ونشأ فيها، وتنقل بين دانية وبلنسية. له 26 مؤلفاً، منها «البيان في علوم القرآن» و«التبيين لهجاء التنزيل» ست مجلدات اختصره بكتاب «التنزيل في هجاء المصاحف». توفي أبو القاسم سنة 496هـ/1103م. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج3، ص 137.

2 المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص 171. شكيب أرسلان: **الحلل السندسية**، ج3، ص 203. زينب بنت علي فوّاز: **الدر المنثور**، ج2، ص 119-120. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج4، ص 226. عمر رضا كحالة: **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، ج3، ص 260-261. د سعد إسماعيل شلبي: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر**، ص 452. د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**، ص 376.

2- أنّه كان منهن الأديبات اللاتي شاركن في ازدهار الأدب بما أنتجن فيه[1].

وممن يمثلن العامل الأول: ولادة بنت المستكفي، والعبادية جارية المعتضد، واعتماد الرميكية. وممن يمثلن العامل الثاني: ولادة أيضاً ونزهون بنت القلاعي الغرناطية وأم الكرام بنت المعتصم ملك المرية، والغسانية البجانية.

وإنّ من يرجع إلى حياة ولادة في **الذخيرة ونفح الطيب**، ثم يرجع مع ذلك إلى ما روي في **نفح الطيب** عن غيرها من حرائر الأندلس يحس أنّ المرأة الأندلسية لعبت في الأدب الأندلسي دوراً يشبه من بعض الوجوه دور المرأة في الأدب الفرنسي في أثناء القرنين السابع عشر والثامن عشر[2].

خلاصة القول إنّ المرأة طرقت باب الأدب لتثبت وجودها أمام الرجل الذي كان يتّهمها بالضعف والاستكانة، وأنّ عدد الشاعرات في الأندلس قد بلغ على امتداد ثمانية قرون ستين ألفاً، وأنّ القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، المرحلة الوسطى؛ لأنّ اللواتي ظهرْن قبل هذا القرن، كنّ قلّة من حيث العدد. وفي هذا العصر نشطت المجالس الأدبية فكانت النساء المثقفات يُقِمْن المنتديات الأدبية في منازلهنّ، ولم تكن تلك المجالس تخلو من عامل المنافسة بين المتبارين، رجالاً ونساء؛ لأنّ كل أديب أو شاعر كان يحاول أن يعرض مقدرته الأدبية واللغوية ومخزونه الفكري ليسمو على خصمه وينال ثناء الآخرين واحترامهم وتقديرهم. وأبرز تلك المنتديات الندوة الأدبية التي أحْيَتْها ولادة بنت المستكفي في قصرها، وكانت سبب شهرتها؛ وكان يرتادها كبار الشعراء. وحذت شاعرات أخريات حذو ولادة؛ فعقدْن المنتديات الأدبية في منازلهنّ، ولكنها لم تكن بمستوى ندوتها. ومن هذه الندوات الندوة العلمية التي كانت تقيمها حمدة بنت زياد بن بقي العوفي في منزلها؛ فقد كانت تقيمها من أجل التدريس، وليس من أجل المبارز الشعرية.

---

1 أحمد أمين: **ظهر الإسلام**، ج3، ص 228-229.

2 د. شوقي ضيف: **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، ص 440.

كانت ملكة الشعر سليقة تساوى فيها الطرفان؛ الحرة والجارية؛ فقد كانت الجارية «اعتماد» المشهورة بالرميكية والتي أصبحت زوجة المعتمد بن عباد، صاحب إشبيلية، شاعرة ترتجل الشعر ارتجالاً.

لقد عالجت المرأة معظم الأغراض الشعرية، كالمدح، والهجاء، والغزل، ووصف الطبيعة. ففي المدح برعت عائشة بنت أحمد القرطبية التي كانت تمدح ملوك زمانها وتخاطبهم فيما يعرض لها من حاجة؛ فتبلغ ببيانها حيث لا يبلغه كثير من أدباء وقتها، ولا تردّ شفاعتها. وظهرت أم العلاء بنت يوسف الحجارية التي كان مدحها قريباً من الغزل الرقيق.

وفي الهجاء الذي انتشر في أوساط النساء، برزت بعض الشاعرات. فقد هجت ولادة بنت المستكفي ابن زيدون بعد أن ساءت الحال بينهما؛ فنعتتـه بأفحش النعوت. وكذلك هجت الوزير ابن عبدوس، منافس ابن زيدون على قلبها. وحذت حذوها مهجة بنت التيّاني القرطبية؛ فكانت امرأة مستهترة، انقلبت على مؤدبتها ولاّدة وهجتها بهجاء فاحش. ومن الشاعرات الهجاءات أيضاً نزهون بنت القلاعي الغرناطية، وكان بينها وبين الشاعر أبـي بكـر المخزومي عداء دفين، وقد صاغا العديد من القصائد الهجائية.

أمّا **الغزل**، فكان من أرقّ الأنواع الأدبية التي برعت فيها المرأة، وقد اشتهرت فيه أم العلاء بنت يوسف الحجارية شاعرة وادي الحجـارة، وإنّ أم العلاء تعتبر واحدة من أرق شاعرات الأندلس، وهي من أرقّهنّ غزلاً، وأكثر استحياء من غيرها وهي تتغزّل. وممن اشتهرن بالغزل العفيف أم الكرام بنت المعتصم بن صُمادح. كذلك اشتهرت ولادة بنت المستكفي بالغزل، غير أنّ غزلها كان من النوع الإباحي.

أما **شعر الطبيعـة**؛ فقد برعت فيه القلائل من الشاعرات: منهن الشاعرة حمدونة بنت زياد الوادي آشية، وأم العلاء بنت يوسف الحجارية.

الفصل الخامس

إسهام المرأة الأندلسية في العلوم الطبية

المبحث الأول: تألّق الأندلسيين في العلوم الطبية

المبحث الثاني: أشهر الطبيبات الأندلسيات

تألّق الأندلسيين
في العلوم الطبية

تاريخ الطب العربي تاريخ طبيعي يشبه في جوهره تاريخ النهضات العلمية عامة، سوى أنّ خطواته تعاقبت سراعاً. وكان تطوره على مراحل واضحة المعالم قام بها الأطباء العرب طبقة بعد طبقة تبدأ من حيث انتهى علم سبقوها وتزيد فيه. كما برعوا في تركيب عدد من الأدوية وألفوا في ذلك الكتب وكانوا أول من أنشأ فن الصيدلة.

استفادت الأندلس وغربي أوروبا من الطب العربي المشرقي الذي شهد تطوراً بارزاً في المشرق، ثم انتقل بواسطة الأطباء والمؤلفات إلى الأندلس[1].

وكان لعلم الطب منزلته السامية في المجتمع الأندلسي فنجد صدى ذلك في شعر السميسر خلف بن فرج الذي قال:

كل علم ما خلا الشرع   وعلم الطب باطل
غير أنّ الأول الطب   على رأي الأوائل
هل تمام الشرع إلاّ   أن يكون الجسم عامل
فإذا كان عليلاً   بطلت تلك العوامل[2]

وكانت مهنة الطب تمارس إلى جانب القضايا الأخرى أحياناً. لذا نجد أسماء اشتهرت في الفلسفة والأدب لكنهم كانوا يحسبون أطباء أيضاً.

---

1 د. حسّان حلاّق: **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية**، ص 268.

2 ابن بسام: **الذخيرة**، ق1، ح2، ص 892.

نال الأندلسيون تقدماً ملحوظاً في علم في الطب، وأسدوا للإنسانية كثيراً من الجهود الموفقة والإنجازات العلمية القيّمة التي دفعت الطب نحو الأمام. ولا شك أنّ هذا العلم يأتي عند الأندلسيين في مقدمة العلوم التطبيقية من حيث الاهتمام والعناية، ووفرة الإنتاج العلمي. وصنفوا في ذلك تصانيف علمية نفيسة. وإنّ ما بقي من إنتاجهم العلمي لشاهد قوي على عمق عطائهم وعظم مشاركتهم في ازدهارها وتطورها. وعن الأندلس انتقل هذا العلم حيث ترجمت أكثر هذه الكتب إلى اللاتينية.

ويعتبر علم الطب وما يلحق به من علوم أخرى كالصيدلة من أبرز العلوم التي حازت على اهتمام وعناية الأندلسيين. فقد خلف المسلمون في الأندلس ثروة كبيرة في هذا الميدان وجاءوا بأشياء حديثة بعضها لا يزال معمول به حتى اليوم.

وقد كانت للتيارات الثقافية الواردة على الأندلس أثر في النهوض بالطب والرقي بدراساته المختلفة. وكان علم الطب من بين العلوم التي اعتمدت في تطورها وازدهارها على التيار العلمي بين الأندلس والمشرق.

ومنذ بداية عصر الخلافة اتخذت مسيرة الدراسات الطبية أبعاداً جديدة، ففي عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (دخلت الكتب الطبية من المشرق وجميع العلوم، وقامت الهمم وظهر الناس ممن كان في صدر دولته من الأطباء المشهورين). كما ذكر ابن جلجل.

ومن بين كتب الطب التي دخلت الأندلس كتاب «زاد المسافر» لمؤلفه الطبيب القدير أبو جعفر بن الجزار القيرواني، وقد أدخله الأندلس الطبيب عمر بن بريق، وكان لهذا الكتاب تأثير واسع، واعتمد عليه الطبيب الجراح خلف بن عباس الزهراوي[1].

ومثل هذا الازدهار ترجمة بعض الكتب الطبية الأجنبية إلى العربية. وجدير بالذكر أنّ كتاب النباتات الطبية لديسقوريدس، يعد من بين الكتب الهامة التي استفاد منها أطباء وصيادلة الأندلس.

---

1 د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**، ص 456.

فقد أهدى الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع إلى الناصر في عام (337هـ/949م) كتاب ديسقوريدس مصوّر الحشائش بالتصوير الرومي العجيب. وكان الكتاب مكتوباً بالإغريقي الذي هو اليوناني. ووصول هذا الكتاب إلى الأندلس كان بداية طيّبة لاشتغال علماء الأندلس بالطب وحذقهم له وتأليفهم فيه المؤلفات العديدة، والكتاب من حيث موضوعه من كتب الطب الإغريقي الممتازة وقد حوى معظم النباتات الطبية وخواصها وصورها. وبعث معه كتاب هروسيس صاحب القصص، وهو تاريخ للروم عجيب، فيه أخبار الدهور وقصص الملوك الأول، وفوائده عظيمة، وهذا الكتاب مكتوباً باللاتيني. فترجم الكتاب الأول راهب يدعى نقولا سنة (340هـ/951م) بمساعدة بعض علماء الأندلس المبرزين في اللغات قامت بترجمة الكتاب وتوضيح أنواع النباتات التي ذكرت فيه. وكان يومئذ بقرطبة من الأطباء قوم لهم بحث وتفتيش وحرص على استخراج ما جهل من أسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس إلى العربية. وكانت هذه اللجنة العلمية تضم علماء من العرب العارفين بالإغريقية، مثل الفيلسوف الصقلّي أبي عبد الله، وكانت له في الوقت نفسه خبرة واسعة بصنع العقاقير، ومثل الطبيب اليهودي ((حسداي بن شبروط))[1].

وتعد ترجمة كتاب ديسقوريدس في النباتات الطبية واطلاع الأندلسيين عليه تحولاً كبيراً في ازدهار الدراسات الصيدلية.

فقد تُرجم هذا الكتاب في عهد الناصر وبدأ في دراسته (المشتغلون) بالطب في عهده، وزهت الأندلس في أيامه بأعيان الأطباء. ثم اتّسعت دائرة هذا العلم في عهد المستنصر وهشام المؤيد بن المستنصر.

وبرز في ذلك العصر الكثير من الأطباء ممن عنوا بالطب وما يتعلق به من

---

1 ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص 493- 494. علي محمد راضي: **الأندلس والناصر**، ص 76. د. لطفي عبد البديع: **الإسلام في إسبانيا**، ص 58. آنخل بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص 463. خوان فيرنيه: «**العلوم الفيزياوية والطبيعية والتقنية في الأندلس**»، في كتاب: د. سلمى الخضراء الجيوسي: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ج2، ص 1300.

دراسات مختلفة، كدراسة النباتات الطبية وتركيب الأدوية مما يدخل تحت مسمى «الصيدلة».

ولقد أصاب علم الصيدلة في الأندلس كما ذكرنا تطوراً عظيماً بفضل النص العربي لكتاب ديسقوريدس الذي أعدّه أطباء قرطبة في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، في حين ترجم كتاباً لابن وافد في العلاج بالحمّامات والينابيع الطبية والعقاقير النباتية المفردة إلى اللغة اللاتينية بعنوان: «*De Balneis*» وإلى اللغة القطلونية بعنوان: «كتاب العقاقير المفردة» (*Libre de les medicines particulars*)، وفي هذا الكتاب الأخير، ثمرة عقدين من العمل والجهد، اقتفى ابن وافد خطى ديسقوريدس وجالينوس وجمع في الوقت ذاته ملاحظاته الخاصة التي قادته إلى تفصيل استعمال العقاقير المفردة على المركبة، أو إلى الاستغناء عن هذه بالكامل، كلما أمكن ذلك، والاكتفاء بالعلاج بواسطة نظم التغذية (الحمية) التي ثبتت فائدتها جيداً[1].

وازدادت العناية بدراسة الطب والصيدلة في **عصر ملوك الطوائف** وحقق الأندلسيون آنذاك نتائج علمية رائعة بما ألفوه من روائع التآليف في الطب والصيدلة التي ضمّنوها جهودهم وأعمالهم. وقد شهد هذا العصر نبوغ عدد من مشاهير الأطباء والصيادلة منهم: **عمرو بن عبد الرحمن الكرماني**[2]،

---

1 خوان فيرنيه: «**العلوم الفيزياوية والطبيعية والتقنية في الأندلس**»، في كتاب: د. سلمى الخضراء الجيوسي: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ج2، ص 1305.

2 هو أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن بن علي الكرماني، من أهل قرطبة، ولد سنة 368هـ/978م. وكان هذا العلامة موسوعياً، فهو جرّاح، عالم بالطب وفيلسوف ورياضي ومهندس، ولكنه اشتهر أكثر بمعرفته الواسعة بالهندسة والطب خاصة، فقد أبدى مهارة فائقة في ميدان الجراحة الطبية. وكان أبو الحكم قد أفاد في حياته العلمية من علماء وطنه في قرطبة وغيرها ثم شد رحاله نحو المشرق لينهل مزيداً من العلم والمعرفة فقصد حران من بلاد الجزيرة، حيث توفر بها على دراسة الطب والهندسة حتى تضلع منهما، ثم رجع إلى الأندلس واستوطن مدينة سرقسطة عاصمة بني هود، وفيها بث علومه ومعارفه بين تلاميذه ومن قصده من العلماء. وهو أول من حمل رسائل «إخوان الصفا» إلى الأندلس، أتى بها من المشرق، ولم تكن قبله معروفة هنالك. وكان متميّزاً في صناعة الطب، ولا سيما الكيّ والقطع والشق والبط، وغير ذلك من أعمال

الصناعة الطبية. وتوفي أبو الحكم الكرماني بسرقسطة سنة 458هـ/1066م وقد بلغ تسعين سنة أو جاوزها بقليل.

ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ص 484-485. صاعد الطليطلي: **طبقات الأمم**، ص 109-110. القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 162. عمر رضا كحالة: **العلوم البحتة في العصور الإسلامية**، ص 45.

1 هو الطبيب والصيدلي المشهور الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم بن وافد اللخمي الطليطلي (398-460هـ/1007-1067م) من أشراف أهل الأندلس، وكان وزيراً لابن ذي النون صاحب طليطلة. وكان نبوغه منصباً على معرفة الأدوية وخصائصها، فمهر في هذا العلم حتى بز غيره من العلماء وفاقهم. كان ابن وافد متحققاً بعلم الطب والعلاج، وكان له طرائق ومناهج ابتدعها في العلاج الطبي وشفاء المرضى، فكان يستعمل الأغذية ما أمكنه ذلك، كثير التركيز على هذا الجانب ويقدمه على جانب المعالجة الدوائية، فإنّ اضطر إلى العلاج بالأدوية قصد إلى المفرد منها دون المركب الذي يحوي في تركيبه عدة نباتات أو وصفات مختلفة، فإن رأى أن لا مناص من التركيب عمد إلى أخفه وأيسره تركيباً. وبلغ من منزلة ابن وافد العلمية ونبوغه أن اعترف له علماء عصره بالإمامة في ذلك وصحة النظر وجودة القريحة ونفاسة الإنتاج في ميداني الطب والصيدلة. ولابن وافد كتب كثيرة في الأدوية والتجارب الطبية وطب العيون والصيدلة وما إلى ذلك، نذكر منها كتاب «الأدوية المفردة» وكتاب «تدقيق النظر في علل حاسة البصر» وكتاب «الوساد» في الطب، وكتاب «مجربات في الطب» وكتاب «المغيث». وجدير بالذكر أنّ كتاب ابن وافد في الأدوية المفردة لقي قبولاً عظيماً من الأطباء آنذاك ومن أتى بعدهم أيضاً، وقد اعتمد عليه الأوروبيون في معرفة الكثير من علوم الصيدلة وأنواع الأدوية فترجم إلى اللاتينية والعبرية والقطلانية. وبعد هذا فلا عجب أن يوصف ابن وافد بأنه مؤسس علم الصيدلة الحديث.

صاعد الطليطلي: **طبقات الأمم**، ص 128. القفطي: **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، ص 152- 226. ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص 496. المقري: **نفح الطيب**، ج3، ص 377. عمر رضا كحالة: **العلوم البحتة في العصور الإسلامية**، ص 312. د. علي الدفاع: **إسهام علماء العرب والمسلمين في علم النبات**، ص 178-179-181. د. لطفي عبد البديع: **الإسلام في إسبانيا**، ص 59. د. محمد إبراهيم الفيّومي: **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس**، ص 461-462. القاضي عياض: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، ج4، ص 671. حكمت نجيب: **دراسات في تاريخ العلوم عند العرب**، ص 342. آنخل بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص 468.

2 هو أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الداني، حكيم أديب، من أهل «دانية» بالأندلس. ولد فيها سنة (460هـ/1068م). كان من أهل التفنن والإحاطة بعدد من العلوم التطبيقية

لقد برز في الأندلس الكثير من الأطباء، وكان في مقدمتهم بنو زهر. وقد لقيت هذه الأسرة الجليلة ثناء العلماء المؤرخين ليس في الأندلس فحسب بل في المشرق أيضاً.

ومن الذين كانت لهم اليد الطولى في نقل كتب النبات والأدوية المفردة إلى اللسان العربي في عهد ملوك الطوائف: **أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكري** المرسي الأندلسي المتوفى سنة (487هـ/1094م). فقد كان البكري موسوعياً في مادته العلمية؛ فلم يقتصر على الأدب والجغرافيا، بل تعدى ذلك إلى معرفة الأدوية المفردة وقواها ومنافعها، وما إلى ذلك. كان فاضلاً في معرفة الأدوية المفردة وقواها ومنافعها وأسمائها ونعوتها وما يتعلق بها. من آثاره: «كتاب أعيان النَّباتات والشَّجريات الأندلسية»، وقد نقل ابن البيطار عنه في كتاب الجامع نقولاً كثيرة[1].

وعلى رأسها الطب والصيدلة، حتى إنّه بلغ في صناعة الطب مبلغاً لم يصل إليه غيره من الأطباء. ورحل إلى المشرق في حدود سنة (510هـ/1116م)، فأقام بمصر عشرين عاماً، سجن في خلالها، ونفاه الأفضل شاهنشاه منها، فرحل إلى الإسكندرية، ثم انتقل إلى المهدية (من أعمال المغرب) فاتصل بأميرها يحيى بن تميم الصنهاجي (ت 509هـ/1116م)، وابنه عليّ بن يحيى (ت 515هـ/1121م)، فالحسن بن يحيى آخر ملوك الصُّنهاجيين بها. ومات فيها سنة (529هـ/1135م). وخلف أبو الصلت أمية كتباً في الطب منها «الانتصار لحنين بن إسحق على ابن رضوان لنفيه ما ورد في كتاب المسائل لحنين» وكتاب «الأدوية المفردة على ترتيب الأعضاء المتشابهة الأجزاء الأولية» وهو مختصر قد رتبه أحسن ترتيب. وله أيضاً «الرسالة المصرية» ذكر فيها ما رآه في ديار مصر من هيئتها وآثارها، ومن اجتمع بهم فيها من الأطباء والمنجمين والشعراء وغيرهم من أهل الأدب، وألف هذه الرسالة لأبي الطاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس. ومن تصانيفه أيضاً «الحديقة» و«رسالة العمل بالاسطرلاب» و«الوجيز» في علم الهيأة، و«كتاب في الهندسة».

ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص 502-514-515. ابن الأبار: **تكملة الصلة**، ج1، ص 203-204. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج2، ص 23. ياقوت: **معجم الأدباء**، ج7، ص 64. عمر رضا كحالة: **العلوم البحتة في العصور الإسلامية**، ص 52. د. محمد إبراهيم الفَيّومي: **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس**، ص 456-457. د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**، ص 468.

1 عمر رضا كحّالة: **العلوم البحتة في العصور الإسلامية**، ص 300. عبد الله يوسف الغنيم: مصادر البكري ومنهجه الجغرافي، ص 22.

وكان الشريف الإدريسي (ت 560هـ/1165م) شيخ الجغرافيين المسلمين صيدلياً، عالماً بالنبات، وله كتاب «الجامع لصفات أشتات النبات» استفاد منه ابن البيطار[1].

1 خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج7، ص 24. د.مصطفى الشكعة: **المغرب والأندلس**، ص 205-206-207.

المبحث الثاني

أشهر الطبيبات الأندلسيات

ولم يقتصر النبوغ في الطب على الرجال فقط، فلقد نبغ من النساء عدد غير قليل. وكانت للنساء الأندلسيات مشاركة في هذا العلم، حتى أنّ نساء الملوك كنّ في غنى عن الأطباء بالطبيبات. فكان بعض النساء يتخصصن أحياناً، في أمراض النساء؛ وكانت الطبيبة تدعى في حالات الولادة الصعبة؛ وتأخذ أجراً عالياً لقاء خدماتها.

فمن هؤلاء الطبيبات الشهيرات نذكر:

1- أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطّنجالي

وأم الحسن وبعض المؤرخين يلفظها أم الحُسْن ترعرعت في مدينة بالأندلس تُدعى لَوْشَة[1]. شاعرة أديبة نشأت في حجر أبيها ودرسها الطب ففهمت أغراضه، وعلمت أسبابه وأغراضه، فكانت تشارك في هذا العلم[2].

كان صوت أم الحسن رخيماً فتقرأ القرآن الكريم بصوت حسن وتجوده[3].

---

1 لَوْشَة: بالأندلس من أقاليم إلبيرة، بينهما ثلاثون ميلاً، وبها غار يُصْعَد إليه. وهي قرية من مدينة قرطبة وتبعد عنها حوالي عشرين فرسخاً وتقع على نهر غرناطة المسمى نهر سَنْجَل.

الحِمْيَري: **صلة جزيرة الأندلس**، ص 173. د. عبد الله عبد الرزاق السعيد: **الطب وروائداته المسلمات**، ص 93.

2 عمر رضا كحالة: **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، ج1، ص 219. د. عبد الله عبد الرزاق السعيد: **الطب وروائداته المسلمات**، ص 93.

3 د. عبد الله عبد الرزاق السعيد: **الطب وروائداته المسلمات**، ص 94.

وكانت شاعرة وأديبة مرموقة يتوجه إليها ذو الشهرة والمعرفة لمطالعة أخبارها، وكانوا يعجبون بأدبها ونظمها ولسانها[1].

وقال لسان الدين ابن الخطيب عنها: «ثالثة حمدة وولادة، وفاضلة الأدب والمجادة، تقلدت المحاسن من قبل ولادة، وولدت إبكار الأفكار قبل سن الولادة»[2].

وترجم ابن الخطيب لعبد الله بن يوسف بن رضوان النّجاري المالقي، وقال إنّه روى عن الخطيب المحدّث أبي جعفر بن يوسف الهاشمي الطّنجالي. ومعنى ذلك أن ابنة هذا الأخير، أم الحسن الطنجالي، كانت في عصر بني الأحمر، وبالتحديد في زمان ابن الخطيب بغرناطة[3].

2- طبيبات بني زهر

زهر أسرة أندلسية، شريفة عريقة ذات مجد وشهرة عظيمة في العلوم الطبية، وبنوها متبحرون بشتى العلوم كالفقه والأدب واللغة والحديث وخصوصاً العلوم الطبية سواء كانوا نساء أو رجالاً[4].

توطدت هذه الأسرة العريقة بالطب في مدينة إشبيلية في الأندلس واشتهر رجالها ونساؤها بصناعة الطب في الفترة الواقعة بين القرن الحادي عشر والثالث عشر الميلادي[5].

وأنجبت هذه الأسرة عدداً من مشاهير الأطباء خلال ستة أجيال متتابعة، توارثت العلم ابناً عن أب، وقد استوطنت إشبيلية القاعدة الأندلسية الشهيرة مقر ملك بني عباد وكان هذا الانتقال من دانية إلى إشبيلية على يد الشيخ

---

1 د. عبد الله عبد الرزاق السعيد: **الطب ورائداته المسلمات**، ص 93.

2 د. عبد الله عبد الرزاق السعيد: **الطب ورائداته المسلمات**، ص 94. عمر رضا كحالة: **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، ج1، ص 219.

3 عائدة محمد خالد: **المرأة في الأندلس**، ص 171.

4 د. عبد الله عبد الرزاق السعيد: **الطب ورائداته المسلمات**، ص 96.

5 د. عبد الله عبد الرزاق السعيد: **الطب ورائداته المسلمات**، ص 96. د. محمد كامل حسين: **الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب**، ج1، ص 264.

الطبيب أبـي العلاء زهر[1]. وكانت هذه الأسرة من أعيان إشبيلية نجوماً في سماء الطب والعلاجات بالأندلس[2].

1 هو أبو العلاء زهر بن أبـي مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهـر، فيلسـوف طبيب، أندلسي من أهل إشبيلية. نشأ في شرق الأندلس، وسكن قرطبة. كان ثالث سلالة الأطباء الإشبيليين المنحدرين من القبيلة العربية أياد. اشتغل بالحديث والأدب، وهو حسن التصنيف جيد التأليف، ثم أقبل على الطب. واشتهر في تشخيص الأمراض، وكان موصفاً بالذكاء وسعة الأفق والمعرفة الواسعة بالطب، وله علاجات مختارة تدل علـى قوتـه في صناعة الطب واطلاعه على دقائقها. ونظراً لشهرة أبـي العلاء وذياع صـيته في أنحـاء الأندلس، فقد سعى المعتمد بن عباد إلى استمالته إبان دخول يوسف بن تاشفين الأندلس لنصرة ملوك الطوائف. وكان أبو العلاء قد انضم إلى المجاهدين لقتال ألفونسو السـادس، وهناك تعرف عليه المعتمد واستدعاه للعمل في بلاطه في إشبيلية ووافق أبو العلاء وأقـام فترة من الزمن، ثم استأذن المعتمد في العودة إلى مسقط رأسه «دانية» فأذن له ولم يعد إلى إشبيلية إلا بعد زوال سلطان المعتمد فدخل في طاعة المرابطين وعمل في خدمتهم، وحظي في أيامهم، ونال المنزلة الرفيعة والذكر الجميل. ونكب أبو العلاء في آخر عمره بقرطبـة، وتوفي بها سنة 525هـ/1131م وحمل إلى إشبيلية. وخلف أبو العلاء آثاراً وتصانيف في الطب، منها كتاب «الخواص» و«الأدوية المفردة» لم يكمله، ومقالة في الرد على أبـي علي بن سينا في مواضع من كتابه «الأدوية المفردة»، ألفها لابنه أبـي مروان، وكتـاب «النكت الطبية» ألفه لابنه أبـي مروان أيضاً، وكتاب «حل شكوك الرازي على كتاب جالينوس»، وله كتاب «الإيضاح بشواهد الافتضاح في الرد على ابن رضوان فيمـا رده على حنين بن إسحق في كتاب المدخل إلى الطب».

ابن أبـي أصيبعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ص 517-518- 519. ابن بسام: **الذخيرة**، ق2، ج1، ص 220. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج3، ص 50. د. عبد الله عبد الرزاق السعيد: **الطب ورائداته المسلمات**، ص 98-99. محمود ديـاب: **الطـب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية**، ص 343. د. عمر رضا كحالة: **العلوم العمليـة في العصور الإسلامية**، ص 52. د. محمد إبراهيم الفيّومي: **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس**، ص 463. محمد الصادق عفيفي: **تطوّر الفكر العلمي عند المسلمين**، ص 200. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**، ص 471. خوان فيرنيه: «**العلوم الفيزياوية والطبيعية والتقنية في الأندلس**»، في كتاب: د. سلمى الخضراء الجيوسي: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ج2، ص 1305. د. حسّان حلاّق: **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية**، ص 268.

2 د. لطفي عبد البديع: **الإسلام في إسبانيا**، ص 59. د. حسّان حلاّق: **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية**، ص 268. د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**، ص 470.

ومن طبيباتها النساء النابغات الشهيرات التي ظهرن في الأندلس بعد عصر ملوك الطوائف شقيقة الحفيد أبو بكر بن زهر[1]، الطبيب الشهير الملقب بالحفيد وهو أبو بكر محمد بن أبي مروان بن أبي العلاء بن زهر. وكذلك ابنة شقيقته تلك، وكانتا عالمتين بصناعة الطب والمداواة، ولهما خبرة جيدة بما يتعلق بمداواة النساء والولادة. وكانتا تدخلان إلى نساء المنصور أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، ولا يُقْبَلُ لمداواة أهل المنصور سواهما. ونالت أخت الحفيد وابنتها سمعة مرموقة في علاجهما للمرضى وخاصة النساء[2].

---

1 هو محمد بن عبد الملك بن زهر الإيادي أبو بكر، من نوابغ الطب والأدب في الأندلس. ولد بإشبيلية (سنة 507هـ/1113م)، وخدم دولتي الملثمين والموحدين. ولم يكن في زمنه أعلم منه بصناعة الطب، أخذها عن أبيه. وعرف بالحفيد ابن زهر. توفي سنة 595هـ/1199م. له «الترياق الخمسيني» في الطب، ورسالة في «طب العيون» وشعر رقيق، وموشحات انفرد في عصره بإجادة نظمها. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج6، ص 250.

2 ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ص 524. قدري حافظ طوقان: **العلوم عند العرب**، ص 19. د. أحمد شلبي: **التربية الإسلامية**، ص 348. د. عبد الله عبد الرزاق السعيد: **الطب ورائداته المسلمات**، ص 96-97.

الخاتمة والاستنتاجات

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذه خاتمة البحث، وقد تضمنت النتائج المنبثقة عن دراستنا لموضوع «إسهام المرأة الأندلسية في النشاط العلمي في الأندلس عصر ملوك الطوائف».

بلغ العلم في عصر ملوك الطوائف أوْج نشاطه وشهد ظهور نوابغ العلم، ليس على مستوى الأندلس فحسب بل على مستوى العالم الإسلامي أيضاً. كان الأندلسيون في عصر ملوك الطوائف على قدر عظيم من الحضارة والمدنيّة والرقي الفكري، وكانوا بوضعهم ذلك يمثلون شمساً مشرقة سطعت أشعتها فأنارت للشعوب المتخلفة في أوروبا طريق الحضارة والمدنية.

وكان لتعدد المراكز الحضارية في عهد ملوك الطوائف وتنافس الملوك على العلوم أثره في الازدهار العلمي. ونجم عن تعدد الحكومات والزعامات السياسية في عهد ملوك الطوائف نزعات عميقة نحو الظهور بمظهر القيادة، والتألّق في شتى ميادين الحضارة. والتنافس فيما بينهم في النواحي الحضارية كل ذلك أدّى إلى نهضة العلوم والآداب. وكان من أثر ذلك التنافس بين ملوك الطوائف في تقريب النابغين من العلماء أن غلب على كل بلاط من بلاطاتهم لون من ألوان العلم والأدب.

فاجتذبوا العلماء إلى بلاطاتهم وعملوا على تشجيعهم ورعايتهم وكانوا يفاخر بعضهم بعضاً بما يضمه بلاط كل منهم من أهل العلم والأدب،

ويعتقدون أنّهم أحسن دعاية لهم. فكان لاهتمام ملوك الطوائف بالأدب والعلم وتشجيعهم للعلماء والأدباء أكبر الأثر في ازدهار الحركة العلمية والأدبية في هذا العصر.

وعندما بلغت الحضارة العربية ذروتها في الأندلس، انعكس الازدهار الفني والفكري على المرأة العربية الأندلسية. وهذا ما حدث فعلاً لأنّها تعلّمت وعلّمت، فلقد نالت المرأة المسلمة في الأندلس ثقافة عميقة. لقد بلغت المرأة الأندلسية أوج مجدها وبرهنت عن مقدرتها، مما يدل على المكانة السامية التي احتلتها يومئذ في المجتمع.

تمتعت المرأة الأندلسية بمكانة عظيمة في المجتمع. فكانت انطلاقتها في المجتمع الأندلسي أوسع مما كانت عليه في البلدان العربية والإسلامية الأخرى. وكانت مكانة المرأة في الأندلس تختلف باختلاف المناطق والبيئات. وتدخلت بعض هؤلاء النسوة في شئون الدولة، وساهمت في السلطة إلى جانب زوجها.

وكثرت الجواري في بلاطات ملوك الطوائف، وكان هؤلاء الملوك يتنافسون في اقتناء الموهوبات منهنّ. ولقد تزوّج الملوك الأندلسيون منهن، وكان من آثار ذلك على الأقل أنّ التاريخ حفظ لنا أسماءهن. وزادت العناية بتهذيبهنّ وثقافتهنّ، وكان لهن شهرة ذائعة في الأدب والشعر. ولقد كان نفوذ الجواري كبيراً جداً؛ لأنّهنّ تدخلن فعلياً في الحكم. ولقد أثرت الجواري، في قلب الحياة الأندلسية في نهاية القرن العاشر والقرن الحادي عشر الميلاديين. فقد كثرت الجواري في هذا العصر، وقد حاولت بعض الحرائر تقليدهن.

وكانت النساء في الأندلس أكثر تحرراً منهن في بقية البلدان الإسلامية. لقد حظيت المرأة في نهاية عصر الخلافة بحرية واسعة. وقد انتشرت ظاهرة الحرية بين نساء العائلات الأرستقراطية، وعلى الخصوص بين تلك التي تولّت مقاليد الحكم.

وكانت المرأة الأندلسية في عصر ملوك الطوائف أكثر تحرراً عن العصور السابقة. فلقد منح عصر ملوك الطوائف المرأة الحرية المطلقة، إبان ضعف

الوازع الديني. فسادت نزعة التحرر، وأسفرت المرأة. ولقد كان لبعض النساء منتديات أدبية يؤمها الرجال والنساء على حدّ سواء. وإنّ شعرهن دليلاً على المستوى من التحرر الذي تمتعت به.

وإنّ أكثر ما يلفت نظرنا في الحضارة الإسلامية في الأندلس، ما تميّزت به المرأة من **ثقافة عظيمة**. وقد حفلت الأندلس بنهضة نسائية عارمة منذ عهد ملوك الطوائف. فقد تلقت المرأة الأندلسية في هذا العصر نصيباً وافراً من العلم والمعرفة. وقد شاركت الرجل في عصر ملوك الطوائف في مجال التربية والتعليم. وشغفت النساء المثقفات كذلك بجمع الكتب وإنشاء المكتبات. وكانت للنساء الأندلسيات مشاركة في مختلف العلوم والفنون، وفي الأحداث الثقافية والفكرية لعصرهنّ.

فكان للمرأة الأندلسية إسهام في العلوم الدينية، وقد بلغت المرأة الأندلسية مكانة عالية في مجال الفقه والتفسير والقراءات. وفي عصر ملوك الطوائف ازداد عدد النساء التي كانت لهنّ مشاركة في هذه العلوم. فقد أسهمن في ازدهار علم الفقه وتعليمه لبنات جنسهن. وكان لهن مشاركة في نشاط الدراسات المتعلقة بالحديث وعلومه، وفي ازدهار علم القراءات.

وكان **للمرأة الأندلسية إسهام أيضاً في الحركة الأدبية واللغوية**، وإنّ مساهمة المرأة في الثقافة كانت تبرز في مجالات الأدب من شعر وإنشاء، ومناظرات أكثر من غيرها من العلوم. وكان طرْقُ المرأة الأندلسية باب الأدب محاولة أخرى من محاولات تثبيت الوجود أمام الرجل وأمام المجتمع.

وفي عصر ملوك الطوائف برزت أسماء سيّدات متأدّبات كنّ يتردّدن على المنتديات الأدبية. ولقد تحول بيوت بعضهنّ إلى أندية تجمع رجال الأدب والعلم، لرواية الشعر والأدب والأخبار.

ولقد أثبتت المرأة الأندلسية القدرة على قول الشعر، وبرهنت على أنّها تمتلك موهبة لا تقلّ عن موهبة الرجل من حيث القدرة على العطاء. وقد حفل عصر ملوك الطوائف بالشاعرات وكان لكل دولة شاعراها التي اختصت بها. وبرزت أسماء شاعرات كنّ في كثير من الحالات نظيرات

للرجال المعاصرين لهنّ، وربّما كان لهنّ التفوّق عليهم. ولقد أسهمت شاعرات الأندلس في دفع موكب الشعر أشواطاً نحو الرقي والتقدم. وإنّ شعرهنّ يتراوح بين الجد والمحافظة وبين الانطلاق والتحرر.

ولقد عالجت المرأة الأندلسية معظم الأغراض الشعرية، كالمدح، والهجاء، والغزل، ووصف الطبيعة. فقد شاركت المرأة الرجل في هذا العصر بالمديح. وإن قصائد المديح التي صاغتْها الشاعرات هي لون من ألوان البراعة الفنية، والرغبة في التفوق على الأقران من الشعراء.

وقد سلكت شاعرات الأندلس في عصر ملوك الطوائف **اتجاه الهجاء**، واعتبرن التهكّم وسيلة من أفضل وسائل الهجاء.

ونلاحظ أنّ ظاهرة جريئة تبرز في شعرهنّ، وهي ظاهرة التغزّل بالرجل، فقد اعتدنا أن نقرأ ونسمع رجلاً يتغزّل بامرأة. فمنهنّ تحفّظن في غزلهنّ وتعفّفن، مثل أم العلاء بنت يوسف الحجارية، وأم الكرام بنت المعتصم بن صُمادح. ومنهنّ جاهرْن بحبِّهن وذهبْن إلى غاية من الجرأة والتطرف والمجون، مثل ولادة، ونزهون الغرناطية.

ولقد تفنّنت الشاعرة الأندلسية في **وصف الطبيعة** حتى فاقت زميلتها المشرقية. فصاغتْ أجمل القصائد وأرق التعابير. وقد اشتهر في هذا الغرض الشعري عدد من الشاعرات، كما **برز بعض النساء في الأدب والكتابة**. وإنّ هؤلاء الأديبات، برهن على ما أدركته المرأة في الأندلس من الاستقلال والاعتماد على النفس، ومزاحمة الأدباء في مختلف المجالات. ومما يجدر بالذكر أنّ جولات المرأة العربية في ميدان الأدب، هي التي خلدها في الأندلس.

وازدادت العناية بدراسة **الطب والصيدلة** في عصر ملوك الطوائف والعصور التي تلاه. وكانت للنساء الأندلسيات إسهام في هذا العلم، حتى أنّ نساء الملوك كنّ في غنى عن الأطباء بالطبيبات. وكان بعض النساء يتخصصن أحياناً، في أمراض النساء.

وإنّ حياة المرأة تتأثر دائماً بعوامل الازدهار أو الانحطاط التي تطبع الجو الذي تعيش فيه، وهذا هو سبب تميّز المرأة الأندلسية. فامتازت

الكثيرات من النساء بمضاء الذكاء، وسعة التفكير، وبُعْد النظر؛ فشاع صيتهنّ في سائر الأنحاء، وطبقت شهرتهنّ الآفاق.

ولقد وجدت المرأة في الأندلس التشجيع والتقدير، والحافز على استكمال شخصيتها. فشاركت في النهضة الثقافية في عصرها. وتضافرت في عصر ملوك الطوائف جميع عناصر التشجيع لتحفيزها على العطاء. فازدادت مشاركتها في الثقافة والعلوم وأدّى ذلك إلى ازدياد الازدهار العلمي في هذا العصر.

فنجد أنّ المرأة الأندلسية قد وجدت في الأندلس منطلقاً عظيماً لمواهبها، وحافزاً على استكمال شخصيتها، بل إطاراً مشوقاً للإبداع في ظلالها.

والله أسأل أن يعيد للعرب والمسلمين سابق مجدهم وعزّهم وسبقهم، وهو على كل شيء قدير.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

1- ابن الأبّار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القُضاعي (658هـ/1260م): **التكملة لكتاب الصلة** 2ج، شرحه وصححه حسين عزت العطار الحسيني، مصر: القاهرة، مطبعة السعادة، 1955م.

2- ابن الأبّار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القُضاعي (658هـ/1260م): **الحلّة السيراء** 2ج، حققه د.حسين مؤنس، الطبعة الأولى، مصر: القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1963.

3- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (ت 668هـ/1270م): **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، شرح وتحقيق د. نزار رضا، لبنان: بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، 1965.

4- ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني الأندلسي (ت 542هـ/1147م): **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق د. إحسان عباس، لبنان: بيروت، دار الثقافة، 1399هـ/1979م.

5- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت 578هـ/1183م): **الصلة في تاريخ علماء الأندلس**، قدّم له وضبطه وشرحه د. صلاح الدين الهوّاري، الطبعة الأولى صيدا – بيروت، المكتبة العصرية، 1423هـ/2003م.

6- ابن حزم، علي بن أحمد (ت 456هـ/1064م): **طوق الحمامة في الألفة والألّاف**، تحقيق إحسان عباس، لبنان: بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993.

7- ابن الخطيب، لسان الدين (ت 776هـ/1374م): **الإحاطة في أخبار غرناطة** 4ج، تحقيق محمد عبد الله عنان، مصر: القاهرة، مكتبة الخانجي، ج1، الطبعة الثانية، 1395هـ، الأجزاء الثلاثة الأخرى، الطبعة الأولى، 1393هـ.
8- ابن الخطيب، لسان الدين (ت 776هـ/1374م): **تاريخ إسبانيا الإسلامية (أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام)**، تحقيق ليفي بروفنسال، الطبعة الثانية، لبنان: بيروت، دار المكشوف، 1956م.
9- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت 681هـ/1282م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** 5ج، تحقيق د. يوسف علي الطويل، د. مريم قاسم طويل، لبنان: بيروت، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، (1419هـ/1998م).
10- ابن سعيد المغربي، علي بن موسى بن محمد (ت 685هـ/1286م): **المغرب في حلى المغرب** 2ج، تحقيق وتعليق د. شوقي ضيف، الطبعة الثانية، مصر: القاهرة، دار المعارف، 1964م.
11- ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد (ت 403هـ/1013م): **تاريخ علماء الأندلس** 2ج، مصر: القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966.
12- ابن منظور، الإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت 711هـ/1311م): **لسان العرب** 15ج، الطبعة الثالثة، لبنان: بيروت، دار صادر، 1414هـ/1994م.
13- ابن النديم، محمد بن إسحاق (367هـ/977م): **الفهرست**، مصر: القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى.
14- الحميدي، الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي نصر (ت 488هـ/1095م): **جذوة المقتبس**، تحقيق د. روحيّة عبد الرحمن السويفي، الطبعة الأولى، لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، 1417هـ/1997م.

15- الحِمْيَري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت حوالي 710هـ): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق د.إحسان عباس، لبنان: بيروت، مكتبة لبنان، 1975م.
16- الحِمْيَري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت حوالي 710هـ): **صفة جزيرة الأندلس**، الطبعة الثانية، لبنان: بيروت، دار الجيل، 1408هـ/1988م.
17- صاعد الطليطلي، القاضي أبي قاسم ابن أحمد، (ت 462هـ/1070م): **طبقات الأمم**، مصر: القاهرة، مطبعة السعادة.
18- الضَّبي، أحمد بن يحيى (ت 599هـ/1203م): **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تحقيق د. روحيّة عبد الرحمن السويفي، الطبعة الأولى، لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، 1417هـ/1997م.
19- عياض، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى (ت 544هـ/1149م): **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك 4ج**، تحقيق د. أحمد بكير محمود، لبنان: بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة.
20- الفتح بن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان (ت 529هـ/1135م): **مَطمَحُ الأنفُس ومسرح التّأنس في مُلَح أهلِ الأندلس**، تحقيق هدى شوكت بهنام، الطبعة الأولى، لبنان: بيروت، دار الغصون، (1409هـ/1989م).
21- القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (ت 646هـ/1248م): **المُحمدون من الشعراء 2ج**، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه محمد عبد الستار ام، لنيل شهادة الدكتوراه من الجامعة العثمانية، تحت مراقبة د. محمد عبد المعيد خان أستاذ الآداب العربية بالجامعة العثمانية ومدير دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن- الهند، (1387هـ/1967م).

22- المَرَّاكُشي، عبد الواحد (ت 647هـ/1250م): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، (1383هـ-1963م).
23- المَقْدِسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 380هـ/990م): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، طبع بمدينة ليون بمطبعة بريل، 1906م.
24- المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/1631م): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب 8ج**، حققه د.إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1388هـ/1968.
25- النُّباهي المالقي، علي بن عبد الله بن محمد بن محمد بن الحسن (ت بعد 792هـ/بعد 1390م): **تاريخ قضاة الأندلس، وسمّاه المرقبا العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، الطبعة الأولى، مصر: القاهرة، دار الكاتب المصري، 1948م.
26- ياقوت الحموي، الإمام شهاب الدين أبي عبد الله (ت 626هـ/1229م): **معجم الأدباء 20ج**، الطبعة الثالثة، لبنان: بيروت، دار الفكر، 1400هـ/1980م.
27- ياقوت الحموي، الإمام شهاب الدين أبي عبد الله (ت 626هـ/1229م): **معجم البلدان 5ج**، تحقيق فريدة عبد العزيز الجندي، لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، (1413هـ/1992م).

ثانياً: المراجع العربيّة والمعرّبة

28- آنخل بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة د. حسين مؤنس، الطبعة الأولى، مصر: القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1955م.
29- د. إحسان عباس، **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين**، الطبعة السادسة، لبنان: بيروت، دار الثقافة، 1981.
30- أحمد أمين: **ظهر الإسلام 4ج**، الطبعة الخامسة، لبنان: بيروت، دار الكتاب العربي، (1388هـ/1969م).

31- د. أحمد شلبـــي: **التربية الإسلامية نظمها فلســفتها تاريخهـــا**، الطبعـــة السادسة، مصر: القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1978م.

32- جاك ريسلر: **الحضارة العربية**، ترجمة خليل أحمد خليل، لبنان: بيروت، منشورات عويدات، 1993م.

33- د. حسّان حلاّق: **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية**، الطبعة الأولى، لبنان: بيروت، دار النهضة العربية، 1409هـ/1989م.

34- د. حسّان حلاّق: **مقدمة في تاريخ العلوم والتكنولوجيا**، لبنان: بيروت، الدار الجامعية، 1990.

35- د. حسن الوراكلي: **ياقوتة الأندلس**، لبنـــان: بـــيروت، دار الغـــرب الإسلامي، 1994.

36- حكمت نجيب: **دراسات في تاريخ العلوم عند العـــرب**، وزارة التعلـــيم العالي والبحث العلمي جامعة الموصل، 1397هـ/1977م.

37- د. خليل إبراهيم السامرائي، د. عبد الواحد ذنّون طه، د. ناطق صـــالح مطلوب: **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، الطبعة الأولى، لبنـــان: بيروت، دار الكتاب الجديد، 2000م.

38- خير الدين الزركلي: **الأعلام (قاموس تراجم)** 8ج، الطبعـــة العاشـــرة، لبنان: بيروت، دار العلم للملايين، 1992م.

39- زينب بنت علي فوّاز (ت 1332هـ/1914م): **الدُّرُّ المنثـــور في طبقـــات ربّات الخدور** 2ج، الطبعة الأولى، لبنان: بيروت، دار الكتب العلميـــة، (1420هـ/1999م).

40- د. سعد إسماعيل شلبـــي، **البيئة الأندلسية وأثرهـــا في الشـــعر (عصـــر ملوك الطوائـــف)**، مصـــر: القـــاهرة، دار نهضـــة مصـــر للطباعـــة والنشر.

41- د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأنـــدلس**، المملكة العربية السعودية، معهد البحوث العلميـــة وإحيـــاء التـــراث الإسلامي، 1417هـ/1997م.

42- د. سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملــوك الطوائــف في الأندلس**، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1993م.
43- سلمى الحفّار الكزبري: **في ظلال الأندلس**، مُحاضرات، دمشق، مطابع الف باء.
44- د. سلمى الخضراء الجيوسي: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس** 2ج، الطبعة الثانية، لبنان: بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999م.
45- د. سيد غازي: **ديوان ابن خفاجة**، الطبعة الثانية، الإسكندرية، منشــأة المعارف بالإسكندرية، 1979م.
46- شكيب أرسلان: **الحلل السندُسّية في الأخبار والآثــار الأندلســية** 3ج، لبنان: بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ت.
47- د. شوقي ضيف، **ابن زيدون**، لبنان: بيروت، دار المعارف، 1953م.
48- د. شوقي ضيف، **الفن ومذاهبه في الشــعر العربـــي**، القــاهرة، دار المعارف، 1965.
49- د. صلاح خالص: **إشبيلية في القرن الخامس الهجري**، لبنان: بيروت، دار الثقافة، 1965.
50- صلاح الدين خودابخش: **حضارة الإسلام**، ترجمة وتعليق د. علي حسني الخربوطلي، لبنان: بيروت، دار الثقافة، 1971.
51- عائدة محمد خالد: **المرأة في الأنــدلس**، أطروحة أعدّت لنيــل شــهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، إشراف: الدكتور يوسف علي طويل، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الفرع الأول، قسم اللغة العربية وآدابها، بيروت، 2000م.
52- د. عبد الرحمن علي الحجي: **أندلسيات** 2ج، الطبعــة الأولى، لبنــان: بيروت، دار الإرشاد، 1389هـ/1969م.
53 - د. عبد الرحمن علي الحجي: **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، دمشق، الطبعة الخامسة، دار القلم، 1418هـ/1997م.

54- د. عبد الرحمن علي الحجي: الحضارة الإسلامية في الأندلس أسسها ميادينها تأثيرها على الحضارة الأوروبية، لبنان: بيروت، دار الإرشاد، 1969.
55- د. عبد الله أنيس الطباع: **القطوف اليانعة من ثمار جنّة الأندلس الإسلامي الدّانية**، الطبعة الأولى، لبنان: بيروت، دار ابن زيدون، 1406هـ/1986م.
56- د. عبد الله عبد الرزاق السعيد: **الطب ورائداته المسلمات**، الطبعة الأولى، الأردن: عمان، مكتبة المنار، 1405هـ/1985م.
57- عبد الله يوسف الغنيم: **مصادر البكري ومنهجه الجغرافي**، الطبعة الأولى، مصر: القاهرة، مطبعة المدني، 1393هـ/1973م.
58- علي أدهم: **عبد الرحمن الناصر**، مصر: القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972.
59- د. علي الدفاع: **إسهام علماء العرب والمسلمين في علم النبات**، الطبعة الأولى، لبنان: بيروت، مؤسسة الرسالة، 1405هـ.
60- علي عبد العظيم، **ديوان ابن زيدون ورسائله**، مصر: القاهرة، مكتبة نهضة مصر، 1957م.
61- علي عثمان: **المرأة العربية عبر التاريخ**، الطبعة الثانية، لبنان: بيروت، دار التضامن، 1976.
62- علي محمد راضي، **الأندلس والناصر**، مصر: القاهرة، دار الكتاب العربي، د.ت.
63- عمر رضا كحالة: **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام 5ج**، الطبعة الثالثة، دمشق، المطبعة الهاشمية، (1377هـ/1958م).
64- عمر رضا كحّالة، **العلوم البحتة في العصور الإسلامية**، دمشق، مطبعة الترقي، 1392هـ/1972م.
65- د. عمر فروخ، **عبقرية العرب في العلم والفلسفة**، الطبعة الثانية، لبنان: بيروت، المكتبة العلمية ومطبعتها، 1952.

66- قدري طوقان: **العلوم عند العرب**، لبنان: بيروت، دار إقرأ، د.ت.
67- قدرية حسين، **شهيرات النساء في العالم الإسلامي**، لبنان: بـيروت، دار الكتاب العربـي.
68- د. لطفي عبد البديع، **الإسلام في إسبانيا**، الطبعة الأولى، مصر: القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1958م.
69- د. محمد إبراهيم الفيّومي: **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس**، الطبعة الأولى، لبنان: بيروت، دار الجيل، 1417هـ/1997م.
70- محمد جميل بيهم: **المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة**، الطبعة الأولى، لبنان: بيروت، دار النشر للجامعيين، 1962م.
71- د. محمد رضوان الداية، **تاريخ النقد الأدبي في الأندلس**، سوريا: دمشق، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، (1401هـ/1981م).
72- محمد الصادق عفيفي: **تطوّر الفكر العلمي عند المسلمين**، مصر: القاهرة، مكتبة الخانجي، 1976م.
73- محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس (الخلافة الأموية والدولة العامرية)**، الطبعة الثالثة، مصر: القاهرة، مكتبة الخانجي، 1408هـ/1988م.
74- د. محمد كامل حسين، **الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب** 2ج، ليبيا، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
75- محمد كرد علي: **الإسلام والحضارة العربية** 2ج، الطبعة الثانية، مصر: القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1959م.
76- د. محمود دياب، **الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية**، مصر: القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.
77- د. مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، لبنان: بيروت، دار العلم للملايين، 1974.
78- د. مصطفى الشكعة: **صور من الأدب الأندلسي**، لبنان: بـيروت، دار النهضة، 1972.

79- د. مصطفى الشكعة: المغرب والأنــدلس، الطبعة الأولى، لبنان: بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1407هـ/1987م.
80- مونتجومري وات: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ترجمة حسين أحمد أمين، لبنان: بيروت، دار الشروق، 1986م.
81- وليم الخازن: ابن زيدون أثر ولادة في حياته وأدبـه، لبنـان: بـيروت، منشورات دار مكتبة الحياة.
82- د. يوسف علي طويل: مدخل إلى الأدب الأندلسي، لبنان: بيروت، دار الفكر اللبناني، 1991.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

83- BURCKHARDT Titus, ***LA CIVILIZACIÓN HISPANO-ÁRABE,*** Madrid, Alianza Editorial, 1977.
84- Dozy Reinhart, Histoire des Musulmans d'Espagne jusqu'à la conquête de l'Andalousie par les Almoravides, Leyde, 3 vol., 1932.
85- Gichard Pierre, ***AL-ANDALUS,*** Paris, Hachette Littératures, 2000.
86- RAMÍREZ DEL RÍO José, LA ORIENTALIZACIÓN DE AL-ANDALUZ (Los días de los árabes en la Península Ibérica), Sevilla, UNIVERSIDAD DE SEVILLA, 2002.
87- VALLVÉ Joaquín, ***ABDERRAMÁN I I I,*** Barcelona, Editorial Ariel, 2003.

من مؤلفات

الدكتورة سهى بعيون

- إشراقة أمل، الدار العربية للعلوم، بيروت.
- إسهام العلماء المسلمين في العلوم في الأندلس عصر ملوك الطوائف، دار المعرفة، بيروت.
- نظام القضاء في العهد النبوي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت.
- قضاء الخلفاء الراشدين، وصاياهم للعمال أقضيتهم وأحكامهم القضاة في عصرهم، دار الكتب العلمية، بيروت.
- أخبار الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، دار المعرفة، بيروت.



الدكتورة سهى بعيون

- **دكتوراه في الدراسات الإسلامية (**في الحضارة الإسلامية) من كلية الشريعة (جامعة بيروت الإسلامية)، بدرجة ممتاز.
- **ماجستير في العلوم الدينية - اختصاص الدراسات الإسلامية المسيحيّة (**في الدراسات الأندلسية) من جامعة القديس يوسف بدرجة جيّد.
- **ماجستير في الدراسات الإسلامية (**في تاريخ القضاء في الإسلام) من المعهد العالي للدراسات الإسلامية بدرجة جيد جداً مع التنويه.
- **ليسانس في الدراسات الإسلامية من** المعهد العالي للدراسات الإسلامية.
- لها العديد من المؤلفات والأبحاث والمقالات حول التاريخ الإسلامي، والحضارة الإسلامية والأندلسية. والتنمية البشرية وتطوير الذات. وشاركت في العديد من المؤتمرات الدولية في بلدان عدة.
- لديها موقع إلكتروني يُعنى بالدراسات الأندلسية:

www.souhabaayoun.com

إسهام المرأة الأندلسية في النشاط العلمي في الأندلس

عصر ملوك الطوائف

عندما بلغت الحضارة العربية ذروتها في الأندلس كان لا بد للمرأة من أن ترتقي فكرياً وفنياً، فلم تتخلف المرأة الأندلسية عن المشاركة في النهضة الثقافية. فسنرى من خلال هذه الدراسة ازدهار الحياة علمية في عصر ملوك الطوائف، وكيف انعكس هذا الازدهار الفني والفكري على المرأة العربية الأندلسية. وسنرى المكانة السامية التي احتلتها يومئذ في المجتمع. ... ومشاركتها في مختلف العلو... العصر، وأبرز العلوم التي شار... إتاحة الفرصة أمام المرأة الأند... العلم والثقافة، وتشجيعها، ك... ازدهار النشاط العلمي وبالتا...

ISBN 978-614-01-1254-4
9 786140 112544

توزيع
الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com